مجلة
ISSN: 2149-3979

الإلهيات الأكاديمية

مجلة بحوث إسلامية دولية محكمة نصف سنوية العام: 2017 العدد: 6
جامعة غازي عنتاب - كلية الإلهيات - تركيا

الإسلاموفوبيا

- كلمة العدد - د. أرُول أركان
- الإسلاموفوبيا في سياق التمييز والحكم المسبق: المتغير والثابت في العلاقات بين الهويتين الدينية والاجتماعية - أ.د. عاصم يابيجي، و أ. فيضة يابيجي
- تأثير الإسلاموفوبيا على الدراسات الإسلامية - أ.د. جميل حقيمز
- المسلمون في لعبة الإسلاموفوبيا - أ.د. أجدر أوقموش
- الإسلاموفوبيا كلغة مصطنعة لمعاداة الإسلام في الغرب (منظور الصراع الاجتماعي) - أ.د. حسني أزبر بودُر
- الإسلاموفوبيا ومعاداة الإسلام: محاولة من «الغرب» لخلق شيطان في «الشرق»؛ مقاربة تاريخية - أ.د. قدير جاناتان
- الانتفاضة في أوربا: الإسلاموفوبيا ومستقبل الإسلام في الغرب - أ.د. شعبان علي دوزكون
- فكرة الإسلاموفوبيا وعلاقة النبي ﷺ بها - د. رجب توزجو
- الرعب اللامنطقي «هوس الرعب من الإسلام» - د. محمد صبري گنج
- مسؤولية المسلمين تجاه ظاهرة «الإسلاموفوبيا»؛ مراجعة الهوية والشخصية مراجعة نقدية ذاتية - د. صالح آي دمير
- الحوار عن الإسلاموفوبيا - أ.د. محمد علي كرمان

معلومات النشر

لمجلة «الإلهيات الأكاديمية» بجامعة غازي عنتاب

«مجلة بحوث إسلامية دولية محكمة نصف سنوية»

كل ما ينشر في المجلة يعبر عن رأي الباحث، ويتحمل مسؤولية مضمونه، ولا يعبر بالضرورة عن رأي جامعة غازي عنتاب أو كلية الإلهيات، ولا يحق نشر هذه المقالات جزئياً أو كلياً بدون إذن خطي من الناشر

رئيس التحرير: أ. د. شيخ موسى دمير (عميد كلية الإلهيات).

مديرا التحرير: د. مصطفى أونفيردي، د. محيي الدين إيغده.

محررا العدد: د. أرول أركان، د. محمد شيخ محمد النجار.

هيئة النشر: أ.د. شيخ موسى دمير (رئيساً)، أ.د. عبد القادر نوري الشيخ، أ.د. أيوب بكر يازجى، أ.د. محفوظ سويله مز، أ.د. محمد طاغ، د. خليل آل دمير، د. محمود جنار، د. رجب طوزجي، د. عدنان آل كول، د. عبد العزيز الخلف، د. عبدي محمد ماميتوف، د. أيهان أردوغان، د. عائشة أرا أوغلو، د. ديلارا أكرموفا، د. أرول أركان، د. فهمي صوغوق أوغلو، د. حبيب دمير، د. خليل حجي مفتي أوغلو، د. إبراهيم سلقيني، د. محمد أولوكوتوك، د. محمد شيخ محمد النجار، د. محمد راشد آ قبينار، د. محيي الدين إيغده، د. مصطفى كسكين، د. سمير عمر كامل حسن سيد، د. ضميرة أحمدوفا.

الهيئة الاستشارية للنشر: أ.د عبد العزيز خطيب (جامعة مرمرة كلية الإلهيات)، أ.د. عبدالله قهرمان (جامعة مرمرة كلية الإلهيات)، أ.د. عدنان دميرجان (جامعة إستانبول كلية الإلهيات)، د. أحمد محمد أحمد العسيري (جامعة الملك خالد)، أ.د. أحمد يلدريم (جامعة يلدريم بايزيد كلية العلوم الإسلامية)، أ.د. علي عبد الحق محمد الأغبري (جامعة تعز كلية الآداب)، أ.د. علي آقبنار (جامعة نجم الدين آرباكان كلية الإلهيات)، أ.د. علي عثمان آتش (جامعة جكور اووا كلية الإلهيات)، أ.د. عاصم يابجى (جامعة جكور اووا كلية الإلهيات)، أ.د. بنيامين أرول (جامعة أنقره كلية الإلهيات)، د. حسن يلماز (جامعة أتاتورك كلية الإلهيات)، أ.د. إحسان ثريا صرما (جامعة إسعيرت كلية العلوم الإسلامية)، أ.د. إلياس جلبي (جامعة ٢٩ أيار الجامعة الدولية للعلوم الإسلامية)، د. قيس رشيد علي (جامعة الموصل كلية التربية)، أ.د. لطف الله جبه جي (جامعة أرجيس كلية الإلهيات)، أ.د. محمد طوغان قره جوشكون (جامعة السابع من كانون الأول في كليس كلية الإلهيات)، أ.د. محمد خليل جيجك (جامعة يلدريم بايزيد كلية العلوم الإسلامية)، د. إبراهيم الحق الحسن (جامعة إفريقيا الدولية كلية التربية)، أ.د. محمد علي بيوك قره (جامعة مدينة إستانبول كلية العلوم الإسلامية)، أ.د. محمد أفكوران (جامعة هيتيت كلية الإلهيات)، أ.د. محمد زكي ايشجان (جامعة أتاتورك كلية الإلهيات)، د. محمد شيخ أحمد محمد (جامعة بانادر كلية الشريعة والحقوق) أ.د. موسى بيلكيز (جامعة أتاتورك كلية الإلهيات)، أ.د. متين يورداكور (جامعة مرمرة كلية الإلهيات)، أ.د. مصطفى أغيرمان (جامعة أتاتورك كلية الإلهيات)، أ.د. نصر الله حجي مفتي أوغلو (جامعة بايبورت كلية الإلهيات)، أ.د. عثمان تورر (جامعة السابع من كانون الأول في كلس كلية الإلهيات)، أ.د. صادق

قيليج (جامعة أتاتورك_كلية الإلهيات)، أ.د. شعبان علي دوزكون (جامعة أنقره كلية الإلهيات)، أ.د. ويسل كوللوجه (جامعة أتاتورك كلية الإلهيات)، أ.د. يوسف ضياء كسكين (جامعةحران كلية الإلهيات).

هيئة التحكيم: أ.د. عبد الحميد سنان أوغلو (جامعة سوتجو إمام في مرعش كلية الإلهيات)، أ. د. عبد الوهاب طاشدن (جامعة أرجيس كلية الإلهيات)، أ.د. محمد علي كيرمان (جامعة جكور اووا كلية الإلهيات)، أ.د. محمد يلماظ (جامعة جكور اووا كلية الإلهيات)، أ. د. صالح صبري ياووز (جامعة رجب طيب اردوغان كلية الإلهيات)، د. عبدالله اوزبولاط (جامعة جكور اووا كلية الإلهيات)، ظ. جليل أبو ذر (جامعة حران كلية الإلهيات)، د. عثمان أيوب اوغلو (جامعة التاسع عشر من أيار كلية الإلهيات)، د. اوزجان كونكور (جامعة يلدريم بايزيد كلية العلوم الإسلامية)، د. رفعت أطاي (جامعة أق دنيز كلية الإلهيات)، د. صفوت قارطوبو (جامعة كوموش خانة كلية الإلهيات)، د. ويسي أونفيردي (جامعة ماردين ارتوقلو كلية الإلهيات)، د. عبدالله آلبيران (جامعة جناق قلعة الثامن عشر من آذار كلية الإلهيات)، د. آيقوت كوجك بارمق (جامعة موش آلب أرسلان كلية الآداب والفنون)، د. حميد آق تورك (جامعة نامق كمال كلية الإلهيات)، د. محمود قايا (جامعة حران كلية الآداب والفنونكلية الإلهيات)، د. مصطفى اولو (جامعة أرجيس كلية الإلهيات)، د. صالح آي دمير (جامعة حران_كلية الإلهيات).

هيئة الترجمة: د. مصطفى كسكين د. فهمي صوغوق أوغلو، د. عدنان آلكول، عادل أوزتكين، إسماعيل يلماز، أحمد عبد الله، هاجر جنرال، محمد قاسم أردان، محمد طوبالجة.

مراجعة الترجمة: د. إبراهيم عبد الله سلقيني، د. سمير عمر كامل حسن سيد، د. عبد العزيز الخلف، د. محمد خالد الفجر، د. محمد شيخ محمد النجار، أ. سارة فاخوري.

تدقيق المقالات: أ. سارة فاخوري، د. سمير عمر كامل حسن سيد، د. محمد خالد الفجر.

القراءة الأخيرة: د. محمد شيخ محمد النجار.

التنسيق والإخراج الفني: د. إبراهيم عبد الله سلقيني.

تصميم الغلاف: حليمة صري قايا.

النشر والتوزيع: أ. محمد قاسم أردان.

العنوان: جامعة غازي عنتاب، كلية الإلهيات (مجلة الإلهيات الأكاديمية)، شهيد كامل، غازي عنتاب – تركيا.

ت: ٠٠٩٠٣٤٢٣٦٠٦٩٦٥ ف: ٠٠٩٠٣٤٢٣٦٠٢١٣٦ @: ilahiyatakademi@gantep.edu.tr

http://ilahiyat.gantep.edu.tr/dergi

المطبعة: مطبعة جامعة غازي عنتاب.

مكان وتاريخ الطباعة: غازي عنتاب – ٢٠١٧.

الفهرس

كلمة العدد

د. أَرول أركان – محرر العدد

المقالات

الإسلاموفوبيا في سياق التمييز والحكم المسبق: المتغير والثابت في العلاقات بين الهويتين الدينية والاجتماعية - أ.د. عاصم يابيجي، وأ. فيضة يابيجي

تأثير الإسلاموفوبيا على الدراسات الإسلامية - أ.د. جميل حقيمز

المسلمون في لعبة الإسلاموفوبيا - أ.د. أجدر أوقموش

الإسلاموفوبيا كلغة مصطنعة لمعاداة الإسلام في الغرب (منظور الصراع الاجتماعي) - أ.د. حسنُي أزبر بودر

الإسلاموفوبيا ومعاداة الإسلام: محاولة من «الغرب» لخلق شيطان في «الشرق»؛ مقاربة تاريخية - أ.د. قدير جاناتان

الانتفاضة في أوربا: الإسلاموفوبيا ومستقبل الإسلام في الغرب - أ.د. شعبان علي دوزكون

فكرة الإسلاموفوبيا وعلاقة النبي ﷺ بها - د. رجب توزجو

الرعب اللامنطقي «هوس الرعب من الإسلام» - د. محمد صبري گنج

مسؤولية المسلمين تجاه ظاهرة «الإسلاموفوبيا»؛ مراجعة الهوية والشخصية مراجعة نقدية ذاتية - د. صالح آي دمير

الحوار عن الإسلاموفوبيا - أ.د. محمد علي كرمان

ضوابط النشر في المجلة

كلمة العدد

نشعر في أسرة مجلة «الإلهيات الأكاديمية» بمتعة اللقاء بكم من جديد معشر القراء الكرام، ونحن نجتهد لموافاة أعداد المجلة في وقتها غير مبالين بصعوبة إصدار مجلة ذات موضوع. نعمل لاختيار الموضوعات التي تنال أهمية اجتماعية ونعمل بدقة في اختيار موضوعاتِ العدد والكتاباتِ التي ستُنشر مؤمنين أن مجلتنا ستملأ فراغا مهمًّا في تركية، وفي هذا السياق كتب في العدد السادس من مجلتنا أسماءُ مهمة من الهيئة العلميّة ومن زوايا مختلفة.

الرُّهاب من الإسلام (الإسلاموفوبيات) يهدد عيشَ الأديان والثقافات المختلفة في مكان واحد بسلام. الأبحاث المعمولة عن الرهاب من الإسلام في الحُقبة الأخيرة تُظهر ازدياد الرهاب من الإسلام في مجالات عديدة مختلفة من الاستخدام والتوظيف إلى التربية ومن وسائل الإعلام إلى القانون، ومن السياسة إلى الحياة اليومية.

الخوف والكراهية المتعلقة بالإسلام والمسلمين تتجاوز مستوى الخطاب وتُبدي نفسَها بهجماتٍ كلَّ حينٍ تجاه المسلمين والأماكن التابعة لهم. والازدياد في الرهاب من الإسلام الواقع في أوربا والبلقان ـ خاصةً ـ يجعل وضعه بجِدّيّة على طاولة البحث واجبًا.

مصطلح الإسلاموفوبيا (الرهاب من الإسلام) كلمة مشكلة من حيث الاشتقاق. فتَجَاوُرُ دين يحمل معنى «السلام» وكلمةَ «الخوف»، وذكره مع العنف والإرهاب أمرٌ عجيبٌ للغاية. ومن ناحية أخرى فإن الرّمْزَ بـ«ـعدم الأمان» لأمة نبيٍّ لقبُه «الأمين» مثير للانتباه، وأمر يقتضي أن يقف الجميعُ عنده خصوصاً.

لا شكّ أنه قد وقعت أفعال عنفٍ في التاريخ وفي زماننا لأتباع الأديان المختلفة. تُحمَّلُ عموماً مسؤوليةُ الأفعال التي لا تنسجم مع مرجعيّات الأديان كلّها للعوامل، في حين يُحمَّل الإسلامُ- لا الأشخاصُ- ثمنَ أفعال العنف التي يتدخل فيها مسلمون، وتُتجاهَلُ قابليةُ الدين للتفسير المتعدِّد والعواملُ السياسية والاقتصادية وما شابه من أسباب العنف، وتُتناسى حقيقةُ أن الأحداث الاجتماعية إنما تكون في تفاعلٌ متبادَل.

لا شك في وجود فُهومٍ وتأويلات تولّد العنف وتغذّيه، وينبغي أن تُناقَشَ من بين التفسيرات الإسلامية، لكنّ تكليف الإسلام والمسلمين ـ بأسلوب تعميمي ـ مسؤولية تلك الفُهوم أمر يستحق النقد بشدّة.

تناول كُتّابنا في هذا العدد موضوع الرهاب من الإسلام ـ الذي نراه مشكلة مهمة ـ بأبعاده المختلفة. وقد أُدرجَتْ مقابلاتٌ ومناقشاتٌ لكتب متعلّقة بالموضوع.

أقدّم شكري لكل من أسهم في وصول مجلتنا لهذه المرحلة، وأتمنى أن يُسهم هذا العمل في العيش بسلامٍ وطمأنينة في مكان واحد.

د. أَرُول أَركان

مُحرّر العدد

الإسلاموفوبيا في سياق التمييز والحكم المسبق:
المتغير والثابت في العلاقات بين الهويتين الدينية والاجتماعية*

أ.د. عاصم يابيجي
جامعة جوكوروفا – كلية الإلهيات
قسم علم الاجتماع الديني:
asimyapicicu.edu.tr

أ. فيضة يابيجي
جامعة غازي عنتاب – كلية الحقوق
قسم القانون العام – علم تاريخ القانون
feyzayapici@gazi.edu.tr

الخلاصة:

إن موضوع هذا البحث الذي ينطلق من زاوية علم النفس الاجتماعي هو ظاهرة الإسلاموفوبيا في سياق التغير والثبات. ولذلك فسوف تتم دراسة ظاهرة الإسلاموفوبيا المتناولة من خلال مفاهيم «الحكم المسبق»، و«الصورة النمطية»، و«التمييز»، بأبعادها التاريخية والمعاصرة. وإن هذه الدراسة معتمدة من حيث أسسها النظرية على نظريتي الهوية الاجتماعية والصدام الواقعي، وهي من حيث المنهج دراسة نوعية ومرتبطة بالتراث وفهمه. تظهر التحليلات والأبحاث التي أجريت على المدونات والوثائق أن الأحكام المسبقة تجاه المسلمين بدأت بالظهور في فترة انتشار الدين الإسلامي الأولى، ووصلت إلى ذروتها في مرحلة الحملات والحروب الصليبية. وأما في عصرنا الحاضر فإن الأحكام المسبقة التاريخية التي اكتسبت بعداً جديداً وخاصة بعد هجمات ١١ أيلول الإرهابية قد تسببت في استخدام كلمتي «الإسلام» و«المسلم» كمرادفتين لكلمة «الإرهاب» من حيث المعنى والدلالة. وتشير هذه الحالة التي تتغذى على الأسباب والعوامل النفسية الاجتماعية إلى أن الأحكام المتوارثة من التاريخ في حالة تحديث وإعادة إنتاج مستمرة.

الكلمات المفتاحية: الصورة النمطية، الحكم المسبق، التمييز، الإسلاموفوبيا (رهاب الإسلام)

Ön Yargı ve Ayrımcılık Bağlamında İslamofobi: Dinî-Sosyal Kimlikler Arası İlişkilerde Değişim ve Süreklilik

Özet

Sosyal psikolojik bakış açısından hareket eden bu çalışmanın konusu değişim ve süreklilik bağlamında İslamofobidir. Bu nedenle ön yargı, stereotip ve ayrımcılık kavramları üzerinden ele alınan İslamofobi olgusu tarihsel ve aktüel boyutlarıyla incelenmektedir. Kuramsal temelleri itibariyle sosyal kimlik ve gerçekçi çatışma teorilerine dayanan bu araştırma yöntem itibariyle nitel olup anlayıcı geleneğe bağlıdır. Literatür üzerinde yapılan analizler göstermektedir ki Müslümanlara yönelik ön yargılar İslâm dininin ilk yayılış döneminde başlamış, Haçlı Seferleri ile zirveye ulaşmıştır. Günümüzde ise özellikle 11 Eylül terör saldırısından sonra yeni bir boyut kazanan tarihsel ön yargılar, "terör" ile "İslâm" ve "Müslüman" kelimelerinin neredeyse eş anlamlı kullanılmasına neden olmuştur. Farklı sosyal psikolojik nedenlerden beslenen bu durum tarihten tevarüs eden ön yargıların sürekli güncellenerek yeniden üretildiğini göstermektedir.

Anahtar Kelimeler: Stereotip, Ön yargı, Ayrımcılık, İslamofobi

*وهذه هي الترجمة العربية للدراسة بعنوان "Ön Yargı ve Ayrımcılık Bağlamında İslamofobi: Dinî-Sosyal Kimlikler Arası İlişkilerde Değişim ve Süreklilik" التي نشرت في العدد السّادس من مجلة الإلهيات الأكاديمية. (عاصم يابيجي، فيضة يابيجي، الإسلاموفوبيا في سياق التمييز والحكم المسبق: المتغير والثابت في العلاقات بين الهويتين الدينية والاجتماعية، الإلهيات الأكاديمية، ٢٠١٧، العدد: ٦، ص ١-٢٦). من الواجب أن يستند في الإقتباس إلى المقالة التركية.

Islamophobia in the Context of Prejudice and Discrimination: Changing and Continuity in Relations among Religious-Social Identities

Abstract

This study, which is based on a social psychological perspective, discusses Islamophobia in the context of change and continuity. For this reason, the phenomenon of Islamophobia which is discussed through the concepts of prejudice, stereotype and discrimination, is examined with its historical and actual dimensions. This research, which is based on social identity and realistic conflict theories by theoretical grounds, is qualitative in terms of method and depends on the tradition of understanding. Analyzes made on the literature show that the prejudices towards Muslims began at the time of the first spread of the Islam and came to a head with the Crusades. Today, historical prejudices, which have gained a new dimension especially after the September 11th terrorist attack, have leaded to almost synonymous use of the words "terror" and "Islam" and "Muslim". This situation, which is fed from different psychosocial reasons, demonstrates that the prejudices that inherit from history are constantly updated and reproduced.

Keywords: Stereotype, Prejudice, Discrimination, Islamophobia

مدخل:

إن هذه الدراسة عبارة عن دراسة لأنماط السلوك والتصرفات التي تكمن في أساسها معاداة الإسلام والإسلاموفوبيا بمنظور علم النفس الاجتماعي، وذلك في سياق الأحكام المسبقة. وتشكل مفاهيم «الصورة النمطية، والأحكام المسبقة، والتمييز» نقطة انطلاق الدراسة. وبناء على ذلك سوف يتم التوقف بالبحث والتحليل على مسألة كيفية مناقشة ظاهرة الإسلاموفوبيا بين الأطراف، ثم ماهية العوامل المعرفية والتحفيزية التي تغذي هذه العملية، وماهية الدور الذي لعبته المرحلة التاريخية والراهنة في شرعنة هذه العوامل.

الأسئلة التي سنحاول الإجابة عنها في الدراسة:

أ) لم، وكيف ظهرت الإسلاموفوبيا التي تتضمن التمييز والأحكام المسبقة؟

ب) هل ظاهرة الإسلاموفوبيا التي أنتجتها العقلية الغربية تقوم وتتغذى على مواقفهم المسبقة تجاه المسلمين فقط؟

ج) ما هي أوجه الاختلاف والتشابه بين الأحكام المسبقة التاريخية تجاه الإسلام والمسلمين وبين ظاهرة الإسلاموفوبيا المعاصرة؟

د) هل يمكن القضاء على ظاهرة الإسلاموفوبيا بشكل نهائي؟

لقد تم في هذه الدراسة، التي تعد عملاً نوعياً، اتباع منهج تحليلي تفسيري متعلق بالتراث.

وتم الحصول على البيانات والمعطيات من خلال البحث والتدقيق في المدونات والوثائق ذات الصلة، وجرى تحليلها وتفسيرها انطلاقاً من الفرضيات الأساسية لنظرية الهوية الاجتماعية.

المصطلحات الأساسية

إن كلمة «الصور النمطية stereotip /Stereotype» ترجمت إلى اللغة التركية بمعنى «الحكم الجاهز»، و«جعل الشيء على نمط واحد»؛ وهي تشير بالمعنى الدلالي إلى «الطبيعة القاسية». وأول ظهور لهذا المصطلح كان في عالم مهنة الطباعة، حيث كانت تدل في لغة أصحاب مهنة الطباعة على «القالب الجاهز». فأول ما يخطر في الذهن عند سماع كلمة «Stereotype» هو قالب أو صفيحة تحتوي على عبارة أو نص ثابت، وغير قابل للتصحيح والتغيير، ومن شأنه تأمين طباعة العبارة والنصوص المقولبة بقدر ما يريده صاحب القالب[١].

وحسب والتر ليبمان فإن الصور النمطية «Stereotypes» هي «الصور الموجودة في أذهاننا» التي يتشكل نصفها من الوسط الاجتماعي، ونصفها الآخر من تخيل الشخص ذاته، وهي تظهر من التمثيلات الثقافية الموجودة مسبقاً. وبناء على ذلك يمكن تعريف الصور النمطية بأنها: تمثيلات تصنيفية ناقصة تحدث داخلنا شئنا أم أبينا، ومن شأنها تسهيل إدراك وتصور الواقع الاجتماعي الخارجي من خلال تبسيطه[٢]؛ لأن محيط العالم الواقعي واسع، ومعقد للغاية، وسريع جداً بحيث لا يمكن متابعته ورؤيته بالملاحظة المباشرة، والإنسان غير مزود بقدرات وتجهيزات تمكنه من مجاراة هذا المحيط بالغ التعقيد. ولهذا فإن الإنسان مضطر إلى امتلاك خارطة شخصية واعتبارية للعالم في ذهنه وتشكيلها، وذلك حتى يتمكن من فهم الواقع الاجتماعي الخارجي ومعرفته. وبهذا المعنى يمكن تقييم الصور النمطية على أنها خرائط من شأنها أن توضح اتجاهات رحلة الإنسان التي يخوضها على طرق الواقع الاجتماعي المتعرجة، أو من شأنها أن تبسط تصوراته ومداركه ومعارفه ومعلوماته وتضفي عليها شكلاً أو طابعاً ما، أو تقوم بوظائف أخرى مشابهة[٣]. وإلى جانب ذلك فإن الصور النمطية التي من شأنها تدعيم إدراك الأفراد ومحاكماتهم وتسهيلها، قد تفتح الباب أحياناً أمام حدوث أخطاء وأحوال غير مرغوبة.

ووفقاً لرأي ليبمان (١٩٩٨) فإنه بعد تشكل الصور النمطية في الذهن لا يبقى لحقيقة الواقع أهمية أبداً. فالأمر المهم هنا هو تصوراتنا وافتراضاتنا حول ذلك الواقع. وهذه الافتراضات التي تحدد وحدها تطلعاتنا وطموحاتنا وآمالنا وأعمالنا وجهودنا. ولكن لاحتواء هذه الافتراضات على حقيقة فإنها تؤدي إلى نتائج حقيقية

(١) Leyens, Yzerbyt & Schadron, 1996: 22; Yzerbeyt & Schadron, 1994: 130; Yzerbyt & Schadron, 1996: 103.

(٢) Amossy & Pierrot, 1997: 32; Leyens, Yzerbyt & Schadron, 1996: 22; Vinsonneau, 1997: 156.

(٣) Leyens, Yzerbyt & Schadron, 1996: 22.

بشكل غير متوقع[٤]. ويمكننا توضيح هذه الحالة بالشكل الآتي أيضاً: إن ثقافتنا قد أضفت لنا على الأشياء التي نراها في محيطنا معنى بشكل مسبق. لذا فإن الفرد لا يرى الشيء ثم يعرفه، وإنما يتصور ويدرك الشيء المعروف بالشكل الذي تم تعريفه به. لأن المدارك والتصورات يتم توجيهها من قبل صور جماعية مشتركة موجودة في البنية المعرفية[٥]. ويمكننا القول في هذا السياق: إن هذه الصور الناتجة في جزء منها عن الوسط الاجتماعي، وفي قسم منها عن بنيتنا المعرفية لم تتم صياغتها ضمن حقائقها وواقعيتها الأصلية، وإنما صيغت وصُنعت على النمط الذي أردناها عليه، أو النمط الذي آمنا أو اعتقدنا أنها عليه. لأن الصور النمطية التي تكتسب محتواها بدرجة كبيرة ضمن البنية الاجتماعية تخدم من الناحية المعرفية شرعنة الحالة الراهنة. وإن الذين يرقبون ويرصدون الواقع الاجتماعي بشكل نشط يتشكلون ويتنمطون من قبل محيطهم من جهة، ومن جهة أخرى يعيدون تشكيل محيطهم الاجتماعي وتصويره في أذهانهم. وهذا يعني عند إصدار حكم بحق الآخر الانطلاق من واقعية مزيفة ناتجة عن القرارات والمواقف المسبقة[٦].

إن الصور النمطية التي تحدد تطلعاتنا وطموحاتنا وتصرفاتنا، ومن ثَمَّ ترشدنا إلى كيفية النظر إلى أحداث وأشخاص وجماعات معينة، والشكل الذي يجب أن نراهم عليه وآلية فهمهم، تتيح لنا إمكانية فلترة الواقع الموضوعي القائم في العالم الخارجي وتصفيته. وانطلاقاً من ذلك يُعرف مايسونوف Maisonneuve [٧] الصور النمطية على أنها تصورات ذهنية تدخل بين الواقع وتصوراتنا، وتعيق إدراكنا للواقع بشكل موضوعي ومادي. وهذا يعني أن الإنسان عندما يحاكم الأحداث والأشخاص والأشياء إنما ينطلق من التمثيلات والملامح والصور الموجودة مسبقاً في الذهن. وعلى ذلك فلا بد من القول إن الصور النمطية والأوسمة المقولبة دائماً ما تتدخل بيننا وبين العالم، وإننا نضطر لاستخدامها وبشكل مستمر عندما نحاول تعريف محيطنا الاجتماعي وإدراكه وفهمه. وإلى جانب ذلك فإن الصور النمطية التي تبقى غير كافية في مسألة فهم الواقع الاجتماعي وإدراكه بشكل موضوعي تبدو أمامنا كنقط سوداء عمياء تعيق قيامنا بتقييم وتناول موضوعي ومحسوس بشأن الآخر، وذلك لكونها تحتوي على معلومات ناقصة ومغلوطة من جهة، وتخدم شرعنة الفرد لوضعه وموقفه من جهة أخرى. وفي الواقع فإنها لهذا قاسية ومتصلبة للغاية، إذ إنها تبدي مقاومة شديدة وشرسة ضد التغيير حتى ولو تم تطبيق برامج تعليمية وتربوية تتيح معرفة وعلوماً جديدة، أو ظهرت وتطورت انتقادات سلبية بشأن الصور النمطية القائمة[٨].

(٤) Noelle-Neumann, 1995: 172.

(٥) Amossy & Pierrot, 1997: 37; Leyens, Yzerbyt & Schadron, 1996: 23.

(٦) Leyens, Yzerbyt & Schadron, 1996: 14-15; Noelle-Neumann, 1995: 172-173; Yapıcı, 2004: 10-11.

(٧) ١٩٨٥: ١٣٥.

(٨) Harlak, 2000: 43; Yapıcı, 2004: 12.

عندما تتشكل وقائع جديدة من الأخيلة والتصورات الموجودة في أذهاننا تظهر أمامنا حالة تُعرف بـ«الكهانة المشرعنة لذاتها»، أي تبدأ تطلعات الإنسان الشخصية وطموحاته بتصويب نفسها. وبعبارة أخرى: إن الأنشطة والعمليات التي يجري تنفيذها انطلاقاً من فرضيات خاطئة تولد وقائع غير منتظرة وغير متوقعة أبداً، ولكن لن تكون مستهجنة. وفي هذه العملية يحدث أمران، فمن جهة يتم إدراك وفهم الأشخاص والجماعات الموجودين في محيطنا من خلال الصور النمطية، ومن جهة أخرى يحدث تصويب تطلعاتنا وتوقعاتنا بتصور انتقائي. فتتكون عن طريق هذه الصور النمطية سلسلة السبب والنتيجة بين التطلعات[٩]. وفي النتيجة يبدأ الإنسان برؤية ما ينتظره، وانتظار ما يراه. وفي الواقع في فإن هذا هو أحد الأسباب الرئيسة لانغلاقها على التغيير، وإبدائها الثبات والاستمرارية لدرجة كبيرة. إن مثل هذه الصور النمطية التي تحدد تطلعاتنا وتصرفاتنا، وترشدنا إلى كيفية النظر إلى أحداث وأشخاص وجماعات معينة، وإلى الشكل الذي يجب أن نراهم عليه وكيفية فهمهم، تقوم بوظيفة فلترة الواقع الموضوعي القائم وتصفيته في العالم الخارجي[١٠].

تظهر الدراسات ذات الصلة أن الصور النمطية إنما هي نظريات شخصية مبطنة موجهة من الإنسان إلى جماعته (الجماعة الداخلية التي يرتبط بها من خلال الشعور بالانتماء إليها) أو إلى الجماعات الأخرى (الجماعات الخارجية التي لا يشعر بالانتماء إليها)[١١]. ولهذا التعريف جانبان مهمان، هما: الأول: هو أن الصور النمطية نظريات ساذجة متشكلة بحق الآخر. والثاني: هو أنها تتضمن توضيحات وبيانات وتنويهات تتعلق بالأوصاف الشخصية لكل الأعضاء في الجماعة[١٢]. ونظراً لذلك يمكن تعريفها بأنها قناعات معتمدة على المبالغة والتعميم المفرط بحق جماعة اجتماعية ما[١٣]. لا شك أن الصور النمطية يمكن أن تكون إيجابية، كما يمكن أن تكون سلبية. والذي يهمنا هنا هو جانبها السلبي. فالصور النمطية التي هي بهذا الجانب نتاج لبنية ذهنية متشددة ومتعصبة ودوغمائية تظهر أمامنا كبطاقات أو لافتات تتضمن الإهانة والاحتقار ومبنية على قناعات وأفكار خاطئة[١٤]. وبناء على ذلك يمكننا القول إنه عند سماع مصطلح الصورة النمطية يبرز أمامنا أمران أساسيان يكملان بعضهما بعضاً؛ الأول: هو الاعتقادات التي تتقاسمها جماعة ما بحق فئة أخرى. وأما الثاني: فهو الصفات التي تخطر في الأذهان عند سماع اسم فئة ما أو ذكره[١٥]. وهنا يمكننا القول إن هذا هو أحد أبعاد ظاهرة الإسلاموفوبيا التي تستند أو تتغذى على الصور النمطية؛ لأنه يمكن تناول أشكال التقييمات

(٩) Bourhis & Gagnon, 1994: 725; Pelletier &Vallerand, 1994: 253-255; Hilton & Hippel, 1996: 244.

(١٠) Leyens, Yzerbyt & Schadron, 1996: 22-23; Yzerbyt & Schadron, 1994: 130; 1996: 103.

(١١) Leyens, 1983: 67; Bourhis & Gagnon, 1994: 717; Vinsonneau, 1997: 163.

(١٢) Arkonaç, 1998: 87.

(١٣) Hilton & Hippel, 1996: 240.

(١٤) Yzerbyt & Schadron, 1996: 103.

(١٥) Yapıcı, 2004: 13.

والتصورات السلبية كافة تجاه الدين الإسلامي والمسلمين سواء لدى المسيحيين، أم لدى أتباع الأديان الأخرى ضمن هذا الإطار. والأبعد من ذلك؛ فإن تقييم غير المسلم للمسلم عند اللقاء به على أساس هويته الاجتماعية التي ينتمي إليها وليس على أساس هويته الشخصية هو أيضاً داخل ضمن مفهوم الصورة النمطية.

الحكم المسبق:

إن الحكم المسبق من حيث اللغة يعني: «إصدار الحكم واتخاذ القرار دون دليل وإثبات». وأما في علم النفس الاجتماعي فيستخدم للدلالة على: المشاعر والمقاربات السلبية، والتصرفات والأعمال السلبية التي تصدر بحق أعضاء جماعة ما لمجرد انتمائهم إلى تلك الفئة[١٦]. ويقول شريف: «عندما يطلق مصطلح الحكم المسبق في الأدب فإنما يُقصد به الحكم المسبق الفئوي»، وحسب رأي شريف[١٧] فإن المواقف أو أشكال السلوك السلبية الصادرة من أعضاء جماعة ما تجاه فئة أو أعضاء فئة أخرى الناتجة عن معايير وقواعد مستقرة، إنما هي أحكام مسبقة[١٨]. تدل هذه العبارات والأقوال على أن الحكم المسبق هو عملية تعميم السلوك السلبي ذاته على كل أعضاء جماعة ما بغض النظر عن الفروقات الفردية. لا شك أن الحكم المسبق الشخصي والحكم المسبق الجماعي مختلفان عن بعضهما. إذ إن الحكم المسبق الشخصي هو عبارة محبة شخص ما أو كرهه بالمعنى الفردي. فهذا الصنف من الاختيار شخصي تماماً. فلا تأثير لانتماء الشخص المكروه ولا لهويته في هذا الأمر. وأما في الحكم المسبق الجماعي فإن حالة محبة الآخر أو كرهه متعلقة مباشرة بالانتماء؛ أي بالهوية. وإلى جانب ذلك فإن الأحكام المسبقة الصادرة من الفرد تجاه الجماعات الخارجية تتحول مع مرور الزمن إلى حالة ملازمة للأنا وتصبح جزءاً من منهجها بحيث يمكن أن يتصور ذلك الفرد أن هذا السلوك اختيار شخصي[١٩]. وبعبارة أخرى؛ فإن الكثيرين ممن يقولون: «هذه قناعتي الشخصية» ينضوون في كثير من الأحيان تحت تصنيف الأحكام المسبقة الجماعية، إلا أنهم قد لا يكونون مدركين وواعين ذلك. وهنا لا بد من الإشارة إلى الأمر الآتي: إن النظر إلى شخص نظرة سلبية، والشعور بالكراهية تجاهه لمجرد كونه مسلماً إنما هو من قبيل الإسلاموفوبيا الناجمة عن الحكم المسبق. حتى وإن قال الشخص: «إني لا أحب هذا الشخص لا لكونه مسلماً وإنما لكونه فرداً من الناس» فإن خلفية قوله قد تكون ظاهرة الحكم المسبق الجماعي.

---

(١٦) Billig, 1984: 450; Allport, 1954: 6-7; Capozzo & Volpato,1994: 14.

(١٧) ١٩٩٦: ٦٤٩.

(١٨) لا بد أن نشير هنا إلى الأمر الآتي: يحدث أحياناً خلط بين مفهومي الصورة النمطية والحكم المسبق. فهذا المفهومان/ المصطلحان مختلفان عن بعضهما إلا أن بينهما علاقة وطيدة. ولهذا فإن الباحثين يؤكدون على أنهما يشكلان مع بعضهما كلاً لا يمكن التفريق بينهما فيه (Rose, 1951: 29; Avigdor, 1979: 87). وحتى ذهب بعضهم إلى القول إن مصطلح الحكم المسبق والصورة النمطية بمثابة وجهين لعملة واحدة. إلا أنه قيل إن الصور النمطية تحمل طبيعة معرفية، وأما الأحكام المسبقة فتحمل طبيعة عاطفية (De La Haye, 1998: 10).

(١٩) Şerif & Şerif, 1996: 649.

التمييز:

إن الصور النمطية والأحكام المسبقة ليست عبارة عن تصورات ذهنية وردود أفعال عاطفية تؤثر على مدارك الأفراد وقراراتهم وأحاسيسهم فحسب. وإنما يمكن أن تجلب معها إلى جانب ذلك جملة من النتائج السلوكية مثل «التمييز» discrimination[٢٠]. وفي الواقع فإن الصور النمطية والأحكام المسبقة تغذي التمييز باستمرار، وكذلك العكس. كما أن الدراسات أثبتت أن هناك الكثير من العوامل التي من شأنها أن تلعب دوراً مؤثراً في احتمالية تحول الأحاسيس والأحكام السلبية تجاه الآخر إلى سلوك وفعل، ومن جملة هذه العوامل: الأسباب الثقافية والاجتماعية والدينية والأيديولوجية والاقتصادية وعوامل البيئة المحيطة، والتركيبة الشخصية للفرد، والتطلعات والطموحات، والمخاوف والهواجس، والصورة التي يراد إظهارها في المحيط، والأصدقاء[٢١].

التمييز هو استبعاد جماعة ما لجماعة أخرى ونبذها ومنعها من الاقتراب منها، واكتساب هذا السلوك طابعاً أو صبغة رسمية بقدر ما؛ أو هو معاملة أعضاء الفئات الاجتماعية المختلفة معاملة متحيزة وغير متساوية في الموضوع الواحد[٢٢]. ووفقاً لذلك إذا تمت معاملة الناس معاملة مختلفة ومتميزة لمجرد انتمائهم إلى هوية اجتماعية معينة فقط، فإن الأمر يصنف ضمن مفهوم التمييز[٢٣]. إلا أن التمييز لا يقتصر على إقصاء أعضاء فئة اجتماعية مختلفة، ومعاملتهم معاملة سلبية فحسب، وإنما ظهر التمييز أيضاً بصورة التحيز ضمن أعضاء الجماعة الواحدة، أي مناصرة الشخص لجماعته وتحيزه لها حتى وإن كانت جماعته معتدية وغير محقة[٢٤]. وكذلك لا بد من التأكيد على أن التمييز ترافق ظهوره أيضاً مع المشكلات الناتجة عن التعصب العرقي، وانغلاق المجتمعات على نفسها، وتوزيع الموارد والثروات. ووفقاً لذلك فإنه يدخل ضمن دائرة التمييز التفاف فئة اجتماعية على ذاتها، وابتعادها عن التعامل والتفاعل مع الفئات الأخرى، وتوزيعها للثروات وتقاسمها مع أعضاء الجماعة فقط[٢٥].

ويمكننا تصنيف الأفعال التمييزية من أخفها إلى أشدها درجة حسب Allport[٢٦] وفق ما يلي:

١) التعبير اللفظي عن المواجهة والكراهية: في هذه المرحلة يتحدث الفرد عن جماعات معينة مع أشخاص يحملون ذات أفكاره؛ فيعبر بشكل صريح عن كراهيته لتلك الفئات، ومعاداتها، والصور النمطية السلبية

(٢٠) Pelletier & Vallerand, 1994: 210.

(٢١) Azzi & Klein, 1998: 33-34; Billig, 1984: 450-453; Yapıcı, 2004: 19.

(٢٢) Bilgin, 1996: 98.

(٢٣) Capozza & Volpato, 1994: 14.

(٢٤) Hortaçsu, 1998: 229.

(٢٥) Giddens, 2000: 229-230.

(٢٦) ١٩٥٤: ١٤-١٥.

التي يحملها تجاهها، وباختصار يصرح عن كل ما لديه من مواقف وردود أفعال سلبية بحق تلك الفئة.

٢) الابتعاد وتجنب التعامل: إذا كانت مشاعر الكراهية والمعاداة لدى الفرد قوية تجاه الفئة المستهدفة فإنها تؤدي إلى حالة من القطيعة وتجنب التعامل معها. وبذلك فإن الفرد يحاول جاهداً الابتعاد عن الأشخاص والجماعات الذين كرههم وحكم عليهم بالسوء بناء على الصور النمطية، والأحكام المسبقة السلبية التي كونها وأصدرها بحقهم، ويتجنب الاحتكاك بهم والتعامل معهم.

٣) التمييز: إن التعبير اللفظي عن المواجهة والكراهية، والابتعاد وتجنب التعامل لا يسبب ضرراً كبيراً للجماعات المستهدفة. ولكن الأمر يختلف عندما يصل إلى مرحلة التمييز الفعلي، حيث تخرج المسألة عن كونها مجرد اختيار أو رأي شخصي. لأن هذه الحالة تؤدي إلى نتائج سوسيولوجية في غاية الخطورة. حيث إن أعضاء الجماعة المرتكبة لفعل التمييز يحاولون حرمان أعضاء الجماعة المستهدفة من الخدمات والحقوق الاجتماعية الأساسية، مثل: العمل والسكن والتعليم والصحة، ومنعهم من ممارسة حقوقهم السياسية. وقد تتحول هذه الحالة أحياناً إلى مستوى مؤسساتي منظم.

٤) الاعتداء المادي: إن التمييز قد يكتسب نتيجة لتضافر عوامل وأسباب عدة بعداً هجومياً وعدوانياً، ويتحول إلى ممارسة العنف تجاه الفئة المستهدفة. ويلاحظ في هذه المرحلة تحول التمييز الظاهر أو المبطن إلى العنف تدريجياً. حتى يمكن أن تحدث في هذه المرحلة هجمات وأعمال عنف مختلفة سواء على أفراد الفئة المستهدفة، أم على منازلهم، وأماكن عملهم، وعباداتهم. ولا شك أنه عندما تبدأ الهجمات والاعتداءات المادية فإن المشكلة تكون قد تجاوزت مسألة الصور النمطية والأحكام المسبقة، أو المواقف العدائية والكراهية المستهجنة، وبدأت تتحول إلى طبيعة مرضية. وفي هذه المرحلة تتدخل عوامل كثيرة، وخاصة العوامل السياسية والاقتصادية والثقافية والدينية وغيرها.

٥) القتل والإبادة الجماعية: يتجاوز الأمر في هذه المرحلة الهجمات وحالات الاعتداء الفردية والمتفرقة، لتظهر أعمال وأنشطة إجرامية بالغة الخطورة، مثل: ارتكاب المذابح وجرائم الإبادة والقتل الجماعي بحق أفراد الجماعة المستهدفة. وبعد أن يصل الأمر إلى هذه المرحلة تبدأ هجمات شاملة ومنظمة وكبيرة على الفئات الاجتماعية المستهدفة التي يُنظر إليها أحياناً على أنها أصل كل البلايا والشرور، وتُعد أحياناً أنها المعيق الوحيد لعمليات التنمية والتطور، وتُعدّ أحياناً المسؤولة الرئيسة عن الهزائم والنكسات. فأعمال القتل الجماعي التي ارتكبتها الجيوش الصليبية بحق المسلمين في الماضي، والمحرقة التي ارتكبتها ألمانيا النازية بحق اليهود، وجرائم الإبادة العرقية والدينية التي ارتكبت بحق المسلمين في الجزائر والبوسنة والهرسك في التاريخ الحديث هي من هذا القبيل. وكما قال فان بيسلر Vanbeselaere [٢٧]: إنه في هذه الحالة يُقتل المدنيون الأبرياء، وحتى الأطفال والرضع لمجرد انتمائهم إلى الجماعة الخطأ.

(٢٧) ١٩٩٩: ١.

يمكن رصد الكثير من الأشكال والصيغ في الاحتكاكات الحاصلة بين الفئات والجماعات، وذلك ابتداءً من الصور النمطية والأحكام المسبقة وصولاً إلى التمييز والهجمات العدوانية وأعمال العنف، وحتى القتال والحروب. وأول ما يظهر في المشهد هو الأحكام المقولبة. ولكن كما تبين من التجارب والدراسات التي أجراها شريف (١٩٩٦) فإن الصور النمطية قد تتحول لأسباب في غاية البساطة والتفاهة إلى هجمات وأعمال عدوانية فعلية. وإلى جانب ذلك يمكننا القول: إن ما يقف وراء التمييز وبكل أشكاله تقريباً هو رغبة الجماعات بالوصول إلى السلطة والسيطرة على القوى السياسية والاقتصادية. وينطبق هذا الأمر على الصراعات الحاصلة بين الجماعات الدينية أيضاً. إلا أن الطبيعة أو الخاصية الدينية التي تميزها من غيرها تضفي على الصراع في كثير من الأحيان نوعاً من القدسية نسبياً[٢٨]. ويُعد هذا أحد الأسباب المهمة التي مهدت الأرضية لأن تكون الحروب الدينية التي حدثت على مر التاريخ أكثر فتكاً ودموية. لقد تمثلت ظاهرة الإسلاموفوبيا في عصرنا بالتضييق على المسلمين في حقوقهم وحرياتهم الأساسية، والإساءة إليهم في مسألة توزيع الموارد والثروات، وحتى بتعرضهم للهجمات والاعتداءات بشكل فعلي ومادي. فقد تعرض المسلمون لمختلف أشكال التمييز العنصري والعنف في أصقاع العالم كافة، وفي مقدمتها البوسنة والهرسك وأراكان وفلسطين والشيشان وتركمانستان الشرقية. وبالإضافة إلى ذلك فإن المسلمين في القارة الأوروبية وإنكلترا بشكل عام، وفي أمريكا بشكل خاص يتعرضون لمختلف أشكال الهجمات والاعتداءات القولية والفعلية، وهذه الاعتداءات تكون إما على أشخاصهم، أو على معابدهم، أو منازلهم، أو أماكن عملهم. وهذه الحالات تدل على أن ظاهرة الإسلاموفوبيا تجاوزت مرحلة الأحكام المسبقة وتحولت إلى صيغة تتضمن العنف والشدة.

الإطار النظري:

لقد اتُبعت مقاربات نظرية مختلفة في الدراسات والأبحاث التي تناولت ما يقف وراء السلوكيات والتصرفات المشتملة على الإهانة والاستهزاء والاحتقار والازدراء لشخص ما بسبب هوية الجماعة التي ينتمي

(٢٨) Rose, 1951: 14-15; Yapıcı, 2004: 23 ومن المفيد هنا بيان الأمر الآتي: يشير الاتجاه العام الذي تشكل وظهر من الدراسات التجريبية إلى أن هناك علاقة متطابقة بين معايير السلوك الديني وبين معايير الحكم المسبق والتمييز (Argyle ve Beit-Hallahmi, 1975; Beit-Hallahmi ve Argyle, 1997; Yapıcı, 2004). وهذه الحالة تعد كما بين Loewenthal مفارقة كبيرة: لأنها تعني أن الأشخاص الأكثر تديناً هم الأكثر ميلاً إلى الأحكام المسبقة والتمييز. غير أننا نذهب إلى أن ظاهرة «التدين» المتناولة في هذه الدراسات متعلقة أو أقرب إلى «التدين المؤسساتي»؛ لأنه حسب التصنيف الذي أجراه ألبورت Allport (١٩٦٦)، وألبورت وروس (١٩٦٧) للذين يميلون إلى التدين «التدين الناضج/ الداخلي» تبين أنهم أقل إصداراً للأحكام المسبقة، والأقل لجوءاً إلى التمييز. ويبين Gorsuch (١٩٨٨) الذي أجرى تقييماً عاماً للدراسات المذكورة أن مستويات الحكم المسبق والتمييز لدى من يكون تدينه داخلياً باطنياً مختلف عمن يكون تدينه ظاهرياً سطحياً. وفي هذا السياق يمكن القول إن المتدينين الصادقين أقل تبنياً للأحكام المسبقة، وأقل تمييزاً. وهذا يعني أن المعتقدات والعبادات الدينية التي تنفذ إلى قلب الفرد وعالمه الداخلي تسهم بشكل كبير في رفع درجة التسامح لدى ذلك الشخص، وتحسين سلوكه وتصرفاته.

إليها، وباختصار أسباب العلاقات السلبية المبنية مع الآخر. ويمكن جمع هذه المقاربات وتصنيفها تحت عنوانين رئيسين هما: «النظريات الفردية»" و«النظريات الجماعية التي تهتم بالعلاقات داخل الجماعة وبين الجماعات».

النظريات الفردية:

لقد كان علماء النفس حتى الستينات من القرن العشرين يقومون بتفسير ظواهر الحكم المسبق، والصور النمطية، والتمييز من خلال النظريات النفسية الداخلية الفردية، وذلك مثل: «التعلم الاجتماعي»، و«الإعاقة-العدوانية»، و«البحث عن كبش فداء»، و«الشخصية الاستبدادية»، و«الشخصية الدوغماتية». وهذا النوع من المقاربات يذهب إلى التأكيد على أن الأفراد إلى جانب احتياجاتهم ورغباتهم الشخصية الخاصة جعلوا الأحكام المسبقة أيضاً، وسلوكياتهم التمييزية التي نموها داخل تركيبتهم وبنيتهم الشخصية المنتشرة في المجتمع، جعلوها في حالة جاهزة للإقرار بها وتقبلها[٢٩].

النظريات الجماعية التي تهتم بالعلاقات بين الجماعات وداخل الجماعة الواحدة:

إن عجز النظريات الفردية عن تفسير ظواهر الصور النمطية والحكم المسبق والتمييز وتوضيحها جلب معه دراسات وأبحاثاً جديدة، فظهرت البذور الأولى لمقاربة نظريتين مختلفتين صبتا جهودهما ومساعيهما على تفسير الظواهر المذكورة على صعيد «الجماعة».

أما الأولى فهي «نظرية الصراع الواقعي». وحسب هذه النظرية التي تم تطويرها حسب نظرية «شريف وشريف» (١٩٩٦) فإن الجماعات في حالة تنافس بشأن الوصول إلى الموارد المحدودة والشحيحة. وهذه المنافسة تجلب معها ظواهر الحكم المسبق والتمييز والعنف. وحسب شريف وشريف[٣٠] اللذين دعما النظرية بتجربة «لصوص المغارة» فإن تفسير العلاقات بين الجماعات وما يظهر في هذا السياق من الصور النمطية والأحكام المسبقة والعداوات والسلوكيات التمييزية وأعمال العنف والعدوان في الحوادث التي تجري في العالم الروحي والذهني لدى الفرد؛ أي من خلال العمليات الداخلية الفردية، غير كاف. وذلك لأن الجماعة ليست عبارة عن مجموع عددي بسيط للأفراد، واجتماع لهم معاً من خلال علم النفس الفردي. لا شك أن للعوامل النفسية مكانة مهمة في تشكل الجماعات، إلا أن محاولة تفسير الحوادث التي تجري داخل الجماعة بعد تشكلها من خلال العمليات النفسية سلوك خاطئ. فقد أجرى كل من ستروخ وشوارتز Struch ve Schwartz'ın (1989) دراسة تجريبية حول الجماعات الدينية جاعلين موضوعها نظرية الصراع الواقعي. وأشارت النتائج إلى أمرين بارزين: الأول: هو أنه تظهر سلوكيات عنيفة وعدوانية تجاه أعضاء الجماعة الخارجية بالتزامن مع تصور صراع المصالح. وأما الثاني فهو أن الجماعات المتماهية والمتماثلة جداً مع الجماعات والهويات الدينية بالمقارنة مع

(٢٩) Allport, 1954; Leyens, Yzerbyt & Schadron, 1996; Yapıcı, 2004.

(٣٠) ١٩٩٦: ٢٨٣-٢٨٤.

أعضاء الجماعات الأخرى تنظر بسلبية أكبر إلى الجماعات الخارجية وخاصة إذا استشعرت أو تصورت أنها تشكل تهديداً لمصالحها، وتظهر تجاهها ميولاً عدوانية أكثر. تبين هذه الدراسة أن لصراع المصالح دوراً مهماً وخطيراً للغاية في ظهور الأحكام المسبقة والصور النمطية سواء بين الأديان (الهويات الدينية العليا)، أم بين المذاهب والطوائف (الهويات الدينية الدنيا). ويمكن تقييم الصور النمطية والأحكام المسبقة والصراعات والصدامات الجارية بين الهندوس والمسلمين في الهند وبنغلادش، وبين المسيحيين والمسلمين في البلقان وإندونيسيا، وبين اليهود والمسلمين في فلسطين، وبين البوذيين والمسلمين في أراكان ضمن هذا السياق(٣١).

وأما المقاربة النظرية الثانية التي تريد حل العلاقات بين الجماعات ودراستها على مستوى جماعي فهي «نظرية الهوية الاجتماعية» التي صاغها وطورها كل من تاجفيل Tajfel (١٩٧٢) وتورنرTurner (١٩٧٩). وحسب هذه النظرية فإن العامل أو العملية الأساسية المسؤولة عن ظهور التمييز والصور النمطية لدى أنصار وأتباع الجماعة الداخلية تجاه الجماعات الخارجية هي عملية التصنيف الاجتماعي، أي عملية التجمع. والتصنيف يعني وضع أشخاص وأشياء وأحداث متساوية أو متشابهة في صف أو بوتقة واحدة بناء على جملة من الصفات المشتركة. ووفقاً لذلك فعندما يذكر التصنيف فإنما يقصد به العمليات النفسية التي تمكن الفرد من وضع محيطه ضمن نظام ونسق معين في ذهنه. وأما أهم خصائص أو وظائف هذه العمليات فهي تنظيم الفرد لمحيطه وبيئته الاجتماعية والمادية المحسوسة وتنسيقها في ذهنه. فالفرد من خلال عملية التصنيف يؤمن من جهة تكيفه واندماجه مع محيطه، ومن جهة أخرى يكيف المعطيات والبيانات التي يتلقاها من محيطه مع نظام التصنيف الموجود لديه مسبقاً، ويفسرها على أساس ذلك(٣٢). ولا بد أن نبين هنا أن عملية التصنيف ليست حيادية، وإنما تحتوي في أساسها على تقييم وحكم(٣٣). وهذا يشير إلى أن المحيط الاجتماعي لم يُصنف فحسب، وإنما تم في الوقت ذاته تفسيره وإضفاء معنى عليه. لأنه في هذه العملية تتدخل «القيم والمعايير والأهداف والتطلعات والطموحات والأيديولوجيات» التي عرفها بار – تال(٣٤) بـ«العناصر التي تشكل معتقدات الجماعة»؛ وتقوم هذه الأمور المذكورة بتوضيح الحدود والخطوط الفاصلة بين الجماعة التي ينتمي إليها الفرد والتي لا ينتمي إليها. فيظهر تصنيف اجتماعي على شكل «نحن» و«هم»، ويتم توصيف «نحن» بالخصائص والمزايا الإيجابية والحسنة، وأما «هم» فيتم توصيفه بالصفات السلبية والمشينة والمهينة. وهنا يظهر الأساس أو الدافع التحفيزي الذي يتولى مهمة زيادة "تقدير الذات" الذي تقدمه هوية الجماعة. ووفق ذلك فإن التصنيف الاجتماعي ليس مجرد تبسيط العالم الاجتماعي وتنظيمه وتنسيقه. وإنما هو أبعد من ذلك، حيث

(٣١) Yapıcı, 2004: 47.

(٣٢) Leyens, Yzerbyt & Schadron, 1996: 179; Tajfel, 1972: 275.

(٣٣) Deschamps & Devos, 1999: 155.

(٣٤) Bar-Tal'ın ,1999: 45.

إنه ينتج نظاماً توجيهياً مناسباً لتعريف ذات الفرد، ومن ثم تحديد مركزه وموقعه في الجماعة. وبهذه العملية التي تجري بهذا الشكل يتاح لأعضاء المجموعات إمكانية اتخاذ هوية اجتماعية معينة. وهذا يرتكز إلى حد كبير على العلاقات الاجتماعية مع الآخر، وعلى المقارنات الاجتماعية التي تتم بالرغبة في النظر إلى ذواتهم وتقييمها بصورة إيجابية. إذن نجد أن الفرد في هذه العملية ينشئ هويته من خلال مقارنة هويته مع هويات الجماعات الأخرى[٣٥]؛ لأنه لا يمكن للأفراد تقييم أنفسهم من دون المقارنة مع الآخر. وبناء على ذلك يمكن القول إن كل جماعة إنما وجدت في مواجهة مجموعة أخرى، ورغماً عن المجموعة الأخرى، ومع مجموعة أخرى، وإن هوية الإنسان بدورها لم تتشكل إلا ضمن جماعة ما. وكذلك فكما أن كل جماعة ليست موجودة وحدها، فإن الهوية الاجتماعية الناتجة عن الانتماء الجماعي لا تتشكل بدورها حسب العلاقات القائمة داخل الجماعة فقط. فهي في الواقع تتشكل عن طريق المقارنة مع الآخرين[٣٦]. إلا أن المقارنات التي تجري بين جماعتين غير كافية لتشكل الهوية أيضاً. فمثلاً: إن ظاهرة تصنيف شخصٍ ما ك «مسلم» لا تكون نتيجة لمقارنة ذلك الشخص مع الصنف «المسيحي» فحسب. حيث إنه يوجد هنا دور كبير لمعتقدات الجماعة الاجتماعية التي تشكل قيم هوية الفرد بمحتواها السلوكي أيضاً. ثم لا بد لنا من التذكير أن المقارنات الجارية هنا تظهر في المسائل التي تتمتع بأهمية مصيرية للجماعة والفرد معاً. حيث إن الفرد يكتسب الهوية الاجتماعية الإيجابية من خلال المقارنات التي تجري في المسائل المصيرية. وهذا من شأنه أن يقود الفرد إلى تقييم جماعته من خلال الصور النمطية الإيجابية[٣٧]. وفي هذه الحالة فإن «المقارنة الاجتماعية» تجلب معها في الوقت ذاته «التباين الاجتماعي» أيضاً، أي إذا لم يكن يُتصور أو ينظر إلى جماعة ما داخل الوسط الاجتماعي على أنها «الغير»، «الآخر»، «هم»، فإنها لن تُقيم ولن تُعدّ جماعة متميزة مختلفة بطبيعة خاصة بها، وذلك لكونها لم تتمايز عن الآخرين بما فيه الكفاية[٣٨]. إن التمايز الاجتماعي المستند إلى المقارنة الاجتماعية التي يجري الحديث عنها هنا هو حالة مطلوبة ومرغوبة من قبل الفرد. لأنه كما بين تاجفيل أيضاً[٣٩] فإن كل إنسان يرغب داخل الوسط الاجتماعي الذي يعيش فيه إما بدوام هويته الاجتماعية الإيجابية الموجودة واستمرارها، أو بتحصيل هوية اجتماعية إيجابية تجلب له التقدير والاحترام وامتلاكها. ويمكن رصد هذا الأمر وملاحظته في ظاهرة الإسلاموفوبيا أيضاً. حيث إننا نشاهد المسيحيين واليهود والبوذيين قد صنفوا المسلمين الذين أدانوهم بالصور النمطية والأحكام المسبقة، ضمن فئة اجتماعية حقيرة ومنحطة وغير ذات قيمة في نظرهم، وفي المقابل رفعوا من شأن أنفسهم وسموا بها من خلال وضع هوياتهم الاجتماعية في مرتبة ومكانة رفيعة تبدو كأنها تحمل قيماً عالمية وتشكلها.

(٣٥) Tajfel, 1972: 296; Turner, 1979: 154; Leyens, Yzerbyt & Schadron, 1996: 89.

(٣٦) Bilgin, 1996: 86.

(٣٧) Bourhis & Gagnon, 1994: 748; Leyens, Yzerbyt & Schadron, 1996: 89.

(٣٨) Tajfel, 1972: 295; Turner, 1979: 153.

(٣٩) ١٩٧٢: ٢٩٣.

الفوبيا والإسلاموفوبيا من النظرية إلى التطبيق:

إن كلمة الفوبيا مشتقة من الكلمة اليونانية Phobos التي تُعد في الميثولوجيا اليونانية اسم «إله الخوف»، وهي تعني الاضطراب والقلق والهلع والخوف الشديد الذي يشعر به الشخص تجاه شيء ما بشكل يؤثر سلباً على حياته. فأي خوف عندما يبدأ بإحداث إزعاج واضطراب وضيق متزايد للفرد، ويتحول إلى حالة قلق فإنه يُسمى فوبيا. حيث إن المخاوف هي شعور قسري وشديد ومفرط ولا منطقي تجاه أشياء أو أحوال أو أنشطة معينة. وبالإضافة إلى ذلك فإن الشخص الذي يتعرض لمثل هذا الخوف والإحساس يشعر برغبة عارمة وشديدة في التخلص من التحذير الرهابي. وعندما يعجز الشخص عن التخلص من هذا الإحساس تشتد عليه الهواجس ومشاعر القلق والهلع وتزداد اتقاداً[٤٠]. وهنا لا بد من الإشارة إلى الأمر الآتي: إن الخوف الطبيعي هو خوف أو رد فعل سليم من شأنه تحذير الإنسان من المخاطر، ودفعه لاتخاذ التدابير المناسبة تجاهها، بينما الخوف الرهابي هو خوف مبهم ومبالغ به وغير عقلاني وغير واعٍ، وبعيد عن الحقيقة، يشعر به الإنسان تجاه أشياء أو حالات أو أنشطة لا تشكل خطراً عليه[٤١].

تترجم ظاهرة الإسلاموفوبيا إلى اللغة التركية على أنها «مناهضة الإسلام»، إلا أنها ببساطة ليست مناهضة الإسلام. فهي تحتوي على كثير من السلوكيات الإقصائية والمهمشة، مثل: العنصرية والتمييز ومعاداة الأجنبي والأحكام المسبقة[٤٢]. يقول أسبوزيتو (URL1) في روبورتاج نشرته صحيفة يني شفق « Yeni Şafak»: «أعتقد أن الإسلاموفوبيا حقيقة هي مقولة أو خطاب ينتهك الحريات الدينية، والحريات المدنية، وحقوق الإنسان للمسلمين، ودائماً ما يفتح الباب أمام العنصرية والتمييز والكراهية والأحكام المسبقة، أو يحرض عليها»؛ لأن الإسلاموفوبيا تعني الخوف والشعور بالقلق والاضطراب تجاه الدين الإسلامي وأتباعه بذريعة أنهم يشكلون تهديداً لوجود المصابين بهذه الحالة من الخوف والقلق.

جذور الإسلاموفوبيا التاريخية:

يمكن الرجوع بتاريخ ظاهرة الإسلاموفوبيا إلى الوراء حتى الفترة الأولى لنزول الوحي. حيث إنه مع النزول الأول للوحي بدأ يتشكل التفريق بين «نحن»، أي «المؤمنون بالله»، وبين «هم»، أي «الوثنيون والمشركون». وبالتزامن مع هذا الفراق أو الانشقاق الذي اكتسب محتواه المعرفي والعاطفي بالوحي بدأ تشكل هوية إسلامية نوعية ومتميزة. فبناء على الفهم أو التصور المتكون عن الله والإنسان والمجتمع كان يتم في الفترة المكية التوقف أو التأكيد على الاختلاف والتمايز عن مشركي مكة؛ وأما في الفترة المدنية فحصل تمايز وانفصال

(٤٠) Budak, 2009: 292.

(٤١) Bakırcıoğlu, 2012: 364.

(٤٢) Karslı, 2013: 80-81.

أولاً عن اليهود، ثم امتد فيما بعد ليشمل المسيحيين أيضاً، وفي النتيجة ظهرت هوية إسلامية نوعية[٤٣]. وهنا لا بد من الإشارة إلى أن الهوية لا تتشكل فقط بكيفية تصور الجماعة لذاتها وإدراكها لها. حيث إن لتصورات المجموعات الأخرى بحقها وكيفية نظرتها إليها دوراً مهماً في هذه العملية أيضاً. لأن الهوية تتشكل بالتفاعل والتأثير المتبادل. وإن كنا سنتناول العملية بالدراسة والتقييم من زاوية التطور التاريخي للإسلام وتشكل الهوية الإسلامية، فيمكننا القول: إن العهد المكي، والعهد المدني شكلا البنية النفسية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية والدينية للأزمات والصراعات والصدامات بين الهويات الدينية – الاجتماعية وذلك في سياق «نحن» و«هم».

لقد توجه المسلمون إلى حركة الفتوحات مندفعين بالثقة الناتجة عن النجاحات المستمرة والمعنويات العالية التي أكسبهم إياها الإسلام والهوية الإسلامية التي حازوا عليها[٤٤]. ولما بسطوا سيطرتهم على مناطق واسعة من العالم وفي مقدمتها القدس وفلسطين ومناطق الأناضول وإسبانيا؛ أي أراضي المسيحيين، أثار الأمر مخاوف المسيحيين، وأخذوا ينظرون إلى هذه التطورات على أنها تهديد لهوياتهم، ونتيجة لذلك حاولوا مواجهة المسلمين الذين وصفوهم بـ«الملحدين» و«البربر»، ومحاربتهم من خلال الغزوات الصليبية المعروفة[٤٥]. ولما حقق المسلمون الانتصارات على الدول والبلدان المسيحية تزايدت في العالم الأحكام المسبقة والتصورات والأفكار السلبية والسيئة تجاه الإسلام والمسلمين، تلك التي كانت تتهم الإسلام بأنه «دين العنف» و«الضلال والوثنية والإلحاد»، وتصف المسلمين «بالظلم» و«الهمجية»، واشتدت حدة هذه الأفكار والتصورات بتحريض من القساوسة والباباوات حتى وصلت في القرن الحادي عشر الميلادي لذروتها متوجة بالحملات والغزوات الصليبية[٤٦]. وتذهب بيفرلي ميلتون إدواردز Milton-Edwards [٤٧] إلى تقييم مصطلح الإسلاموفوبيا في سياق الاستمرارية التاريخية التي تبدأ مع الحملات الصليبية، وتؤكد على أن هذه الاستمرارية لا تزال قائمة حتى الوقت الحالي.

حيث يقول البابا أوربان الثاني، صاحب الخطبة الشهيرة التي كانت تحريضاً على الحملة الصليبية وإطلاقاً

(٤٣) Yapıcı, 2004: 104-105.

(٤٤) Parry, 1988: 399.

(٤٥) Coşar, 2000: 51. رغم أن الدين الإسلام في السنوات الأولى لظهوره اعتبر كافراً ووثنياً، إلا أنه لم يُنظر إليه على أنه مذهب أو طائفة ضالة ومنحرفة من طوائف المسيحية، ومن ثم لم يُعلن طرد أتباعه من الكنيسة (Coşar, 2000: 50-51)، ولكن في مرحلة لاحقة وخاصة في المرحلة التي بدأت مع يوحنا الشامي صار يوصف الإسلام على أنه مذهب مسيحي كافر ومنحرف ظهر داخل الدين المسيحي مثل الأريوسية، وليس باعتباره دين مختلف وقائم بذاته، وقد توحدت مثل هذه المقولات والخطابات لأسباب مختلفة، وانتشرت على نطاق واسع. (Aydın, 2001: 37-40).

(٤٦) Miles, 2000: 31.

(٤٧) ٢٠٠٢: ٣٣.

لشرارتها الأولى: «دعوا الذين اعتادوا على محاربة أهل الإيمان والتضييق عليهم في حياتهم الخاصة يحاربوا الكفار اليوم. دعوا الذين كانوا لصوصاً وقطاع طرق في الأمس يصيروا جنوداً ضد الأعداء اليوم. دعوا الذين كانوا يتصارعون ويقتتلون فيما بينهم بالأمس يحاربوا البرابرة والهمج اليوم». وإن المسلمين الذي يُوصفون في هذه الخطبة بصفات «الكافر»، و«العدو»، و«البربري» يتهمون بدورهم المسيحيين بالكفر، ويصفونهم بـ«الكفار» بالشكل ذاته. لأنه كما بين لويس Lewis [٤٨] أيضاً: «فإن المسيحيين واليهود أناس حمقى في نظر المسلمين حيث يردون آخر دين وأكمل دين يُقدم إليهم، بالرغم من فساد أديانهم وانحرافها وبطلانها». ولا شك ان السلوكيات والمواقف العنصرية التي تركز على أفضلية «الأنا» وتفوقها موجودة لدى أي جماعة من المجموعات الدينية. لأنه كما قال واط[٤٩]: لا ينتمي أحد إلى دين لا يعتقد أنه يمثل جوهر الحقيقة. وإلى جانب ذلك لا بد لنا من الإشارة إلى الأمر الآتي: وهو أن اليهود والمسيحيين رغم عدّهم كفاراً عاشوا حياتهم داخل المجتمع الإسلامي بكل راحة واطمئنان من غير إقصاء ونبذ، ودون تعرض لأي اعتداء في المال أو النفس، وكما تمتعوا بحرية الاعتقاد والعبادة، كان كل ذلك بشرط واحد؛ وهو «دفع الجزية المفروضة عليهم»[٥٠]. ويلخص لويس Lewis [٥١] هذه الحالة فيقول: «لم يُجبر اليهود ولا المسيحيون في ظل حكم المسلمين على الاستشهاد في سبيل دينهم وإيمانهم، كما لم يُكرهوا على الاختيار بين النفي والطرد أو تغيير الدين، أو الموت كما حدث للمسلمين واليهود في إسبانيا».

إن الاتهامات التي يوجهها مارتن لوثر Martin Luther للإسلام والقرآن الكريم تبرز الجذور التاريخية لنظرة المسيحيين إلى المسلمين: حيث يقول لوثر: «القرآن كتاب بغيض وفظيع وملعون، ومليء بالأكاذيب والخرافات والفظائع»، فهو بقوله هذا يُظهر للمسيحيين كذب القرآن وبطلانه وفساده من جهة، ومن جهة أخرى يحاول إلحاق الأذى بالنبي محمد وبالأتراك، وتحفيز المسيحيين وتحريضهم ورفع معنوياتهم[٥٢]. إن موقف لوثر العدواني تجاه دين الإسلام ومصدره الأول القرآن الكريم له علاقة بوصول الدولة العثمانية إلى أبواب فيينا، أكثر من كونه موقفاً دينياً، أي إنه موقف اجتماعي سياسي. وفي الوقع له في هذا السياق مقولة ملفتة أيضاً، وهي قوله: «إن كنا نريد مواجهة الأتراك ومحاربتهم فعلينا أن نبدأ على الأقل من هنا (فيينا) حيث المكان الذي يقفون فيه الآن»[٥٣]. لذا يمكن القول إن العامل المحدد في تشكيل أحكامه المسبقة هو المناخ السلبي المتكون ضد الإسلام نتيجة الأحداث السياسية الجارية في ذلك العصر.

(٤٨) ١٩٩٦: ١٩.
(٤٩) ٢٠٠٢: ٨٤.
(٥٠) سورة التوبة: ٢٩.
(٥١) ١٩٩٦: ١٧-١٨.
(٥٢) Hıdır خضر 2007: 154.
(٥٣) Hıdır خضر، ٢٠٠٧: ١٥٤.

إن الأحكام المسبقة التي تنتقل بعد تشكلها الأول إلى الأجيال اللاحقة عن طريق عملية التعلم الاجتماعي تحافظ على وجودها كتمثيلات اجتماعية في الوعي الجماعي للمجتمعات. ويمكن رصد مثل هذه الحالة وملاحظتها في نظرة المسيحيين إلى المسلمين اليوم. حيث يتحدث واط Watt [٥٤] عن مشكلات وأزمات مختلفة يعاني منها المسيحيون الغربيون في فهم الإسلام ونبيه محمد ﷺ، ويعود السبب في ذلك إلى عدم تخلص المسيحيين من الأحكام المسبقة التي توارثوها فيما بينهم منذ العصور الوسطى. وحسب واط فإن الآلام والمعاناة التي تسببت بها الغزوات الصليبية، والحروب والمعارك الأخرى التي جرت مع المسلمين كانت سبباً لأن يعدّ المسيحيون أن الشرور كلها قد تجسدت في المسلمين، وخاصة نبيهم محمد، أي يعدونهم أصل الشرور. ويرى واط أن تأثير البروباغاندا والأعمال الدعائية اللتين نظمتا في تلك الفترة ومفعولها لا يزال مستمراً في تصورات الغربيين تجاه الإسلام [٥٥]، ويقول إنه من السهل أن تجد مقولات وأشياء جيدة وإيجابية تقال وتنتشر بحق البوذية في العالم المسيحي اليوم، ولكن من الصعب العثور على مثل تلك الأشياء الجيدة التي تقال بحق الإسلام.

يقول مايلز Miles [٥٦]: إنه جرى في الغرب ربط صفات «الهمجي»، و«الفاسد» و«السيئ الشرير»، و«الظالم» بالإسلام، وتم تقييم الإسلام على أنه دين «مزيف»، و«منحرف وضال»؛ وتم تصوير محمد ﷺ بصورة النبي الكذاب والمزيف، والمهووس بالعنف والجنس، والعدو الشيطاني للنبي عيسى عليه السلام. فالمسيحيون لم ينظروا إلى الدين الإسلامي على أنه دين أناس يؤمنون بالإله مثلهم، وإنما عدّوا الإسلام إما تياراً أو مذهباً أو طائفة ضالة ومنحرفة عن المسيحية، وإما ديناً ملفقاً ومزيفاً أسسه محمد بدفع وتحريض من الشيطان عدو عيسى اللدود بهدف الانتقام من المسيحيين. وخلال هذه المرحلة التي وصف فيها النبي محمد وقُيّم على أنه محتال وكذاب، صار ينظر إلى القرآن الكريم أيضاُ على أنه كتاب «مليء بالكذب والأخطاء والأذى أنتجته نوايا شيطانية خبيثة»[٥٧]. وحسب ما يذهب إليه آيدن Aydın[٥٨] فإن الدافع الأساس للأحكام المسبقة والتصورات النمطية التي شكلها المسيحيون تجاه النبي محمد والقرآن الكريم إنما هو رغبتهم الجامحة في كبح جماح التقدم الذي حققه المسلمون ضد المسيحيين (روما الشرقية – البيزنطيين) وإيقافه في مختلف الميادين العسكرية والسياسية والجغرافية. حيث إنهم رأوا أن الحل الفعال والمجدي في المرحلة الأولى للحيلولة دون قبول أعداد كبيرة من المسيحيين البيزنطيين للإسلام يكمن في إنتاج أحكام مسبقة وخلق صور نمطية سيئة ومهينة؛ أي نشر فكرة بين المسيحيين تقوم على أساس أن النبي محمداً نبي محتال وكذاب ومزيف، بهدف حماية الهوية المسيحية، حتى وإن كانت هذه الأحكام والصور أو الفكرة لا تستند على معلومات ومعرفة موضوعية.

(٥٤) ١٩٨٨: ٤٥.

(٥٥) ١٩٨٨: ٤٥.

(٥٦) ٢٠٠٠: ٣٠-٣١.

(٥٧) Watt, 1991; Aydın , 2001; Adam, 2002; Yapıcı & Albayrak, 2002.

(٥٨) ٢٠٠١: ٤٢.

وقد استمرت التطورات والأحداث في هذا الجانب، حتى إن أحكامهم المسبقة ومعاداتهم للإسلام والمسلمين انعكست في الفترات اللاحقة على الأعمال الأدبية والفنية أيضاً. فمثلاً تقول شيمل Schimmel : إن تصوير النبي محمد والإمام علي وهما في أدنى طبقات (قعر) جهنم كما ورد في رواية «الكوميديا الإلهية/ لدانتي Dante» إنما يعكس آراء غالبية المسيحيين الرافضين لفكرة ظهور دين الإسلام في العالم بعد المسيحية، ذلك الإسلام الذي ينادي بمبادئ عالمية، ويتبعه خلق كثير(٥٩). ووفقاً لرأي ميلز Miles(٦٠) فإن هذه التصورات الموجودة في أذهان المسيحيين ليست توصيفات شخصية مقتصرة على النبي محمد ﷺ فحسب، وإنما يتصور المسيحيون أن المسلمين أيضاً مثل نبيهم محمد؛ أناس همجيون مهووسون بالجنس، وميالون إلى العنف، ومنحرفون في عقيدتهم. وتم إظهار الدين الإسلامي على أنه نظام عقائدي مزيف يسمح بتعدد الأزواج، وبالمثلية الجنسية، ويتهاون بشأن العلاقات الجنسية بشكل عام، وحتى إنه يحرض على مثل هذه الخبائث والشرور ويشجعها بشكل مستمر. وادعى المسيحيون أن الإسلام المؤسس على «العدوان» و«الحرب» هو معتقد يقوم على «الجهاد» (الحرب المقدسة) الذي يدعو إلى قتل غير المسلمين وإراقة دمائهم أو استعبادهم. ولهذا فإن المسلمين مستعدون لارتكاب مختلف الشرور(٦١).

أعتقد أن هناك دوراً وأثراً كبيراً لهذا النوع من الأحكام المسبقة التي تشكلت خلال العصور الأولى في التصور الذي يتبناه المسيحيون تجاه الإسلام اليوم، الذي يرى أن الإسلام دين متشدد، ومتزمت وجبري يقوم على العنف ولا يقبل بالديمقراطية(٦٢). وهذا الحالة تدل على أن التصورات التي تتشكل تجاه الجماعات الدينية الأخرى تحافظ على استمراريتها بسهولة دون تعرض للتغيير. إلا أنه لا بد لنا من الإشارة إلى أن طبيعة العلاقات بين المجموعات إذا ما كانت علاقة عداوة أو صداقة تعلب دوراً مؤثراً في تحديد طبيعة محتوى الصور النمطية ما إن كانت إيجابية أو سلبية. لأن السلوكيات العدائية، والتقييمات السلبية والمنفرة، والكراهية بين الجماعات الدينية ليست مدفوعة بالتعصب الديني والحاجة إلى تحقيق هوية اجتماعية إيجابية فقط، وإنما إلى جانب ذلك يكون لطبيعة العلاقات بين الجماعات الدينية دور مهم للغاية في هذا المجال أيضاً.

من الأحكام المسبقة التاريخية بحق المسلمين إلى الإسلاموفوبيا:

إن الأحكام المسبقة التاريخية لدى المسيحيين تجاه المسلمين تشكل الأسس الأولى لظاهرة الإسلاموفوبيا. إلا أن تفسير ظاهرة الإسلاموفوبيا الموجودة في عصرنا هذا من خلال ما تم توارثه من العصور الوسطى من تصورات نمطية وأحكام مسبقة وأشكال معينة من السلوكيات والتصرفات فقط غير كاف. فينبغي هنا

(٥٩) akt. Aydın, 2001: 43-44.

(٦٠) ٢٠٠٠: ٣١.

(٦١) Yapıcı, 2004: 123; Yapıcı & Albayrak, 2002: 39.

(٦٢) Öğütçü, 1997.

الانطلاق من التمييز بين «الأسباب الضرورية» و«السبب الكافي» الذي يُعد من المبادئ الأساسية لنظرية الهوية الاجتماعية. لا شك أن السبب الكافي هو تصور «نحن» و«هم». وهذا التصور الذي يمتلئ محتواه بالثقافة والتراث لا يعني تصنيف الناس من ناحية الهوية الاجتماعية إلى مسيحيين ومسلمين بكل بساطة. فهنا يجب الانتباه إلى شكل عمل العقل الغربي ونشاطه الذي يستند إلى نظرية التطور والارتقاء الاجتماعي. حيث إن تصور «نحن» و«هم» حسب الذهنية الغربية المسيحية، التي تعتقد أنها أكملت عملية التطور والارتقاء، يتضمن تصنيفاً ثنائياً ذا خطين متوازيين منفصلين على شكل الإنسان وأسلاف الإنسان، الذين أكملوا عملية التطور والذين لم يكملوها، الذين تطور دماغهم والذين لم يتطور دماغهم، الأسياد والعبيد، الأوروبيون والآخرون، المتحضرون والمتوحشون، ومن ثم الذين يبنون الحضارة والذين يهدمون الحضارة[٦٣]. فمثلاً؛ حتى المفكر والكاتب والأديب الفرنسي أندري جيد André Gide الذي يُعد من أتباع الفلسفة الإنسانية والأخلاق الفردية يقول عند زيارته لإسطنبول عام ١٩١٤: «إن القسطنطينية (إسطنبول) تصوب كل الأحكام المسبقة... فزي الأتراك وثيابهم من أبشع أشكال الثياب والأزياء في العالم. وبطبيعة الحال فإن الأتراك شعب يستحق هذه الثياب البشعة. وإن الحضارة الغربية ليست جميلة فحسب، وإنما هي في الوقت ذاته الحضارة الوحيدة»[٦٤].

ولا بد أن نأخذ بعين الاعتبار اللاوعي الجماعي الغربي في مسألة فهم ظاهرة الإسلاموفوبيا. حيث إن المسيحيين يواجهون صدمة نفسية (جرحاً نفسياً) قوية سببتها انهزاماتهم وتراجعهم وتقهقرهم المستمر أمام المسلمين حتى القرن السادس عشر الميلادي، وهذه حقيقة لا يمكن تجاهلها[٦٥]. وهذا الهاجس لم ينته إلى الآن، وإنما رُحل إلى منطقة اللاوعي الجماعي. ومن المعلوم أن اللاوعي الجماعي يستمر بتأثيره في السلوك والتصرفات لدى الإنسان. وهو كذلك في الواقع. وإلى جانب ذلك فإن الاكتشافات الجغرافية والثورة الصناعية قد جلبت معها الأخلاق الاستعمارية لدى الغربيين. وإن أوروبا التي عادت مع عصر النهضة إلى الأخلاق الرومانية مجدداً[٦٦] قد عملت في عملية بناء العالم الجديد وضمن تلك المرحلة على رد العلاقة بين الإنسان والميتافيزيقيا (ما وراء الطبيعة)، وانتقلت إلى الاهتمام بالعلاقة بين الإنسان والإنسان، هذه العلاقة التي تقوم على النفعية والشهوات والملذات الدنيوية. وعندما التقت هذه الحالة مع المنطق الاستعماري دفعت بأمريكا التي أكملت دورة تطورها وارتقائها إلى استعباد الشعوب الأفريقية والآسيوية تحت غطاء «جلب الحضارة والمدنية»، واستغلال الثروات الباطنية وخيرات هذه الشعوب دون مبالاة بمصيرها. لقد دفع الأوروبيون بالفظائع والمظالم والأعمال الوحشية التي ارتكبوها سواء في المرحلة الاستعمارية أم خلال الحربين العالميتين إلى منطقة لاوعيهم.

(٦٣) Göka, 2016.

(٦٤) akt. Kalın, 2016: 245.

(٦٥) Göka, 2016: 102; Kirman, 2010: 25-26.

(٦٦) Esed, 2011.

وفضلاً عن ذلك فإنهم لم يتواجهوا ولم يستطيعوا أن يتواجهوا مع الصدمات النفسية الناجمة عن الوحشية التي ظهرت في فترة الاستعمار وفي الحربين العالميتين. وحتى إنهم دخلوا في محاولة البحث وخلق عدو مشترك (كبش فداء) متناسين التوترات القائمة فيما بينهم. وأفضل كبش فداء في هذه المرحلة هو دين الإسلام والمسلمون[٦٧].

قام المسيحيون وعلى رأسهم الأمريكيون والأوروبيون أولاً بإخفاء الأعمال الوحشية التي اقترفوها بحق الإنسانية بما ذلك الحروب العالمية والسياسات الاستعمارية والأحكام المسبقة التاريخية بحق الإسلام والمسلمين، وذلك عن طريق آلية الإنكار، ثم تحولوا فيما بعد إلى عملية تحويل جرائمهم إلى المسلمين وإلصاقها بهم عن طريق آلية العَكْس[٦٨]. وقد ساندهم الوضع الراهن في هذا الأمر. حيث إن المسلمين اليوم ومع عصر العولمة ينتشرون في كل أنحاء العالم. والمسلمون يشكلون، خاصة في أوروبا، أكبر تجمع ديني بعد المسيحيين. ومعلوم أن أصول أغلب المسلمين الموجودين في أوروبا تعود إلى آسيا، وأفريقيا الشمالية، والشرق الأوسط. وبالإضافة إلى ذلك فإن تكيف الشعوب المسلمة مع المجتمع الذي يعيشون فيه في أوروبا واندماجهم معه يختلف من بلد لآخر[٦٩].

لقد أوجدت أوروبا وأمريكا في البداية مصطلح الإسلام المعتدل، ثم طورت الأمر فخرجت بمصطلح الإسلام الأوروبي، وكأنها أرادت بذلك ترويض الإسلام وتشكليه وفق النمط الذي ترغب فيه. ولما ثبت إخفاق هذه المخططات ولم تؤت أكلها تسارعت وتيرة الإقصاء والنبذ بحق المسلمين. لأن الأوروبيين يرون أن القيم الإسلامية لا تنسجم ولا تتفق مع الديموقراطية الغربية وحقوق الإنسان. وهنا نجد أنه لا مفر لنا من إجراء نقد ذاتي داخلي. فللمسلمين أنفسهم دور في ظهور التصورات والأحكام المسبقة والصور النمطية السلبية تجاههم. ومن الظواهر الموجودة في بعض المجتمعات المسلمة التي تدعم وتثير هذه التصورات السلبية بحقهم هي تقييد حقوق المرأة وجرائم الشرف[٧٠]. وهنا يمكن القول إن مصدر الخوف الأساس لدى الغربيين هو عدم تكيف المسلمين الذين يزداد عددهم في العالم الذي أسسه الأوربيون لأنفسهم مع قيم هؤلاء الأوروبيين، وحتى النظر إلى هؤلاء نظرة العدو. تبين الدراسات والأبحاث التي أجريت حول «العنصرية والإسلاموفوبيا والتمييز والكراهية المتزايدة في أوروبا» أن أعداد المسلمين في أوروبا كانت قرابة ثمانمئة ألف مسلم في الخمسينات من القرن العشرين، بينما وصل هذا الرقم اليوم إلى ثلاثة وعشرين مليوناً تقريباً. وبذلك فإن المسلمين يشكلون نسبة ٥ , ٤٪ من المجتمع الأوروبي. وكل عام يهاجر إلى أوروبا ما يقارب المليون مسلم. وإن نسب مواليد المسلمين في أوروبا تفوق غير المسلمين بثلاثة أضعاف. وحسب التقديرات فإن نسبة

(٦٧) Göka, 2016: 103-104.

(٦٨) Göka, 2016; Kirman, 2010.

(٦٩) Kirman, 2010.

(٧٠) UHİM, 2005.

المسلمين في أوروبا حتى عام ٢٠٥٠ سوف تشكل ٢٠٪ من سكانها. وهذه الحالة لا تعني ازدياد عدد المسلمين، وإنما تعني زيادة عدد سكان أوروبا أيضاً. لذا فإنه يبدو وكأن هناك علاقة وثيقة بين تصاعد وتيرة الإسلاموفوبيا لدى الأوروبيين، وبين ازدياد عدد المسلمين الموجودين، وعدد المهتدين (أتباع الأديان الأخرى الذين يدخلون الإسلام)[٧١]. لقد صار المسلمون ابتداءً من النصف الثاني للقرن العشرين وللأسباب المختلفة التي ذكرناها الآخرون في أوروبا بعد اليهود. بحالة تدرج وتطور من معاداة السامية إلى الإسلاموفوبيا.

نهاية التاريخ، أم صراع الحضارات؟

يبدو لنا أن القرن التاسع عشر والقرن العشرين هما الفترة التي تخلف فيها المسلمون تخلفاً شاملاً، وذلك على الصعيد العلمي والسياسي والاجتماعي والعسكري، وفقدوا خلالها ميزتهم التي تجعلهم العامل المحدد لوجهة التاريخ ومساره. وخلال هذه الفترة زاد الأوروبيون من أنشطتهم وأعمالهم الاستعمارية بوتيرة هائلة، وذلك في ميدان: النفط، ومصادر الثروة والطاقة الطبيعية وقوة العمل. وقد استُخدم المسلمون خلال سنوات الحرب الباردة كقوة مسلحة وورقة ضغط ملائمة وفعالة في مواجهة الاتحاد السوفيتي (اتحاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية). وإن إعلان الرأسمالية الليبرالية، التي تشكل الولايات المتحدة الأمريكية محورها الأساس، هيمنتها المطلقة على العالم كله؛ أي القضاء على تهديد الاتحاد السوفيتي، كان بمثابة إفلاس الأيديولوجيات، وإعلان نهاية التاريخ بحسب تعبير الفيلسوف السياسي الأمريكي فوكوياما Fukuyama (٢٠١٦). ولما ظهرت الحاجة إلى إيجاد آخر قوي لهذا النظام الذي تأسس حديثاً أُقحم الإسلام والمسلمون في الأمر، وسُلطت الأضواء عليهم. وإن نظرية صدام الحضارات هي الأخرى تصب في هذا الاتجاه[٧٢]. فالحضارات المتصادمة والمتصارعة المقصودة هنا هي في الواقع الحضارة الإسلامية والحضارة المسيحية، وليست حضارات أخرى. فالغرب بدأ عن طريق مفهوم «نحن» و«هم» الذي أعاد إحياءه وإنتاجه بالتعريف عن نفسه، وعمل خلال هذه المرحلة على إعادة إحياء مخاوفه وهواجسه التاريخية المترسبة في لاوعيه الجماعي وتجديدها، وبذلك توجه إلى الإعلاء من شأن هويته الاجتماعية بخلق طرف آخر قوي. وبرأينا أن الغربيين عملوا على إنشاء عدو مفترض غير موجود في الوقت الحاضر إلا أنهم يتصارعون معه ويحاربونه وكأنه موجود من أجل عدم ظهوره مستقبلاً. إنهم يتخذون تدابير قاسية ومكثفة، ويبذلون جهوداً كبيرة، ويخوضون صراعاً مريراً للحيلولة دون عودة الحضارة الإسلامية التي يرون أنها بديلة عنهم إلى الحياة مجدداً.

إذا ما تناولنا صراع الحضارات في هذا السياق نجد أن أحداث الحادي عشر من أيلول تتمتع بأهمية مركزية في تصاعد وتيرة ظاهرة الإسلاموفوبيا. إلا أن هذا التاريخ لا يشير إلى ولادة ظاهرة إسلاموفوبيا غير

(٧١) UHİM, 2005; PEW FORUM, 2010.

(٧٢) Huntington, 2014.

موجودة في الذهن الغربي، وإنما يشير إلى إعادة تجديد معاداة الإسلام الموجودة أساساً، وتسويقها ونشرها على نطاق عالمي[٧٣]. ومصداق ذلك التقرير الذي نشر عام ١٩٩٧ تحت عنوان : « Islamophobia: A Challenge For Us All الإسلاموفوبيا هي التحدي الأول لنا جميعاً»، فهذا التقرير يُعد دليلاً قاطعاً على أن ظاهرة الإسلاموفوبيا ليست وليدة أحداث ١١ أيلول، وإنما موجودة منذ فترات تاريخية سابقة. ويشير هذا التقرير إلى أن معاداة الإسلام والخوف منه موجود في وعي الإنسان الغربي منذ قرون طويلة، إلا أنها وصلت إلى أبعاد خطيرة خلال السنوات العشرين الأخيرة. لقد استخدم مصطلح «الإسلاموفوبيا» لأول مرة في هذا التقرير، وقد تم تصوير الإسلام في الذهن الغربي عن طريق منهج تحليل الخطاب بالشكل الآتي:

١) الإسلام كتلة واحدة مترابطة ومتجانسة (monolithic). ولهذا فإنه دين مختلف عن الأديان، وغير قابل للتغيير.
٢) الإسلام دين مختلف ومتميز تماماً من غيره من الأديان، وليست له قيم مشتركة مع الثقافات الأخرى أبداً، وبهذا المعنى فإنه «الآخر» تماماً.
٣) الإسلام في نظر الغرب دين «حقير»، و«دنيء»، و«همجي»، و«غير عقلاني»، «بدائي»، ويعمل على «التمييز بين الجنسين».
٤) الإسلام «عدو»، و«عديم الرحمة»؛ ودين يقوم على «العدوان»، و«العنف»، و«يدعم الإرهاب»، و«يحض على الصراع بين الحضارات».
٥) الإسلام أيديولوجيا سياسية ماكرة تُستخدم معتقداتها لتحقيق المصالح السياسية والعسكرية.
٦) انتقادات المسلمين بحق الثقافة الغربية لا تتمتع بأية أهمية، ولا تستحق التوقف عليها، ومرفوضة جملة وتفصيلاً.
٧) الإسلام دين إقصائي وتمييزي لأنه ينبذ المسلمين الذين لا ينتمون إلى التيار الرئيس (أي التيار السني).
٨) ولهذه الأسباب فإن معارضة الإسلام ومواجهته أمر طبيعي وعادي[٧٤].

إن تطابق الأحكام المسبقة المهينة والسلبية المستخدمة بحق الدين الإسلامي والمسلمين في التقرير المذكور مع الأحكام المسبقة التي تشكلت في التاريخ وانتقلت إلى عصرنا الحالي أمر ملفت للانتباه من ناحية دلالاته على خاصية الاستمرارية والديمومة الموجودة في الصور النمطية.

يتبين من مختلف التقارير أن الإسلاموفوبيا أصبحت بعد أحداث ١١ أيلول حالة ظاهرة ومنتشرة في أوروبا وفي الولايات المتحدة الأمريكية. فمثلاً أُخضع المسلمون في ألمانيا لدى خروجهم إلى صلاة الجمعة إلى عملية مراقبة وتفتيش جماعية وصلت إلى درجة المضايقة والتحرش. وتبين من الدراسات والأبحاث التي أجريت أن المسيحيين ينظرون إلى المهاجرين المسلمين الذين يعيشون في أوروبا على أنهم تهديد وخطر داهم،

(٧٣) Kirman, 2010: 24.
(٧٤) akt. Kirman, 2010: 24.

ولا يرغبون بوجودهم في أوروبا[٧٥]. ويعاني المسلمون الموجودون في لندن من حالات مشابهة[٧٦]. وكان من إحدى الدراسات التي تناولت أبعاد التمييز العنصري الذي يواجهه المسلمون بسبب ظاهرة الإسلاموفوبيا وجوانبه في التقرير الذي نشره «اتحاد هلسنكي الدولي لحقوق الإنسان» عام ٢٠٠٥. إذ تشير النتائج المأخوذة من إحدى عشرة دولة إلى أنه يُنظر إلى المسلمين على أنهم «العدو الداخلي»، وإلى ازدياد الحركات المناهضة والمعادية للإسلام، وأن كل شخص من خمسة أشخاص يرفض طلبه في العمل بسبب اسمه العربي[٧٧]. وحسب دراسة مشابهة أجراها ويلهام هايتماير Wilhelm Heitmeyer حول الإسلاموفوبيا فإن ٥ , ٢٨٪ من الألمان يطالبون بمنع هجرة المسلمين إلى ألمانيا. وازدادت هذه النسبة ٥ , ٤٪ خلال أربعة أعوام. وكذلك أثبتت الدراسة أن ٨٠٪ من الألمان يماثلون كلمة «الإسلام» ويساوونها مع «التعصب»، و«اضطهاد المرأة»[٧٨]. وأعدت منصة «بلجيكا لحقوق المسلم» تقريراً في المضمار ذاته يبيّن أن الوضع لا يختلف كثيراً في بلجيكا أيضاً. حيث سجل هذا التقرير ٧١٣ حالة تمييز عنصري وقعت ضد المسلمين في العام الواحد. وإلى جانب ذلك فقد تبين في «التقرير الذي أعدته (ORİV) حول ظاهرة الإسلاموفوبيا والعنصرية في البلدان الأوروبية الناطقة بالفرنسية» أنه: ما يزال مستوى الأعمال المعادية والمناهضة للمسلمين غير معروف بشكل تام؛ لأن الإحصاءات الموجودة غير كافية. وتشير نتائج الدراسة التي نشرت تحت عنوان «الدين في وسائل الإعلام: ٢٠١٠» من قبل منظمة المجتمع المدني « The Pew Research Center's Forum on Religion and Public Life» في الولايات المتحدة الأمريكية إلى أن الإسلام والمسلمين هم أكثر من تم تناولهم في الأخبار ذات الموضوعات الدينية المذاعة في الإعلام الأمريكي عام ٢٠١٠، وبالإضافة إلى ذلك فإن التقرير يشير إلى أن محتوى الأخبار المتعلقة بالمسلمين تم تقديمه بشكل يشتمل على عنصر العنف أكثر من غيرها من الأخبار المتعلقة بالمعتقدات والأديان الأخرى. وكذلك بيّن التقرير أن ٣٥٪ من الشعب في أمريكا يصف الدين الإسلامي والمسلمين بصفات سلبية[٧٩].

تدل هذه البيانات والمعطيات على أن ظاهرة معاداة الإسلام ومعارضته، وما يترافق مع ذلك من تصور للمسلمين كتهديد وخطر محدق، تزداد يوماً بعد يوم. وانطلاقاً من ذلك يمكن القول: إن الأحكام المسبقة التاريخية اكتسبت استمرارية وديمومة من خلال إعادة تجددها وتحديثها مع الظروف الجديدة.

ما دور المسلمين في ظاهرة الإسلاموفوبيا؟

عندما يحكم الغربيون على الإسلام والمسلمين فإنهم يجنحون إلى عملية انتقائية في اختيار الدلائل

(٧٥) Open Society Institute, 2009.

(٧٦) Open Society Foundations, 2012.

(٧٧) Canatan, 2007: 38.

(٧٨) Yavuzcan, 2007: 316.

(٧٩) İKV Değerlendirme Notu, 2012.

والصور، حيث دائماً ما يختارون النماذج السلبية ويعممونها على جميع المسلمين. وإنهم يكنون الكراهية للمسلمين ويعدّونهم عدواً لهم، ومن ثم لا يرغبون في رؤيتهم في أوروبا وأمريكا، أي في البلدان والمناطق التي تهيمن عليها الثقافة المسيحية. وإن الأحداث الأخيرة التي جرت في آراكان تشير إلى أن البوذيين بدورهم استسلموا لظاهرة الإسلاموفوبيا أيضاً. وإن التجهيل المعلوماتي[٨٠] بحق المسلمين، وخاصة في ميدان الصحف وقنوات التلفزة الفضائية وشبكة الانترنت، يلعب دوراً بارزاً في تزايد هذه الظاهرة. وعند تحليل الحالة الراهنة يمكننا القول وبكل سهولة: إن الإسلاموفوبيا التي تتغذى من العوامل السياسية والاجتماعية والاقتصادية والنفسية قد هيمنت على المسيحيين، بل تحولت لديهم إلى ظاهرة مرضية (رهابية) على الصعيد العاطفي والفكري. وهنا لا بد لنا من التساؤل الآتي: هل أعطى المسلمون ذرائع كثيرة للمسيحيين في مجال نمو ظاهرة الإسلاموفوبيا وانتشارها؟ وإننا مضطرون للأسف للإجابة عن هذا التساؤل بـ«نعم». وانطلاقاً من ذلك يمكننا القول: لا شك أنه يجب انتقاد ظاهرة الإسلاموفوبيا التي أنتجها الذهن الغربي والنتائج السلبية وغير المرغوبة المترتبة عليها، والتنديد بها؛ ولكن في الوقت ذاته لا ينبغي غض النظر هنا، وخاصة في عصرنا الحالي، عن الإسهامات والأدوار السلبية التي لعبها المسلمون في هذه العملية سواء بوعي أم بغير وعي. فالتغاضي عن المصائب والأزمات التي تعصف بالعالم الإسلامي، وغض الطرف عن الخطوات الرجعية التي تحول الدين والتدين المنتج للقيم والحضارة إلى بنية أو عملية هادمة ومستهلكة للقيم والحضارة، والاكتفاء باتهام الغرب يُعد ضعفاً وإخفاقاً وعجزاً خطيراً للمسلمين[٨١].

لا ريب أن هذا الوضع شديد الصلة بمسألة التغير الاجتماعي والتجديد والتحول إلى الحداثة. حيث إنه في مرحلة العولمة التي تعرض خلالها نظام هوية الفرد بأكمله لاهتزاز وصدمة شديدتين تصبح الرموز والمعاني الثقافية والدينية، التي من شأنها توفير الإحساس بالانتماء، مبهمة وغامضة باستمرار[٨٢]. وهذا الأمر يجلب معه حالات وظواهر خطيرة مثل: الاغتراب والانصهار وفقدان القيم وتآكل القيم. فيبرز تياران مختلفان يقصي أحدهما الآخر، وذلك على الصعيد السياسي والاقتصادي والثقافي والنظري والأخلاقي؛ أولهما تيار (منفتح على الخارج)، يميل إلى الحداثة والتطور على النمط الغربي الأوروبي تماماً، وثانيهما تيار (منغلق على الداخل) يميل إلى التمسك بالتراث كلياً. ووفقاً ل لقمان Luckmann[٨٣] فإن القيم والمعتقدات التي تشمل وتحتضن الحياة بكليتها تفقد في هذه المرحلة خاصيتها هذه، وتتحول إلى معايير جزئية. وبالإضافة إلى ذلك فإن الهويات الدينية الاجتماعية تتخذ في هذه المرحلة حالة ضبابية من جهة، ومن جهة أخرى تلجأ إلى المقاومة الفعلية ضد مرحلة ما بعد الحداثة التي تحولت إلى إمبريالية عالمية تشعر هذه الهويات في الأصل أنها تشكل ضغطاً وتهديداً لها. وتظهر هذه المقاومة في كثير من الأحيان في أعمال وأنشطة تتضمن العنف. وبعبارة أخرى: إن المسلمين في

(٨٠) Avcı, 1990.
(٨١) Yapıcı, 2009.
(٨٢) Sayar, 2003.
(٨٣) ٢٠٠٣: ٣٤.

مناطق جغرافية مختلفة يتحدَّون الثقافة الغربية والقوى الإمبريالية بأعمال وأنشطة تحتوي على العنف والإرهاب. ولكن لكون هذا الشكل من التحدي ليس في ميدان العلم والإلهيات والفلسفة والفن والأدب، ومقتصراً على ردود أفعال قولية أو فعلية تتضمن العنف فقط، فإنه يؤدي إلى تصاعد وتيرة الإسلاموفوبيا أكثر. ولا بد هنا من التذكير أيضاً بنقاط ضعف المسلمين الناتجة عن تخلفهم وتراجعهم في مسائل أو مجالات عدة أخرى مثل: العيش المشترك والديمقراطية وحقوق الإنسان. حيث إن الإخلال بهذه القيم التي تُعد من الشروط أو الأمور الضرورية للعالم الحديث يُضاف كدليل جديد على الإسلاموفوبيا الموجودة أساساً. وهنا أرى أن محاربة ظاهرة الإسلاموفوبيا ومكافحتها لا تكون بانتقاد الغرب المسيحي، وتخطئة فكره، وتوجيه اللوم إليه بالقول: «إنكم مخطئون بفكركم وتصوراتكم»، وإنما من الأولى إلى جانب ذلك مواجهة أنفسنا بتساؤل: «أين نقف نحن من هذه المسألة؟».

النتيجة والمقترحات:

حسب الأسئلة الواردة في بداية البحث التي نبحث عن إجاباتها يمكننا القول:

إن ظاهرة الإسلاموفوبيا التي تتضمن الأحكام المسبقة والتمييز تمتد بجذورها إلى العصور التي تغلب فيها الإسلام على المسيحية وشكل تهديداً للهوية المسيحية. وإن الحروب والحملات الصليبية هي شكل الإسلاموفوبيا وذروته في تلك الفترة. وإلى جانب ذلك فإن أحداث ١١ أيلول لعبت دوراً بارزاً ورئيساً في إعادة إنتاج الإسلاموفوبيا في عصرنا الحالي. ومع أن أحداث ١١ أيلول هي الوجه المرئي للإسلاموفوبيا، إلا أنها في الواقع ما كانت إلا تمهيداً لظهور الخوف والكراهية الكامنين والمختمرين في اللاوعي منذ زمن طويل.

وإن الإسلاموفوبيا التي أبدعها العقل الغربي ليست عبارة عن أحكام مسبقة موجهة للمسلمين فقط، وإنما تتضمن إهانة للمسلمين وإقصاءً وتمييزاً، وإنكاراً لحقهم في الحياة، وباختصار هي عدّ المسلمين أعداء بكليتهم؛ لأنه ينظر إلى الإسلام والمسلمين على أنهم تهديد حيوي للمسيحية والمسيحيين.

ولا شك أن هناك تشابهاً كبيراً بين الأحكام المسبقة التي كانت موجودة ضد الإسلام والمسلمين عبر التاريخ، وبين الإسلاموفوبيا الموجودة في عصرنا الحالي. والأبعد من ذلك هو أنه تتم إعادة إنشاء العداوة للإسلام والمسلمين وتجديدها بإضافة المخاوف والهواجس والأحكام المسبقة المستحدثة على الرواسب التاريخية. فالإسلاموفوبيا التي ظهرت ملفوفة بالإعجاب والكراهية عندما كان المسلمون في أوج قوتهم في الميادين الاقتصادية والسياسية والفنية والصناعية والعسكرية تخلصت من الإعجاب مع فقدان العالم الإسلامي لقوته القديمة، ووصلت إلى الكراهية فقط. وهذا ناتج عن اغترار الإنسان الغربي بنفسه وبالحضارة التي أنشأها، وتصوره أنها الحضارة المثلى والوحيدة والمطلقة التي لا نظير لها. وفي الحقيقة فإن الآخر اللازم لهذه الحضارة، الذي يحمل في داخله الطاقة والقوة البديلة هو الإسلام.

من غير الممكن في الوضع الراهن القضاء على الإسلاموفوبيا وإنهاؤها بصورة مطلقة. لأن هناك عوامل وأسباباً كثيرة شكلت الإسلاموفوبيا في سياق الأحكام المسبقة والتمييز، وغذتها ونمتها، وقوتها وصلبتها حتى صارت بحالة غير قابلة للكسر بسهولة. ومن هذه العوامل والأسباب: الظروف التاريخية، والأعراف والتقاليد الثقافية، والعائلة، والتربية والتعليم، والكتب المدرسية، والمعلمون، ورجال الدين، والتعاليم الدينية، وسائل الإعلام المكتوبة منها والمسموعة والمرئية، والسياسيون، والسياسات الداخلية والخارجية وغيرها. فيجب على المسلمين بذل أقصى جهودهم والعمل بكل طاقتهم من أجل مكافحة آثار هذه العوامل السلبية ومحاربتها، وإعادة إنشاء حضارة إسلامية قائمة على العشق والمحبة والتسامح والفضيلة والعدالة. ولا بد لتحقيق ذلك من بناء أساس متين في ميادين العلم والصناعة والتقنية الحديثة والفن والأدب والعلوم الشرعية والإلهيات والفلسفة. ويجب تحويل المعلومة إلى حالة محلية دون إقصاء ونبذ الغرب. ومن الأهمية بمكان الابتعاد عن التعليم والتعاليم الدينية التي أصبحت جزءاً من الماضي ولا تخاطب عصرنا الحالي. وإن تكوين نموذج الإنسان والمجتمع القائم على أساس الوحدة التي جاء بها الإسلام شرط ضروري لا بد منه للحضارة الإسلامية. وفي هذا السياق يجب إعلان حالة النفير العام من قبل المؤسسات والهيئات والتشكيلات كافة لتأمين الوحدة بين القلب والعقل، وبين المادة والمعنى، وبين الروح والبدن، وبين الطبيعيات وما وراء الطبيعة، وبين العلم والدين، وبين الدنيا والآخرة، وبين الشكل والجوهر. وإن تحقيق القوة في السياسة والاقتصاد من شأنه إتاحة إمكانية التخلص من العقد النفسية والشعور بالنقص تجاه الغرب. لأنه لا يمكن لذهن مصاب بالعقد النفسية والشعور بالنقص إنشاء الحضارة.

المراجع:

- Arkonaç, S. A. (1998). Sosyal Psikoloji. İstanbul: Alfa Basım-Yayım Dağıtım.
- Avcı, N. (1990). Enformatik Cehalet - Kitle Kültürü. İstanbul: Rehber Yayınları.
- Aydın, M. (2001). Monologdan Diyaloga: Çağdaş Hıristiyan Düşüncesinde Müslüman Hıristiyan Diyalogu. Ankara: Ankara Okulu Yayınları.
- Bakırcıoğlu, R. (2012). Ansiklopedik Eğitim ve Psikoloji Sözlüğü. Ankara Anı Yayınları.
- Baki, A. (2002). Yahudilik ve Hıristiyanlık Açısından Diğer Dinler. İstanbul: Pınar Yayınları.
- Bilgin, N. (1996). İnsan İlişkileri ve Kimlik. İstanbul: Sistem Yayıncılık.
- Budak, S. (2009). Psikoloji Sözlüğü. Ankara: Bilim Ve Sanat Yayınları.
- Canatan, K. (2007). İslamofobi ve Anti-İslâmizm: Kavramsal ve Tarihsel Yaklaşım. K. Canatan & Ö.Hıdır (Ed.) Batı Dünyasında İslamofobi ve Anti-İslâmizm içinde (ss. 19-63). Ankara: Eskiyeni Yayınları.
- Coşar, F. M. (2000). Din Savaşları. İstanbul: Büke Yayıncılık.
- Esed, M. (2011). Yolların Ayrılış Noktasında İslâm (Çev. H. Karaman). İstanbul: İz Yayıncılık.
- Fukuyama, F. (2016). Tarihin Sonu ve Son İnsan.(Çev. Z. Dicleli). İstanbul: Profil Yayınları.
- Giddens, A. (2000). Sosyoloji. (Yay. Haz. H. Özel & C. Güzel), Ankara: Ayraç Yayınları.
- Gorsuch, R. L. (1998). Din Psikolojisi (Çev. Ali Kuşat). Erciyes Üniversitesi İlahiyat Fakültesi Dergisi 10, 226-248.
- Göka, E. (2016). Mutedil Müslümanların Günümüzdeki Düşmanları. İstanbul: Kapı Yayınları.
- Harlak, H. (2000). Önyargılar: Psikososyal Bir İnceleme. İstanbul: Sistem Yayıncılık.
- Hıdır, Ö. (2007) Tarihte Bir 'Anti-Islamist' Olarak Martin Luther. K. Canatan & Ö. Hıdır (Ed.) Batı Dünyasında İslamofobi ve Anti-İslâmizm içinde (ss. 145-178). Ankara: Eskiyeni yayınları.

- Hortaçsu, N. (1998). Grup İçi ve Gruplar Arası Süreçler. Ankara: İmge Kitabevi.
- Huntington, S. (2014). Medeniyetler Çatışması (Çev. M. Yılmaz). İstanbul: Vadi Yayınları.
- İKV Değerlendirme Notu. (2012). 13 Dakika 51 Saniye'de İslamofobi (Haz. M. Önsöz). İktisadi Kalkınma Vakfı. (www.ikv.org.tr).
- Kalın, İ. (2016). Ben, Öteki ve Ötesi. İstanbul: İnsan Yayınları.
- Karslı, N. (2013) İslamofobi'nin Psikolojik Olarak İncelenmesi. Dinbilimleri Akademik Araştırma Dergisi 13 (1), 75-100.
- Kirman, M. A. (2010). İslamofobinin Kökenleri: Batılı mı Doğulu mu? İslâmî Araştırmalar 21 (1), 21-39.
- Lewis, B. (1996). İslâm Dünyasında Yahudiler (Çev. B. S. Şener). Ankara: İmge Kitabevi.
- Loewenthal, K. (2017). Din Psikolojisi: Kısa Bir Giriş (Çev. Mustafa Ulu). Kayseri: Kimlik Yayınları.
- Luckmann, T. (2003). Görünmeyen Din: Modern Toplumda Din Problemi (Çev. A. Çoşkun & F. Aydın). İstanbul: Rağbet Yayınları.
- Miles, R. (2000). Irkçılık (Çev. S. Yaman). İstanbul: Sarmal Yayınevi.
- Noelle-Neumann, E. (1995). Kamuoyu Suskunluk Sarmalının Keşfi (Çev. M. Özkök). Ankara: Dost Kitabevi.
- ORİV/Organisation Islamophobia Watc. (2014). Fransızca Konuşulan Avrupalı Ülkelerde Islamofobi ve Irkçılık Üzerine Hazırlanan Rapor. Strasbourg.
- Öğütçü, M. (1997). Batı İslâm Ve Türkiye: Önyargılı Hıristiyanlar. Milliyet, 18 Nisan 1997.
- Parry, V. J. (1988). Savaşçılık. (Çev. Y. Yazar). P. M. Holt, A. K. S. Lambton & B. Lewis (Ed.) İslâm Kültür Ve Medeniyeti 5 içinde (ss. 399-422). İstanbul: Hikmet Yayınları.
- Sayar, K. (2003). Küreselleşmenin Psikolojik Boyutları. http://psikiyatri.net/links2/pages/Detailed/91.shtml
- Şerif, M. & Şerif, C. W. (1996). Sosyal Psikolojiye Giriş I-II (Çev. M. Atakoy & A. Yavuz). İstanbul: Sosyal Yayınları.
- UHİM (2005). Avrupa'da Yükselen Ayrımcılık, Nefret, İslamofobi ve Irkçılık (Haz. A. Temel, A. Küçük, H. Türkan, M. H. Alkan, M. Karaca, M. E. Altındiş, M. Özkaya, Ö. Özçelik & V. Başar). İstanbul: Uluslar Arası Hak İhlalleri İzleme Merkezi Yayınları.
- URL1. Http://www.Yenisafak.Com.Tr/Roportaj/Obama-Da-İslamofobiyi-Guclendirdi-568827
- Vanbeselaere, N. (1999). Gruplar Arası Davranışın Sosyal Psikolojik Analizi: Bireyci Bir Yaklaşımdan Sosyal Kimlik Yaklaşımına. S. A. Arkonaç (Ed.) Gruplar Arası İlişkiler ve Sosyal Kimlik Teorisi içinde (ss. 1-38). İstanbul: Alfa Basım-Yayım.
- Watt, W. (2002). Dinlerde Hakikat: Sosyolojik ve Psikolojik Bir Yaklaşım (Çev. A.V. Taştan & A. Kuşat). İstanbul: İz Yayıncılık.
- Watt, W. M. (1988). Hz. Muhammed (Çev. İ. Kutluer), P. M. Holt, A. K. S. Lambton & B. Lewis (Ed), İslâm Tarihi Kültür Ve Medeniyeti I içinde (ss. 45-70). İstanbul: Hikmet Yayınları.
- Yapıcı, A. & Albayrak K. (2002). Ötekini Algılama Bağlamında Dini Gruplar Arası İlişkiler. Dini Araştırmalar 5, 35-60.
- Yapıcı, A. (2004). Din Kimlik ve Ön Yargı: Biz ve Onlar. Adana: Karahan Kitabevi.
- Yapici A. (2009). Küreselleşme ve Değerler Krizi. DEM Dergi 3, 14-18.
- Yavuzcan, H. G. (2007). Almanya'da İslamofobi. K. Canatan ve Ö. Hıdır (Ed.) Batı Dünyasında İslamofobi ve Anti-İslâmizm içinde (ss. 309-329). Ankara: Eskiyeni Yayınları.

تأثير الإسلاموفوبيا على الدراسات الإسلامية*

أ.د. جميل حقيمز

جامعة هيتيت – كلية الإلـهيات؛ قسم تاريخ المذاهب الإسلامية: chyemez@gmail.com

الخلاصة:

تؤثر قضية معاداة الغرب للإسلام – والتي يطلق عليها الآن الإسلاموفوبيا – على عمل المفكرين المسلمين بشكل سلبي، كما توثر في كثير من النواحي الأخرى. وبدأ الباحثون المسلمون في الغرب بالتخلص في أواخر القرن العشرين من نفسية الحياة الاستعمارية التي كانوا يعايشونها منذ فترة طويلة، فواجهوا فجأة اتهامات بالإرهاب، ما أدى لنشوء تأثيرات سلبية عليهم مرة أخرى. وأحد أهم المؤشرات على ذلك هو ظهور النهج الدفاعي – والذي ينظر إلى القضايا من زاوية علم النفس من منظور الإحساس بالذنب– في الدراسات الحديثة للباحثين المسلمين. ونتيجة لذلك الأمر نعتقد أنهم –أي الباحثين المسلمين– بحاجة إلى دعم علمي ومؤسسي يساعدهم على التخلص من هذه الصدمة النفسية. ولا شك أن وصول كليات الشريعة في تركيا– التي تستضيف الآلاف من الباحثين والتي تعمل في إطار الأساليب العلمية المعاصرة– إلى مرحلة تقديم إسهامات جادة حول هذا الموضوع هام جداً.

الكلمات المفتاحية: الإسلاموفوبيا، الدراسات الإسلامية

İslamofobinin İslâm Araştırmaları Üzerindeki Etkisi

ÖZET

Günümüzde İslamofobia ismiyle anılan Batı'nın İslâm karşıtlığı meselesi, pek çok açıdan olduğu gibi Müslüman düşünürlerin çalışmalarını da olumsuz yönde etkilemektedir. Batı'daki Müslüman araştırmacılar, uzun süreli sömürge yaşamının psikolojisinden ancak 20. yüzyılın sonlarında kurtulmaya başlamışken birdenbire terör ithamlarıyla karşı karşıya kalmışlardır. Bu durum onlar üzerinde tekrar olumsuz tesirler oluşturmuştur. Müslüman araştırmacıların son dönemlerde yaptığı çalışmalarda, meselelere suçluluk psikolojisiyle bakan savunmacı bir yaklaşım tarzının görülmesi bunun en önemli göstergelerinden biridir. Bu psikolojik travmadan kurtulmalarına yardım edecek bilimsel ve kurumsal desteğe ihtiyaçları olduğunu düşünüyoruz. İçerisinde binlerce araştırmacı barındıran Türkiye'deki ilahiyat fakültelerinin, çağdaş bilimsel yöntemler çerçevesinde yaptırdığı yeni çalışmalarıyla bu konuda ciddi katkı sağlayabilecek düzeye gelmesi çok önemlidir.

Anahtar Kelimeler: İslamofobi, İslam Araştırmaları

* هذه المقالة هي نسخة معاد تنظيمها من بحثي الذي قدمته في الندوة حول مكان الدراسات الإسلامية في العالم التركي التي نظمتها جامعة أحمد يَسَوِي في كازاخستان في ٢٦–٢٧ أبريل ٢٠١٢.

وهذه هي الترجمة العربية للدراسة بعنوان "İslamofobinin İslâm Araştırmaları Üzerindeki Etkisi" التي نشرت في العدد السّادس من مجلة الإلهيات الأكاديمية. (جميل حقيمز، تأثير الإسلاموفوبيا على الدراسات الإسلامية، الإلهيات الأكاديمية، ٢٠١٧، العدد: ٦، ص ٢٧-٣٦). من الواجب أن يستند في الإقتباس إلى المقالة التركية.

Influence of Islamophobia on Islamic Research

Abstract

In this article, the studies on the reconciliation between Shiism and Sunnism are discussed. In this frame, firstly, books written by some early scholars are mentioned. Secondly, the experience of the Kubraviyyah is emphasized. Later, the Nadir Shah attempted to impose the Jafarite as a Sunni sect, and then the politics of the "Islamic Union" of the Ottoman State were discussed. Later on, the studies of the "Dârü'd-Takrîb" institution were examined in detail. Finally, the approaches related to the subject are included and the evaluations are made in this framework.

Keywords: Islamophobia, Islamic Research

المدخل:

مصطلح «الإسلاموفوبيا» -والذي يعني «الرُّهاب من الإسلام»- استخدم لأول مرة في عام ١٩٩١م. هذه الفكرة -التي يعود تاريخها إلى فتح إسبانيا من قبل المسلمين- احتلت جدول الأعمال لعدة قرون بسبب تقدم الأتراك نحو الغرب والحملات الصليبية الموجهة ضده. وفي الآونة الأخيرة، وخاصة مع تدمير البرجين التوأمين للتجارة في أمريكا في ١١ سبتمبر/ أيلول ٢٠٠١ اكتسبت شعبيةكبيرة مرة أخرى. وفي أعقاب تفكك الاتحاد السوفييتي، تحولت إلى العمود الفقري للصراع العالمي، على غرار مقولة هنتنغتون في «صراع الحضارات».

من المؤكد أن للظاهرة العالمية تأثيراً كبيراً في هذه المرحلة. ومع نهاية العالم ثنائي القطب فإن ما حدث في العلاقات الدولية الجديدة أدى إلى انتشار الحركات الدينية، كما أدى في نفس الوقت إلى استهداف العالم الإسلامي كعدو جديد. حيث أصبح المسلمون عرضة للاستهداف نتيجة تجاوز عدد سكانهم المليار ونصف المليار ونتيجة جهودهم لتولي دور نشيط وفعال في تشكيل العالم الجديد. وهذا الوضع -الذي يعطي صورة قوة دائمة وفعالة- يركز الانتباه على المسلمين من ناحية، وكذلك يزيد الاهتمام بالحركات الإسلامية من ناحية أخرى[١].

الإسلاموفوبيا والدراسات الإسلامية:

لقد عرَّف جزء كبير من العلماء الغربيين الحركات الإسلامية بشكل عام على أنها تيارات أصولية وعنيفة دون إخضاعها لتحليل واقعي. وخاصة الكتاب اليمينيون –مثل: برنارد لويس، وهنتنغتون، وميلر، وفوكوياما – الذين وصفوا هذه التحركات التي ظهرت بين المسلمين بأنها «متطرفة، متعصبة، غير عقلانية، غير متسامحة، إرهابية، غبية» أو «التهديد الأخضر». لقد حاولوا إظهار هذه المفاهيم الموجودة في التاريخ -والتي يستخدمونها بتحيز وكراهية وخوف- مرتبطة بالهجمات العدائية على مركز التجارة العالمي، وحاولوا إظهار جذورها باعتبارها انعكاسات منحدرة بعمق من الجهاد الإسلامي[٢].

(١) John Esposito, *The Islamic Threat: Mythor Reality*, Oxford University Press, 1995, s. 4.

(٢) Kayhan Delibaş, "İslami Fundamentalizmden İslam Fobisine: Batı Dünyasında Gelişmekte Olan İslamophobia Yeni Bir Eşitsizlik Kaynağı Olarak Görülebilir mi?", Bilgi (9) 2004 / 2: 1-41, ss. 7-12.

ومع ذلك، فإن النهضة الإسلامية التي ظهرت في السنوات الأخيرة لها شخصية هادفة لا يمكن تحديدها بالأصولية التي ظهرت في أمريكا في أواخر القرن التاسع عشر، وفي الوقت نفسه تتضمن تلك النهضة مطالب الجماهير الضخمة التي يمكن اعتبارها بريئة عكس ما في أمريكا. ومن ثم فقد ذهب عدد كبير من الناشطين في الحركات الدينية إلى رفض هذه المقارنات التي يبدو أنها نتاج الإرادة السياسية. وفي الواقع حاول معظمهم القول بأنهم بعيدون عن الجماعات الأصولية أو التي يمكن وصفها بأنها أصولية.

الخطابات الدينية والمقاربات لبعض المسلمين والجماعات التي لا تناسب للعصر الحالي – أي: بعض الممارسات التي طرحوها باسم الدين الإسلامي- قد تغذي هذا التفاعل تجاه المسلمين أو الرهاب من الإسلام (الإسلاموفوبيا)(٣). لكن هذا لا يبرر إظهار الكُتَّاب -المذكور أسماء بعضهم في الأعلى- للدين الإسلامي والمسلمين كأعداء للحضارة الغربية والتلاعب بالمفاهيم(٤). على سبيل المثال، ليس هناك شك في أنه إذا تم اتباع مثل هذا النهج اتجاههم –أي: إذا تم تقييم المسيحية من خلال ممارسة العالم المسيحي – فإن النتيجة ستكون أسوأ بكثير ومأساوية. لذا لا يحسن الحكم على الإسلام والمسلمين من خلال ممارسات بعض المسلمين. ومع ذلك، نرى أن الإسلاموفوبيا لا تزال تُستخدَم على نطاق واسع اليوم كأداة لقمع المسلمين. في الواقع، يمكن القول إن هذا المفهوم -الذي لا يختلف عن «الحروب الصليبية» في جوهره- قد واصل وجوده من خلال التحول إلى شكل حديث.

في تقرير رونيميد بعنوان «الإسلاموفوبيا تحدٍ لنا جميعاً»، والذي يبدو أنه قد تم إعداده لإضفاء الشرعية على الإسلاموفوبيا في المملكة المتحدة، فقد طرح بعض المبررات لتسويغ تفكيرهم في هذا الصدد(٥). ووفقاً لهذا، فإنهم يقولون: إن الإسلام هو دين مغلق، وليس له قيم مشتركة مع ثقافات أخرى، وأنه غير عقلاني، ويعاني من التمييز الجنسي، ويفسح المجال للعنف، ودين هلامي مناسب لأغراض سياسية متباينة، وينتقد الفكر الغربي بطريقة غير متسقة، وينظر للتكوينات غير السنية على أنها منحرفة، وبالتالي الرهاب من الإسلام/ الإسلاموفوبيا مسوّغ(٦). بالإضافة إلى ذلك، فإن وسائل الإعلام الغربية تخلق صورة نمطية للمسلمين كمجتمع تحت هوية واحدة يتقاسم نفس الآراء، وتضخم تصور الإسلاموفوبيا في مجتمعاتها الخاصة. وفي هذا الإطار يتم

(٣) Nuri Yılmaz, "Din Tanımları ve İslamofobiye Etkileri", *İslami Yorum (İnternet Dergisi)*, Sonbahar 2010, s. 21.

(٤) لا يوجد في التقاليد الإسلامية والتاريخ الإسلامي أي تمييز كالذي يوجد بين الكنيسة والدولة في الأسلوب الغربي. ولهذا السبب، فإنه يُنظر إلى محاولة الجمع بين الدين والدوائر الرسمية في نظر العديد من الغربيين كمحاولات للتطرف الديني والتزمت. İbrahim Kalın, "Batı'daki İslâm Algısının Tarihine giriş", DİVÂN İlmî Araştırmalar, sayı: 15 (2003/2), s. 46.

(٥) Mehmet Evkuran, "Bir Kimlik Politikası Olarak İslamofobi", s. 9.

(٦) www.runnymedetrust.org.

إحياء الأمور التاريخية في الأذهان، مثل الحروب الصليبية والحصار العثماني في فيينا[٧].

وهناك من يعتقد أن أساس المشكلات بين الغرب والعالم الإسلامي أكثر ذهنية من كونها تاريخية. وخاصة في إطار هذا النهج المزدوج المتعاكس في النظرة الأيديولوجية، حيث يتم تحديد الغرب بقيم مثل العقل والعلم والحضارة والرقي والتطور والتسامح والحرية، في حين يتم تحديد الشرق المسلم مع اللاعقلانية والبدائية وعدم التسامح والتمييز بين الأجيال والشهوة والتقية والعاطفة والقمع والظلم[٨].

ووفقاً لبعض الباحثين الغربيين -وبغض النظر عن الأسباب التاريخية والفكرية- فإن العامل الرئيس وراء الإسلاموفوبيا هو بعض المناهج الدينية بين المسلمين. على سبيل المثال يزعم جون كيلساي أن أساس هجمات ١١ أيلول/ سبتمبر والصراعات الموجودة في العراق مرتبطة بالدين الإسلامي، أي: بفكر الجهاد في الإسلام. ويرى جون كيلساي أن نشاطات المجاهدين الإسلاميين مأخوذة من القرآن الكريم والسنة النبوية وآراء علماء الفترة المبكرة من صدر الإسلام. ومن ناحية أخرى صاغ علماء الإسلام في القرن التاسع والعاشر آراءهم عندما كان الإسلام القوة العالمية المسيطرة، ولم يكونوا تحت أي احتلال أجنبي. لذلك استندوا إلى شكل من أشكال التشريع أحادي الاتجاه يتضمن الصلابة في الأسلوب والخطاب. وفي أيامنا هذه فإن معظم الحكام المسلمين ليس لديهم مشروعية، والمسلمون يعيشون في جميع أنحاء العالم، ودولهم الإسلامية ضعيفة. ويواجه المسلمون اليوم صعوبة في تكييف القواعد القانونية المتخذة في المرحلة المبكرة مع الأحداث المعاصرة.

ووفقاً لجون كيلساي فقد بدأ أول صراع بين المسلمين والغرب في القرن الثامن ابتداء بكتاب السير

(٧) Hossein Godazgar, "İslâm Korkusu-Islamophobia- ve İngiliz Basın-Yayınında Müslümanların Muammalı İmajları", Tercüme: Nuri Tınaz, II. Uluslararası Dinî Yayınlar Kongresi, 05-07 Kasım 2004, Ankara 2005, s. 206. ليس هناك شك في أن النظر للمسلمين الذين يعيشون في أوروبا وأمريكا على أنهم كاليهود الجدد في الغرب قد أدى إلى صدمة خطيرة للغاية عليهم. ومع ذلك – فنتيجة لكل هذه المظالم – نرى بوادر معينة لانفتاح الباب أمام إمكانيات ومزايا جديدة. وأظهر استطلاع أخير أنه على الرغم من احتجاجات ١١ سبتمبر التي استهدفت المعابد الإسلامية، فقد حدثت زيادة كبيرة في عدد المساجد في أمريكا على مدى العقد الماضي. فالمسؤولون عن إعداد الإحصاءات الوطنية صرحوا بأنه قد بلغ عدد المراكز الإسلامية إلى ٢١٠٦ مركزاً، في حين كان عددها ٩٦٢ عام ١٩٩٤، و١٢٠٩ عام ٢٠٠٠. وكشف عن أن حوالي ربع هذه المراكز قد تم فتحها بين عامي ٢٠٠٠ و٢٠١١، على الرغم من أن المسلمين تعرضوا للمساءلة من قبل السلطات الرسمية. وتحولت المظاهرات – التي قلت إلى حد كبير بحيث لا تكاد تجدها في عام ٢٠١٠ – إلى مناقشة الإسلام الوطني والتطرف والحرية الدينية. وفي ولاية تينيسي وولاية كاليفورنيا والولايات الأخرى، بدأت المظاهرات المناهضة للمساجد في الظهور. ووفقاً للبروفيسور إحسان باجبي – الذي يدير البحث – فإن هذه النتائج تدل على أن المجتمع المسلم اتخذ مكانة في المجتمع على الرغم من المواقف المعارضة له. وقال: «هذه علامة على أن الجالية المسلمة – المندمجة في أمريكا – نشأت بطريقة صحية. وأعتقد أن هذه هي أهم رسالة يمكن أن نقدمها للعالم وخاصة للعالم الإسلامي». http://www.timesofummah.com/2012.03.03/American-mosques-increased-dramatically-by-74-after-september-11/.

(٨) Mehmet Evkuran, "Bir Kimlik Politikası Olarak İslamofobi", s. 4; İbrahim Kalın, "Batı'daki İslâm Algısının Tarihine giriş", *DİVÂN İlmî Araştırmalar*, sayı: 15 (2003/2), ss. 33-34; Kayhan Delibaş, "İslami Fundamentalizmden İslam Fobisine", s. 21.

للإمام الشيباني. وهذا الكتاب هو الأول من نوعه الذي قسم العالم إلى قسمين، القسم الأول ما يسمى بدار الإسلام وهم المسلمون، والقسم الثاني ما يسمى بدار الحرب ويقصد به غير المسلمين، والذي حدد حالة المستوطنين وفقا للإسلام(٩).

وكذلك يرى برنارد لويس أن أساس النقد الغربي للإسلام يكمن في جهاد المسلمين ضد الكفار ومشاعرهم ذات الكراهية والغضب والانتقام تجاه الكفار. وفقا له أيضاً فإن التطرف والأصولية هي حقيقة تأتي من الأعماق التاريخية والثقافية للإسلام. لذلك، فتبعاً لخطاب «الجهاد» عند المسلمين فهناك مشاعر مثل الغضب والكراهية والانتقام من الكفار(١٠).

والمسلمون الذين يزداد عددهم يوماً بعد يوم في الغرب هم – بلا شك– الأكثر معاناة وتضرراً من إسلاموفوبيا المنتجة. إنهم ينزعجون إلى حد كبير من التهميش الذي يواجهونه من قبل المجتمع الذي يعيشون فيه وتسميتهم بالمتخلفين والبربريين والمستبدين. ومع ذلك هناك قسم لا بأس به من الغربيين يعدون العداء للإسلام ليس له معنىً وسخيف، وإنهم ينفذون بعض الأنشطة والفعاليات لدعم المسلمين .على سبيل المثال: فإن المركز الاوروبي لرصد العنصرية وكراهية الأجانب المسمى بـ(EUMC) أعد تقريراً خاصاً عن الإسلاموفوبيا، وتم اقتراح عدد من التدابير لمنع كراهية الإسلام. ومن بين الدراسات التي أجريت في هذا الإطار: «النموذج الإسلامي» الذي تقوم به المنظمات المسيحية غير الحكومية والتي تشكل الأغلبية في ألمانيا، والمؤتمر الذي نظمه بشكل مشترك قادة مسلمون ويهود ومسيحيون في بريطانيا، والندوات والأنشطة حول «نموذج الأديان الثلاثة»(١١).

ومع هذه الجهود لمنع الإسلاموفوبيا، لا يزال الكثير من المجتمع الغربي له موقف سلبي تجاه المسلمين. وهذا الوضع يؤثر حتماً على الحياة النفسية والاجتماعية للمسلمين.

وأحد أكبر تأثيرات السلبيات الناجمة عن الإسلاموفوبيا يمكننا ملاحظتها في الدراسات المتعلقة بالعلوم الإسلامية. وهناك كثير من العلماء المسلمين في الجامعات الغربية يشاركون في العديد من الأبحاث المتعلقة بالدراسات الإسلامية، وذلك بفضل ثقتهم بأنفسهم التي اكتسبوها. ونتيجة لهذه الأحداث التي وقعت تدهور تركيزهم وأجبروا على الانغلاق. والتمييز السلبي ضدهم يتسبب بعدة سلبيات، مثل: انعدام الثقة والعدوانية والخجل من هويتهم. وهذا يقودهم إلى تبني الأسلوب الدفاعي في أبحاثهم الجديدة. ويحاولون إثبات عكس ما تكونت ضدهم من صورة الاستبداد والإرهاب والعدوان. وغالباً ما بدؤوا في التصريح بأن الدين الإسلامي

(٩) John Kelsay, *Arguing the Just War in Islam*, Harvard University Press, 2007.

(١٠) Bernard Lewis, "The Roots of Muslim Rage", *The Atlantic Monthly*, September 1990, ss. 47-60.

(١١) "Avrupa Birliği'nde Müslümanlar: Ayrımcılık ve İslamofobi", Haz. Avrupa Irkçılık ve Yabancı Düşmanlığı İzleme Merkezi (EUMC), s. 5.

هو ضد الإرهاب والقتل، وكذلك يحترم حقوق الإنسان، وفيه حساسية لحماية الأديان والثقافات الأخرى. بالإضافة إلى ذلك، هناك مواضيع مثل «الإسلام والإرهاب»، و«علاقة الإسلام بمنتسبي الأديان الأخرى»، و«الإسلام وحرية الإنسان»، و«الإسلام والسلام»، و«مكانة المرأة في الإسلام»، و«الإسلام والاقتصاد»، وهناك أبحاث تُجرى حول هذه المواضيع. علاوة على ذلك، وضمن هذا الإطار، فإنه يتم تشجيع كل من «الحوار الديني أو الثقافي»، وقضايا «الإسلام والحداثة»، وينصح الباحثون بمزيد من التركيز على أمثال هذه القضايا.

إننا نرى أن الجهود الرامية إلى رفض نهج الإسلام كحالة معادية للحداثة[١٢]، أو ما بعد الحداثة، بل حتى ظاهرة متحجرة ازدادت في السنوات الأخيرة. وفي هذا الإطار تمت كتابة العديد من الآثار لتوضيح حقيقة الدين الإسلامي، حيث إن الدين الإسلامي لا يعارض التقدم العلمي والصناعة والحداثة والحياة الحديثة[١٣]. على سبيل المثال: علي س. آساني في مقالته المسماة A Muslim American Reflects On Pluralism and Islam) (So That You Know One Another" قد تناول الكراهية المتبادلة بين المسلمين وغير المسلمين في المجتمع الامريكي بعد أحداث ١١ أيلول، وقام بتقييمها في إطار القرآن، وذكر في هذه الدراسة أن القرآن يولي أهمية خاصة لمسألة التعددية الدينية، وأن هذه الرسالة قد أسيء فهمها من قبل غير المسلمين. كما حاول توضيح أن الأحداث التي ذكرت في المصادر اليهودية والمسيحية صدقها القرآن الكريم، وأن التاريخ الإسلامي كان مليئاً بأمثلة عن التسامح[١٤].

ويقترح بعض الكتاب – في الفترة التي ازدادت فيها الهجمات على الإسلام وتصاعد فيها التوتر بين المسلمين والمسيحيين – قراءة الكتب التي ألفها المفكرون الغربيون سابقاً؛ من أمثال سويدنبورغ (١٦٨٨–١٧٧٢)، وغوته (١٧٩٣–١٨٣٢)، والتي تحتوي على وجهات نظر عادلة، وذلك لتشكيل قاعدة دينية أساسها التسامح المتبادل[١٥].

(١٢) يُرى أن الانعكاسات المختلفة للإسلاموفوبيا – التي بدأت بالحملات الصليبية – استمرت أيضاً خلال عصر التنوير. وكتب العديد من المفكرين الغربيين – وخاصة إرنست رينان – رداً ضد الإسلام. وأدت الادعاءات في هذه الرفض إلى ردود فعل كبيرة في العالم الإسلامي، واستجاب العديد من المفكرين المسلمين لها. (Dücane Cündioğlu, "Ernest Renan ve "Reddiyeler" Bağlamında İslâm- Bilim Tartışmalarına Bibliyografik Bir Katkı", Dîvân: İlmî Araştırmalar Dergisi, Yıl: 1996, Sayı: 2, ss. 1-94, 3).

(١٣) وكما أشير من قبل، فإن جهود الاستجابة لمطالب المفكرين الغربيين تستند إلى تاريخ طويل. وبسبب الضغط الفعال للتطورات العلمية والثقافية في الغرب خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، ناضل المفكرون المسلمون من أجل إحياء تراكماتهم الروحية القديمة، ذات التجربة الحضارية التي بلغت ذروتها. ويمكن اعتبار هذه المبادرات – التي يمكن وصفها بأنها محاولة لإيجاد حلول من خلال المبادئ الأساسية للإسلام للقضايا المعاصرة – بمثابة برنامج التحول وإعلان التعبئة الاجتماعية. Bkz. İsmail Bulut, Nübüvvete Çağdaş Bir Yaklaşım, Berikan Yay., Ankara, 2016, ss. 7-11.

(١٤) Ali S. Asani, "So That You May Know One Another": A Muslim American Reflects on Pluralism and Islam", *Annals of the American Academy of Political and Social Science, vol. 588, July 2003, pp. 40-51*.

(١٥) Bkz. İbrahim Kalın, "Batı'daki İslâm Algısının Tarihine giriş", *DÎVÂN İlmî Araştırmalar*, sayı: 15 (2003/2), s. 22.

من الطبيعي جداً أن تكون مخاوف العلماء المسلمين حول مستقبل شعبهم أكثر من مخاوفهم الأكاديمية. وفي مواجهة الضغوطات المتزايدة على السكان المسلمين حولوا اهتماماتهم – بلا شك – إلى الدفاع عن الدين الإسلامي. وفي هذا الإطار نرى بروز الموضوعات المرتبطة بالحياة العملية، وخاصة أن الموضوعات الفقهية تكتسب وزناً كبيراً لا مفر منه. على سبيل المثال: وصف المسلمين ببعض الصفات السلبية – كقُطَّاع الأيدي – والتي تؤدي حتماً إلى زيادة الحساسية حول هذا الموضوع –أي عقوبة قطع اليد في الشريعة– والتركيز على تفاسيرها والتعليقات عليها أكثر.

في الواقع، نحن نشهد اليوم تشكيل ما يشابه الأدبيات التي تم إنتاجها رداً على النهج الاستفزازي لأرنست رينان قبل قرن ونصف. وقد تدخل علماء مثل نامق كمال، وجمال الدين أفغاني، ومحمد عبده، وسعيد النورسي في مواجهة تصريحات رينان التي تقول: إن «الإسلام عقبة في طريق العلم» في مسعى جاد لإثبات نقيض هذه الادعاءات[١٦]؛ لأن الهجمات ضد المسلمين في ذلك الوقت الذي أعلنت فيه الفلسفة الوضعية هيمنتها بتأثير فلسفة التنوير، كانت تأتي من هذا الاتجاه. إننا نرى اليوم أن الغرب يعبر عن نفسه من خلال مفاهيم تم ترميزها تحت مسمى الديمقراطية وحقوق الإنسان والمساواة بين الرجل والمرأة، وأنه يحاول قمع العالم الخارجي بهذه المفاهيم.

والمسلمون الذين يتعرضون للمضايقة بهذه الطريقة –سياسياً وثقافياً– يحاولون إثبات عكس هذه الاتهامات ضدهم بطريقة طبيعية جداً. على سبيل المثال، نحن نعلم أن «عبد العزيز ساشدينا» – وهو عالم إسلامي متعدد الأوجه– قد قام بدراسات كثيرة في الماضي حول التطور التاريخي لبعض الموضوعات الهامة للفكر الشيعي، مثل المهدية والإمامة وما إلى ذلك في الإطار الذي يخص الشيعة. وتركيزه في الفترات الأخيرة على قضايا مثل الإسلام والديمقراطية، والإسلام وحقوق الإنسان، والإسلام والأخلاق وما شابهها ليس إلا مثالاً على تلك[١٧]. والوضع كذلك مماثل بالنسبة لعبد الله أحمد النعيم وأمثاله، والعديد من الباحثين المسلمين الآخرين.

يعتقد المفكر السوداني والعالم القانوني عبد الله أحمد النعيم –الذي لا يزال يتابع أعماله في الولايات المتحدة الأمريكية– أن هناك حاجة إلى إصلاحات تجعل الشريعة الإسلامية متلائمة مع حقوق الإنسان العالمية. ودافع

(١٦) Geniş bilgi için bakınız: Süleyman Gezer, *Kur'an'ın bilimsel yorumu: Bir Zihniyet Tahlili,* Ankara *Okulu Yaymları*, Ankara 2009, ss. 113-121.

(١٧) هذه كتب عبد العزيز ساشدينا المنشورة : Islamic Messianism (State University of New York, 1980); Human Rights and the Conflicts of Culture, co-authored (University of South Carolina, 1988); The Just Ruler in Shiite Islam (Oxford University Press, 1988); The Prolegomenato the Qur'an (Oxford University Press, 1998); The Islamic Roots of Democratic Pluralism (Oxford University Press, 2002); Islamic Biomedical Ethics: Theory and Application (Oxford University Press, February 2009); Islam and the Challenge of Human Rights (Oxford University Press, September 2009). يعمل عبد العزيز ساشدينا الآن على «دور العقل في تشكيل الأخلاق الإسلامية التقليدية».

عن رأيه في ضرورة توافق الأنظمة القانونية مع قانون حقوق الإنسان والقانون الحديث في كتابه المسمى «الإسلام والدولة العلمانية»، حيث ناقش موضوعات المجتمعات الإسلامية؛ مناهجها في القانون والدولة والدين. على سبيل المثال، فقد اقترح نموذجاً علمانياً على النمط الأمريكي، حيث لا يهتم الدين إلا بالقضايا الأخلاقية، ويفتقر إلى السلطة في المسائل التشريعية. وأيضاً في هذا الإطار، ناقش نماذج تركيا وأندونيسيا والهند، وقال: إن تركيا نموذج جيد، حيث إنها تمكنت من إنشاء توليفة ناجحة بين العلمانية وحقوق الإنسان والإسلام(١٨).

وكما ذكرنا أعلاه، فإن انتقادات الغرب ضد الإسلام والمسلمين كانت موجهة إلى حد كبير نحو ممارساتهم، وبالتالي فإن القضايا الفقهية كانت في تقدم، والإجابات المعطاة بقيت إلى حد كبير في إطار الشريعة الإسلامية. ونحن الآن داخل عملية إعادة النظر مجدداً، وتقييم بعض التفسيرات الفقهية لمختلف المعتقدات الدينية والتمييز بين الجنسين، وخاصة حقوق الإنسان. ويبدو أنه من الطبيعي أن تظهر بعض الأفكار الخاصة بعلماء المسلمين والمنسية على طرف، والتي لم يرغب بها المجتمع كثيراً. حتى إن مسلمي اليوم لديهم خلفية كافية لأن يقولوا «في الواقع هذه القيم الأساسية التي ركز عليها القرآن والسنة وهي عائدة للمسلمين» انتقالاً من مفهومهم «الحكمة ضالة المؤمن، أينما وجدها أخذها». ومع ذلك فإن آلية تأثير الإدراك الديني الذي يجمع بين الفقه التقليدي والتحضيري على الفكر الإسلامي الحالي قد تؤدي إلى نقاشات جديدة.

سوف تخدم هذه المحددات – التي توصلنا إليها فيما يتعلق بعامة العالم الإسلامي – دراسات الإلهيات في تركيا، من حيث توصيات الحلول المقترحة المناسبة. وبالإضافة إلى تأثير الإسلاموفوبيا التي في الغرب فإن الضغوط الخطيرة بين الحين والآخر على المجتمعات الدينية في بلادنا وغيرها من البلدان الإسلامية تؤثر على المجتمع والأنشطة العلمية تأثيراً خطيراً. كما أن الأنشطة الأخيرة للمنظمات الإرهابية الدينية، المتعاقدين باطنياً مع القوى العظمى، تزيد من الضغط على المسلمين. من جهة، يزيد هذا من ردود الأفعال، ومن جهة أخرى يؤدي إلى ظهور نافذة تساؤل جديدة بين المسلمين المتعلمين. ويمكن اعتبار استمرار الإسلام والديمقراطية في مزيج متناغم كشكل من أشكال الحكم ميزة هامة في تركيا، وذلك نتيجة للتراكم السياسي والعلمي خلال القرنين الماضيين. وما أتاحه هذا من ثقة بالنفس –وخصيصاً وجود كليات الإلهيات التي تجمع بين الحداثة والتقاليد – قدم إسهاماً جاداً في القضاء على هذا النقص في الأبحاث الإسلامية، وتكوين لغة خطاب أكثر بعداً عن ردود الأفعال.

إن أحد أهم أسباب آلية التغيرات والتحولات الكبرى في العالم هي العلم الشرعي الإسلامي –أي القضايا الدينية بشكل عام–، فالعلم الديني هو العنصر الأساسي الذي يؤثر على نظرة المجتمع لجميع العلوم الإنسانية، كالفن والأدب، اللذين يعدان أداة للتنمية البشرية. أي لأجل تطوير العلوم الإيجابية، وبعبارة أخرى لأجل إنتاج سياسة علمية جادة فإننا بحاجة إلى العلوم الدينية.

(١٨) Abdullahi Ahmed an-Na'im, *Islam and the Secular State*, Harvard University Press, 2008.

وانطلاقاً من هنا، يمكننا أن نعبر عن أهمية الحفاظ على مجال العلوم الدينية في حدود العلم. وإلا فسنعتقد بأنه سيؤثر سلباً على تطور العلوم الاجتماعية والإنسانية، وبالتالي سيؤدي إلى توجيه المسلمين نحو نهج يعيق تشكّل الأفكار الخاصة بهم، والتي من شأنها حماية عقولهم من الاحتكار.

وهناك تأثير سلبي آخر من المواقف الاختزالية المتمركزة في الغرب تجاه المسلمين، ألا وهو ردة فعل على الخطابات المبتكرة ضد المسلمين. فالتشكيلات المناهضة للحداثة- والتي تنشأ من قلق تحرك المجتمع نحو العلمنة، أو السير في اتجاه الإلحاد- تضع ضغوطاً كبيرةً على الأنشطة العلمية. وعلى سبيل المثال، يعتقد البعض أن مناهج الكليات التي تُدرّس في مجال العلوم الدينية يجب أن تكون هي نفسها في مؤسسات التعليم التقليدي، باسم الانسجام مع معتقدات الناس. ومع ذلك، فتكوين هذه الكليات الجامعية على طراز المدارس القديمة - بحيث تلبي الاحتياجات العلمية- قد يساعد المسلمين على التخلص من الوسائل التي تسببت في نشأة الإسلاموفوبيا. ويجب أن نأخذ بعين الاعتبار -أثناء عملية إعادة هيكلة المؤسسات الدينية- مخاوف أساتذة الإلهيات، ونقوم ببعض التعديلات بشكل دقيق وأكثر صرامة، فحينئذ ستكون هناك فوائد كبيرة حتماً. وفي هذا الإطار، لا بد من تحليل انتقادات مناهج المدارس -التي كانت أحد أسباب تراجع الدولة العثمانية- بشكل جيد للغاية. فالباحثون العاملون في المؤسسات التركية قدموا إسهامات هامة في تطور الفكر الإسلامي الحديث، كما أن الباحثين المسلمين في الغرب فقدوا ثقتهم بهويتهم. وعلى وجه الخصوص؛ فإذا تم تنظيم كليات الإلهيات - التي اكتمل طابعها المؤسسي- وفقا للأغراض الأكادمية فسوف توفّر حلاً في هذا الاتجاه، وستُعتبر أيضاً مثالاً نموذجياً يحتذى به.

النتيجة:

يبدو أن الإسلاموفوبيا واحدة من أكبر المشكلات التي يواجهها الباحثون المسلمون اليوم. فبعد فترة وجيزة من بدء الضغوط على المسلمين في العالم الإسلامي طرحت التطورات الجديدة في الشرق الأوسط مسألة البحوث والمناهج الإسلامية مرة أخرى. فتحويل بعض الحركات الدينية الراديكالية - والتي تستخدمها القوى العالمية والإقليمية كبيادق - المنطقةَ إلى ساحة للنزاعات الطائفية يؤدي إلى تركيز انتباهنا أكثر لهذه القضية. وخاصة في هذا الإطار، ينظر إلى كليات الإلهيات في بلادنا على أنها مؤسسات تسهم إسهاماً كبيراً في تطور الفكر الإسلامي المعاصر. وفي هذا الصدد، يمكن للمؤسسات المعنية دعم الباحثين المسلمين المنغلقين على أنفسهم في الغرب، والذين تسيطر عليهم الخطابات الدفاعية بسبب الإسلاموفوبيا.

منذ حوالي ١٥٠عاماً، نشأ علماء مسلمون يعرفون الفكر الإسلامي والغرب جيداً. ويستمر عدد كبير منهم في العمل بالدول الغربية، ويشعرون أنفسهم تحت ضغط كبير كما لو كانوا مسؤولين عن الحوادث الإرهابية، لا سيما منذ ١١ أيلول ٢٠٠١م. وهذا الوضع يخلق لهم انعدام الثقة بالنفس، ويسبب لهم أسلوباً

دفاعياً. ومع ذلك فهم بحاجة إلى مواصلة تحسين عملهم القديم، من خلال التخلص من الضغوطات الاجتماعية والنفسية. وإذا تم القضاء على المخاوف المذكورة أعلاه فإن العلوم المدروسة في كليات الإلهيات – والتي لها مكان هام في تكوين الفكر العلمي– لديها الخبرة للتغلب على هذه المشكلات وغيرها من المشكلات التي نواجهها اليوم. فالأئمة في التاريخ الاسلامي– من أمثال الإمام الأعظم أبي حنيفة، وأبي الحسن الماوردي، وأبي حامد الغزالي، وبدر الدين بن جماعة، ونامق كمال، وجمال الدين الأفغاني، وأحمد جودت باشا، وغيرهم من العلماء والأئمة الذين كانوا في تلك الفترات مُنظِّرين جيّدين لفهم بُنية المشكلة، وحتى في الأزمات الخطيرة للغاية التي كانوا يواجهونها – كانوا يقدمون المساعدة النظرية لحل تلك المشكلات. واليوم يمكننا أن نجد – من خلال العلماء ورجال الدين المنفتحين والذين يعرفون قضايا العالم الإسلامي وغيره– حلولاً جديدة.

المراجع:

- "Avrupa Birliği'nde Müslümanlar: Ayrımcılık ve İslamofobi", hazırlayan: Avrupa Irkçılık ve Yabancı Düşmanlığı İzleme Merkezi (EUMC).
- Ahmed an-Na'im, Abdullahi, Islam and the Secular State, Harvard University Press, 2008.
- Asani, Ali S., "So That You May Know One Another": A Muslim American Reflects on Pluralism and Islam", Annals of the American Academy of Political and Social Science, vol. 588, July 2003, pp. 40-51.
- Bulut, İsmail, Nübüvvete Çağdaş Bir Yaklaşım, Berikan Yay., Ankara, 2016.
- Delibaş, Kayhan, "İslami Fundamentalizmden İslam Fobisine: Batı Dünyasında Gelişmekte Olan İslamophobia Yeni Bir Eşitsizlik Kaynağı Olarak Görülebilir mi?", Bilgi (9) 2004 / 2: 1-41.
- Esposito, John, The Islamic Threat: Mythor Reality, Oxford University Press, 1995.
- Evkuran, Mehmet, "Bir Kimlik Politikası Olarak İslamofobi, Kolektif Bir Korkunun Anatomisi", İslamofobi Sempozyumu, Sivas, 18-19 Kasım 2011.
- Gezer, Süleyman, Kur'an'ın bilimsel yorumu: Bir Zihniyet Tahlili, Ankara Okulu Yayınları, Ankara 2009.
- Godazgar, Hossein, "İslâm Korkusu-Islamophobia- ve İngiliz Basın-Yayınında Müslümanların Muammalı İmajları", Tercüme: Nuri Tınaz, II. Uluslararası Dinî Yayınlar Kongresi, 05-07 Kasım 2004, Ankara 2005.
- http://www.timesofummah.com/2012.03.03/American-mosques-increased-dramatically-by-74-after-september-11/
- Kalın, İbrahim, "Batı'daki İslâm Algısının Tarihine giriş", DİVÂN İlmî Araştırmalar, sayı: 15 (2003/2).
- Kelsay, John, Arguing the Just War in Islam, Harvard University Press, 2007.
- Lewis, Bernard, "The Roots of Muslim Rage", The Atlantic Monthly, September 1990.
- Sachedina, Abdülaziz, Islam and the Challenge of Human Rights, Oxford University Press, September 2009.
- www.runnymedetrust.org
- Yılmaz, Nuri, "Din Tanımları ve İslamofobiye Etkileri, İslami Yorum (İnternet Dergisi), Sonbahar 2010.

المسلمون في لعبة الإسلاموفوبيا*

أ.د. أجدر أوقموش

جامعة أنقرة – كلية العلوم الدينية؛ قسم علم الاجتماع الديني: ejder.okumus@gmail.com

الخلاصة:

لعبة الإسلاموفوبيا أو المخطط ضد الإسلام هي لعبة تحاك من قبل الغرب والولايات المتحدة الأمريكية ضد الإسلام والمسلمين على وجه الخصوص لنشر الكراهية ومعاداة للإسلام. وقد نظمت الجهات الفاعلة والقوى العالمية الغربية هذه اللعبة ضد المسلمين. ورتبوها بحيث يكون المسلمون خارج قواعد اللعبة وليس لديهم دور في تحديد قواعدها فهي خارجة عن إرادتهم فأصبحوا أدوات يلعبون الدور الذي يملى عليهم. ولإن كانت أسس الإسلاموفوبيا ترجع من الناحية التاريخية إلى الأزمنة القديمة إلا أنها أصبحت مؤسسية ومتطورة بشكل متزايد في عصر الحداثة وما بعد الحداثة حيث نمت وتعمقت بالتوازي مع وصول المسلمين إلى مستوى القوة الملموسة في الغرب وخارج الغرب. ولكن بعد أحداث ١١ سبتمبر أصبح الإسلاموفوبيا أعمق بكثير. عندما يكون الأمر متعلقاً بالمسلمين تبتعد الولايات المتحدة وأوروبا خاصة عن التعددية والتعددية الثقافية. إن هذا البحث يتناول ما يتعرض له المسلمون من مشكلات كالإسلاموفوبيا من منظور أنه مخطط.

الهدف من هذا البحث محاولة فهم وضع المسلمين تجاه مخطط الإسلاموفوبيا التي تسيرها المنظومة العالمية الغربية..

الكلمات المفتاحية: الإسلاموفوبيا، الإسلام، مناهضة الإسلام، اللعبة، الإرهاب، القوى العالمية

İslamofobik Oyunda Müslümanlar

Özet

İslamofobia oyunu veya İslamofobik oyun, özellikle Batı'da ve ABD'de İslam'a ve Müslümanlara karşı nefreti, karşıtlığı, düşmanlığı, yani antiislamizmi konu edinen bir oyundur. Batı temelli küresel aktörler ve güçler, bu oyunu Müslümanlara karşı düzenlemişlerdir. Öyle düzenlemişlerdir ki, Müslümanlar, kendi iradelerinin dışında kurulan ve kurallarının konulmasında rol sahibi olmadıkları bu oyunda figüran olmak durumunda kalmaktadırlar. Tarihsel kökenleri çok gerilere gitse de, modern ve postmodern dönemde gittikçe kurumsallaşan ve endüstrileşen İslamofobi, Müslümanların Batı'da, Batı dışında ve Batı için güçlü, gücü/etkisi hissedilir denilebilecek düzeye gelmesine paralel olarak artmış, derinleşmiştir. Fakat 11 Eylül olaylarından sonra İslamofobi, çok daha derinleşmiştir. Müslümanlar söz konusu olduğunda özellikle Amerika Birleşik Devletleri'nde ve Avrupa'da çoğulculuk ve çok-kültürlülük yaklaşımından uzaklaşılmaktadır. İşte bu çalışma, Müslümanların muhatap kılındığı İslamofobi gibi bir kötülük problemini oyun bakışı temelinde konu edinmektedir. Çalışmanın amacı, küresel Batılı aktörler tarafından oynanan İslamofobik oyunda Müslümanların durumunu anlamak ve anlamlandırmaktır.

Anahtar Kelimeler: İslamofobi, İslam, antiislamizm, oyun, terör, küresel güçler

* بحث في ندوة الإسلاموفوبيا والإرهاب الدولي، كلية العلوم الإسلامية، جامعة بارتين، ٠٢-٠١ ديسمبر ٢٠١٦. المحررت. كيجين وجنيد أيدن. بارتين / تركيا: جامعة بارتين. كلية العلوم الاسلامية. المنشورات. ٢٠١٧، ص. ٤٧-٢١.

وهذه هي الترجمة العربية للدراسة بعنوان "İslamofobik Oyunda Müslümanlar" التي نشرت في العدد السّادس من مجلة الإلهيات الأكاديمية. (أجدر أوقموش، المسلمون في لعبة الإسلاموفوبيا، الإلهيات الأكاديمية، ٢٠١٧، العدد: ٦، ص ٣٧-٦٨). من الواجب أن يستند في الإقتباس إلى المقالة التركية.

The Muslims in the Islamophobic Game

Abstract

The Islamophobia game or the Islamophobic game is a game/play about the hate, contrast, and hostility against Islam and the Muslims, that is, antiislamism especially in the West and in the USA. Western-based global actors and forces have organized this game against Muslims. They have organized so that Muslims are supposed to be extrinsic in this game, which is established outside their own will and does not have a role in the establishment of their rules. Islamophobia, which has become increasingly institutionalized and industrialized in the modern and postmodern era although their historical origins go back to the very end, has grown and deepened in parallel with the fact that Muslims have come to the point where they can be said to be and their might and dominance is sensible in the the West, outside the West and fort he West. But after the events of September 11, Islamophobia has become much deeper. In the case of Muslims, the approach of pluralism and multiculturalism especially in the United States and Europe, is moved away from. This work considers a problem of evil such as Islamophobia, which Muslims are the object of it, on the base of the view of the game. This study aims understanding position of Muslims in the Islamophobic game played by global Western actors and to give the meaning of it.

Keywords: İslamophobia, Islam, antiislamism, game, terror, global powers

المدخل:

الإسلاموفوبيا هي: عداء وعنصرية وكراهية وحكم مسبق تجاه الإسلام والمسلمين. إن الخوف والكراهية من الإسلام والمسلمين يتسبب في التحيز ضد المسلمين والتمييز والتغريب والوصم والإقصاء والكراهية والإذلال والعدوان والعنف والفقر الثقافي وعدم التعددية والعداء وما شابه ذلك.

إن لعبة الإسلاموفوبيا هي لعبة موضوعها الخوف من الإسلام والمسلمين والحقد الذي تسبب فيه هذا الخوف خاصة في الغرب والولايات المتحدة الأمريكية وأيضاً في الدول الأخرى التي يكون فيها الأفراد والجماعات المعادية للإسلام مؤثرين. وقد نظمت الجهات الفاعلة والقوى العالمية الغربية هذا المخطط ضد المسلمين. ولقد خططوا له بحيث يكون المسلمون خارج قواعد اللعبة وليس لديهم دور في تحديد قواعدها فهي خارجة عن إرادتهم فأصبحوا أدوات يلعبون الدور الذي يملى عليهم.

ولإن كانت أسس الإسلاموفوبيا ترجع من الناحية التاريخية إلى الأزمنة القديمة (al-Shaikh-Ali 2015) إلا أنها أصبحت مؤسسية ومتطورة بشكل متزايد في عصر الحداثة وما بعد الحداثة حيث نمت وتعمقت بالتوازي مع وصول المسلمين إلى مستوى القوة الملموسة في الغرب وخارج الغرب. ولكن بعد أحداث ١١ سبتمبر أصبح الإسلاموفوبيا أعمق بكثير. عندما يكون الأمر متعلقاً بالمسلمين تبتعد الولايات المتحدة وأوروبا خاصة عن التعددية الثقافية.

يتعرض المسلمون اليوم في أمريكا وأوروبا الغربية لأقصى ما يمكن أن تصل إليه الإسلاموفوبيا ويعايشون ذلك. في هذا السياق يمكن القول إن الإسلاموفوبيا هي مشكلة مؤذية ومريرة يتعرض لها المسلمون. تجدر الإشارة إلى أن كراهية الإسلام موجودة واقعاً في الدول الإسلامية وغيرها من المجتمعات غير الغربية

التي تحاكي التغريب وتقلد القوى الغربية وتفهم مغامرة الحداثة على أنها تغريب وتحاول تطبيقه في مجتمعاتها. في مسيرة الإسلاموفوبيا أصبح المسلمون في الواقع أدوات في هذه اللعبة.

أحدثت لعبة الإسلاموفوبيا علاقة من نوع جديد. في هذه العلاقة يعد الغرب والغربيون أنفسهم الأساس والمركز ويعدون المسلمين الآخر.

إن هذا البحث يتناول ما يتعرض له المسلمون من مشكلات كالإسلاموفوبيا من منظور أنه مخطط. الهدف من هذا البحث محاولة فهم وضع المسلمين تجاه مخطط الإسلاموفوبيا التي تسيرها المنظومة العالمية الغربية.

يزداد عدد المؤلفات المتعلقة بالإسلاموفوبيا ويتراكم وذلك بعدة لغات مختلفة مثل الألمانية، الفرنسية، الهولندية، الصربية، الإيطالية، الدنماركية، والإسبانية وعلى الأخص الإنجليزية. وهذا يدل في الوقت نفسه على أن الإسلاموفوبيا قضية مطروحة وواقع مهم لا سيما في الأراضي والمجتمعات غير الإسلامية. ومن الطبيعي أن تكون قضية مطروحة في ساحة الدول الإسلامية والدول غير الغربية وأن يجرى حولها مناقشات وأبحاث.

مخطط الإسلاموفوبيا:

يعود مصطلح الخوف من الإسلام أو الإسلاموفوبيا إلى العصور القديمة بدءاً من تبليغ سيدنا محمد ﷺ دعوته في مكة وسيادة الإسلام في الأندلس وحتى الحروب الصليبية، وفي عالمنا اليوم يعني المصطلح: المعارضة والخوف والكراهية والتمييز والتهميش تجاه المسلمين. تجدر الإشارة إلى أن عقلية وثقافة وصناعة الإسلاموفوبيا بدأت في ازدياد في المجتمعات الغربية بدءاً من أحداث ١١ سبتمبر في الولايات المتحدة الأمريكية ثم ٧ يناير، أي حادث شارلي إبدو في فرنسا، حيث أحدثت تموجات زلزالية تسببت في تعميق وترسيخ الفكرة. إن تطوير الغرب وتسويقه للخوف من الإسلام لأن الغرب هو الموجد والمطور والمعمق لها والذي أسهمت فيه بعض الجماعات والمنظمات الإسلامية من خلال ما يفعلونها فإن ما يفعلونه كان سببا في بداية الامر لنشر الرعب والخوف من الإسلام في الدول الغربية ومن ثم تحويل هذا الخوف إلى كراهية ثم إلى عداء ثم إلى استعمال القوة ثم إلى تعدٍّ وعدوان.

يمكن القول إن الإسلاموفوبيا صار سلعة رائجة ذات طابع مؤسسي وصناعي وبدأ الترويج لها من خلال المجال السينمائي وصناعة الأفلام ووسائل الإعلام (الصحف، المجلات، التلفزيون، الإنترنت، إلخ) والروايات، والدراسات الأكاديمية، كما يظهر في عمل هنتنغتون في صراع الحضارات وأعمال لويس الذي يظهر فيه المسلمين على أنهم مرتبطون بالإرهاب. والتدخل العسكري والسياسي والثقافي في أفغانستان والعراق وسوريا والهجوم على المساجد في شتى دول أوروبا وحركة بكيدا Pegida (الوطنيون الأوروبيون ضد أسلمة الغرب Patriotische Europäer gegen die Islamisierung des Abendlandes: Patriotic Europeans Against the Islamization of the West) الألمانية التي أنشئت في أغسطس ٢٠١٤ والسلوك المناهض للإسلام في الدول الأوروبية كهولندا والدنمارك وهلم جرا. ومثل مواقف الولايات المتحدة حيال الإسلاموفوبيا. (Younes 2016) فصارت الإسلاموفوبيا صناعة وسلعة رائجة ذي خاصية مؤسسية ضد

المسلمين. (Okumuş 2015a; Okumuş 2015b; Said 2001).

قد يظن أن الإسلاموفوبيا عبارة عن لعبة. إحدى أطراف هذه اللعبة فيما يرى للناس هم ممثلون من غير المسلمين وخاصة غير المسلمين من الغربيين والطرف الآخر مسلمون لكن الحقيقة أن الذين أحدثوا قواعد اللعبة هم القوى العالمية والغربية. لذا فإن علينا أن نتناول الإسلاموفوبيا من منظور نظرية المخطط من حيث المحتوى والأبعاد.

مخطط الإسلاموفوبيا هي لعبة أنشأها أولئك الذين لديهم عقلية ونظرية صراعية من قبل ومن بعد هنتنغتون. في حين أن الإسلاموفوبيا وضعت موضع التنفيذ من قبل المتصارعين إلا أن اللعبة مؤسسة على الصراع والعنف من طرف نفس الأشخاص.

النموذج الأمريكي في لعبة الإسلاموفوبيا[1]:

في الآونة الأخيرة تواصل الولايات المتحدة صناعة الإسلاموفوبيا والعمل عليها وتشغيلها بشكل مكثف. لذلك من المفيد الإشارة إلى بعض جوانب الخوف من الإسلام ومعاداة الإسلام في الولايات المتحدة.

الإسلاموفوبيا قبل ١١ سبتمبر:

يستند الإسلاموفوبيا في الولايات المتحدة على ما قبل أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١ بزمن طويل. وإن من أهم الأدلة على ذلك هو الإعلام والأفلام المنتجة من قبل هوليود. ففي بعض هذه الأفلام، المسلمون سيئون، خطرون، عنيفون، مميتون، إرهابيون، إلخ. وبالتالي فهي محاولة لإنشاء إسلاموفوبيا. بالإضافة إلى ذلك، لعبت وسائل الإعلام الأمريكية منذ البداية دوراً مهيمناً ورئيساً في تشكيل الإسلاموفوبيا بمعلومات كاذبة وأخبار سيئة عن الإسلام والمسلمين.

وفوق ذلك فإن السياسة التي تنهجها الحكومات الأمريكية ضد المسلمين والتي تتجلى منذ زمن طويل في فكرة الإسلاموفوبيا تظهر الموقف المعادي للإسلام. وعندما ننظر إلى الخلفية التاريخية لمعاداة الإسلام في أمريكا، سيكون من الممكن رؤية أي نوع من المواقف يواجهها المسلمون هناك (Okumuş 2007).

من الناحية التاريخية، كلما حدثت أزمة في الشرق الأوسط أصبح العرب الأميركيون أقلية مهمشة وفي وضع حرج. بعد الحروب العربية الإسرائيلية في عامي ١٩٦٧ و١٩٧٣، وجد العرب الأمريكيون أنفسهم يفتقرون إلى وسائل مكافحة طوفان العنصرية المعادية للعرب من الإعلام ومن غالبية المجتمع الأمريكي. الهجمات كانت في الواقع اجتماعية تأخذ شكل معاداة العرب والإرهاب العرقي والقوالب النمطية العنصرية والوصم وأحياناً الهجمات الجسدية (Terry 2006: 117).

بعد حادثة أولمبياد ميونيخ في سبتمبر ١٩٧٢[2]، أصدرت إدارة نيكسون توجيهات تحتوي على عدد من

(١) هذا الجزء من البحث مستمد من مقالة الكاتب السابقة "الإسلاموفوبيا ومناهضة الإسلام في الولايات المتحدة الأمريكية: قبل وبعد ١١ سبتمبر" (٢٠٠٧).

(٢) مقتل ١١ رياضيا إسرائيليا في عملية إنقاذ قوات الأمن الألمانية لهم كانوا رهائن في يد مجموعة من الفلسطينيين في قرية ميونيخ الأولمبية عام ١٩٧٢.

التدابير تحت الاسم الرمزي «عملية بولدر». ويقال إن هذه التوجيهات التي كان لها عواقب سلبية خطيرة على المسلمين بما في ذلك القيود المفروضة على التأشيرات قد صدرت بطلب من قبل القوات الصهيونية وإسرائيل وضغوطاتها (Hagopian, 100-101).

يمكن القول إن «عملية بولدر» التي أطلقتها إدارة نيكسون كانت محاولة مبكرة من قبل الحكومة الأمريكية تستهدف العرب المقيمين في أمريكا ليتم التحقيق معهم وقطع نشاطهم السياسي فيما يتعلق بالشرق الأوسط. في الواقع ومع إدارة نيكسون كانت الحكومة الرسمية في أمريكا تنظر إلى المجتمعات خاصة الناطقة بالعربية منها بعين الريبة. وعلى أساس هذا النهج حاولت تطوير علاقة سلبية مع الدول العربية والمسلمين المقيمين في أمريكا وخاصة المواطنين العرب منهم. ومن خلال تبنيها لسياسات مؤيدة لإسرائيل تم تعريف المسلمين الفلسطينيين ومحاولاتهم في صد العدوان على أنها «إرهاب إسلامي» وبهذه الطريقة شرعنة الانتهاكات المتعلقة بالحقوق المكفولة دستوريًا للمواطنين الأمريكيين خاصة الذين هم من أصل شرق أوسطي والمسلمين المقيمين هناك. منحت المبادئ المذكورة آنفاً السلطة لمكتب التحقيقات الفيدرالي (إف بي آي) الحق في التحقيق مع أشخاص «من أصول عربية» لتحديد علاقاتهم المحتملة مع الأعمال الإرهابية المتعلقة بالصراع العربي الإسرائيلي. كما استمع مكتب التحقيقات الفيدرالي على الفور إلى محامي ديترويت الشهير بعبدان جبارة ثم رئيس رابطة خريجي الجامعة العربية الأمريكية (Akram ve Johnson, 2002; Hagopian 1975-76: 101-102).

في السبعينيات اتخذ كارتر خطوات مختلفة ضد الإيرانيين وإيران رداً على طلب المواطنين الأمريكيين المحتجزين كرهائن في طهران. فأخذ مسلمون آخرون نصيبهم من هذه الخطوات وتأثروا بها.

في الثمانينيات شملت السياسة الخارجية لإدارة ريجان الحرب على «الإرهاب». فادعت أن ليبيا كانت لديها أفعالٌ إرهابية وتم ضرب ليبيا. وفي هذا المناخ العام تم شن نوع من التخريب والعنف ضد المسلمين في أمريكا وتم أيضاً شن هجمات مختلفة ضد مراكز التجمع والمساجد والمكاتب والبيوت (Akram ve Johnson 2002).

ومثال آخر هو اغتيال ناشط سياسي عربي أمريكي في عام ١٩٨٥ إثر حادثة اختطاف طائرة من قبل لبناني شيعي وموجة العنف الموجهة ضد المسلمين بما في ذلك تخريب المراكز الثقافية والدينية. كان اختطاف هذه الطائرة من قبل شيعي لبناني في الواقع احتجاجاً على التدخل الأمريكي والأوروبي في لبنان وقصف إدارة ريجان لليبيا عام ١٩٨٦. وفي هذه المرحلة تعرض المسلمون لهجوم على المراكز والجوامع والمنظمات التي أسسوها. على سبيل المثال تم حرق مسجد في هيوستن وأشعلت فيه النيران. انفجرت قنبلة في مكتب اللجنة الأمريكية العربية لمكافحة التمييز في بوسطن وأصيب شرطيان بجروح بالغة. وألقيت قنبلة أخرى في مكتب آخر للجنة نفسها وقتل مديره التنفيذي المحلي.

بعد غزو الكويت في التسعينيات ركزت الإدارة الأمريكية على العراق وقائده من منطلق سياسة «الحرب على الإرهاب» التي تبنتها. في هذه المرحلة تم فرض ضغوط مختلفة على المسلمين بما في ذلك القادة والنشطاء والمتظاهرين وما إلى ذلك وقد استجوبهم مكتب التحقيقات الفيدرالي. وسعت الحكومة الفيدرالية لإغلاق مكاتب منظمة التحرير الفلسطينية في الولايات المتحدة، وتابعت دائرة الهجرة والتجنيس في الوقت نفسه إلى

إبعاد المسلمين الفلسطينيين الذين ليسوا مواطنين أمريكيين (Akram ve Johnson 2002). بالإضافة إلى ذلك تعرضت شركات ومؤسسات مجتمعية عربية ومسلمة للقصف والنهب والعنف (Akram ve Johnson 2002). واستمرت سياسة الخوف من الإسلام ومعاداة الإسلام والتي طورتها أميركا ضد المسلمين على مستويات معينة خلال حرب الخليج عام ١٩٩١.

في ١٩ أبريل ١٩٩٥ وبعد حادثة تفجير مبنى فيدرالي في أوكلاهوما تم إعلان المسلمين متهمين مع أن الذي قام بالتفجير كان أميركياً غير مسلم مما يدل على أن أمريكا تعزز وتقوي الإسلاموفوبيا والعداء للإسلام (Heck 2007).

وتجدر الإشارة أيضاً إلى أن ما يُعرف باسم «الدليل السري»، حيث يتم اعتقال أي شخص بتهمة الإجرام أو الإرهاب، مع حق عدم التصريح بالتهم الموجهة إليه، وكيف أدى استعمال هذا الحق في مرحلة الإسلاموفوبيا إلى ازدياد ضغط الإدارة الأمريكية على المسلمين، حيث استهدفت دائرة الهجرة والتجنيس المسلمين خصوصاً مستخدمة هذه الدليل السري. حتى عام ١٩٩٩ كانت هناك ٢٥ حالة أدلة سرية في الولايات المتحدة. في هذا السياق تعتبر حالة مازن نجار وأنور خدام مثالية وقد شهد هذان الشخصان أطول مدة اعتقال بسبب الأدلة السرية. وقد سُجن نجار للمرة الأولى في أيار / مايو ١٩٩٧ واحتُجز لمدة ٥ ,٣ سنوات وتم سجن حدام لمدة أربع سنوات. كان نجار محرراً في مجلة World and Islam Studies Enterprise (WISE) وهي مؤسسة فكرية أنشئت في فلوريدا. فألقت دائرة الهجرة والتجنيس القبض على «نجار» واستجوبته استناداً للأدلة السرية. وكان أنور خدام أستاذاً للفيزياء بجامعة الجزائر وعضواً في البرلمان الجزائري. ولكونه عضواً في جبهة الإنقاذ الإسلامية (FIS) اشترك في الانتخابات في الجزائر وفاز. لكن وقعت الأحداث المعروفة فيما بعد. دخل خدام الولايات المتحدة بتأشيرة لغير المهاجرين في عام ١٩٩٢ وطالب لاحقاً باللجوء. أخذته دائرة الهجرة والتجنيس إلى الحجز واستجوبته بناء على الدليل السري. في كلتا الحالتين تم التعامل مع أدلة غير موثوق بها، وبعد المدة المذكورة أعلاه تم الإفراج عنهما. يجب أن نبين أن هناك أحداثاً أخرى مماثلة (Akram ve Johnson 2002).

١١ سبتمبر والإسلاموفوبيا:

يمكن عدّ أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١ نقطة تحول في التاريخ الأمريكي. فقد لعبت أحداث ١١ سبتمبر دوراً حاسماً في التغييرات الرئيسة في السياسة الداخلية والخارجية للولايات المتحدة. المسلمون هم المخاطبون (المتأثرون) الرئيسيون لهذا التغيير. بدأت الإدارة الأمريكية في تطوير سياسة قائمة على «الشك» و«القمع» و«العنف» ضد المسلمين في أمريكا وخارج أمريكا من خلال تحميلهم مسؤولية «الإرهاب الإسلامي» في أحداث ١١ سبتمبر.

في الواقع أصبح العنف بشكل عام لا سيما الصراع والإرهاب والعدوان أخطر أبعاد العولمة في عالم اليوم. لا يمكن تقييم هجمات ١١ سبتمبر بشكل مستقل عن العولمة. ومع هذه الأحداث بدأت العولمة والعنف والإرهاب أكثر قوة مع طابع «العنف الدولي» أو «الإرهاب الدولي» (Okumuş 2007).

بعد أحداث الحادي العشر من سبتمبر وانطلاقاً من السياسة المتبعة بدأ الحديث عن الإسلام والمسلمين مقترناً بالإرهاب بشكل مستمر وأكثر كثافة من ذي قبل. في هذه المرحلة تم اتباع سياسة توحي بشكل مباشر أو غير مباشر بأن الإسلام هو دين العنف والإرهاب. في التحليل الأخير تم خلق خوف عميق من الإسلام بجعله جنباً إلى جنب مع الإرهاب. اليوم يمكن القول إن مجموعة كبيرة من الأمريكيين قد أصابهم هذا الخوف من الإسلام. لقد أثر الخوف من الإسلام سلباً على علاقة الشعب الأمريكي بالمسلمين. فالحكومة الأمريكية هي المسؤول الرئيس في تشكيل هذه الفوبيا؛ لأنها تتبع سياسة أكثر قمعية تجاه المسلمين تحت تأثير الإسلاموفوبيا (Okumuş 2007).

كما أظهرت الأبحاث بعد الحادي عشر من سبتمبر أن الرأي العام الأمريكي أصيب بحالة فوبيا أكبر من ذي قبل تجاه الإسلام والمسلمين. إن الخوف من الإسلام لدى الشعب الأمريكي في أبعاده بدأ يرى في المسلمين تهديداً محتملاً خطراً وقاتلاً إرهابياً أكثر من النازيين، والدينَ الإسلامي ديناً شيطانياً (Cainkar 2004).

أهم نتيجة للإسلاموفوبيا: معاداة الإسلام:

بعد الهجمات الإرهابية في ١١ سبتمبر ذهبت الإدارة الأمريكية إلى عدد من الإجراءات المحلية المتعلقة بالتشريعات والإدارة والقضاء تحت مسمى الأمن القومي والحرب على الإرهاب. يمكن القول إنه تم اتباع سياسة تستند على الإسلاموفوبيا في الولايات المتحدة الأمريكية. نتيجة سياسة الإسلاموفوبيا التي تنهجها النخبة الحاكمة وغير الحاكمة، الرسمية وغير الرسمية على السواء في الولايات المتحدة أصبح الخوف من الإسلام واقعاً ملموساً بين الشعب الأمريكي وجعلت الإدارة الأمريكية وبعض الأمريكيين يعادون الإسلام ويضطهدون المسلمين بشكل واسع النطاق وأنتج أيضاً وصمهم وتهديدهم والتمييز ضدهم واتخاذ مواقف عنصرية وسلوك سيئ تجاههم مثال على ذلك: الهجوم على المساجد، وإهانة المحجبات ومضايقتهن، بل الهجوم عليهن[٣] وقطع العلاقات مع الجيران المسلمين وعدم السماح للأطفال بأن يكونوا مع أطفال مسلمين. يمكن القول إن أهم نتيجة للإسلاموفوبيا هو معاداة الإسلام. يبدو أن أهم انعكاس لمعاداة الإسلام هو العنصرية ضد المسلمين وخاصة العرب منهم (Akram ve Johnson 2002: 301-313). كما أن الإسلاموفوبيا جلبت التمييز وإساءة المعاملة ضد المسلمين في المؤسسات الرسمية. واجهت الولايات المتحدة المواطنين الأميركيين المسلمين بممارسات تمييزية و إجراءات من أمثال أنظمة التسجيل وبصمات الأصابع ومدة التأشيرات والمراقبة والإبعاد عن العمل وإلغاء تصاريح العمل[٤] ومداهمة المنازل وأماكن العمل والاعتقالات والمقابلات

(٣) في حادثة شاهدها مسلم في نيويورك حيث قام رجل أميركي بالضغط والتحرش والصراخ لمجموعة من النساء المسلمات كانت إحداهن تقود السيارة فهربن خائفات ظنا منهن أنهن قد نجون فلما وقفن في الموقف فإذا بهن يتعرضن للهجوم من قبل نفس الشخص حيث قام بخدش وجه المرأة وبشد حجابها.

(٤) في لاس فيجاس إحدى مدن ولاية نيفادا في عام ٢٠٠٧ تم إلغاء تصريح عمل أستاذ جامعي تركي الجنسية (مستوى تدينه منخفض نسبيا أو غير متدين بالشكل المعهود شعبيا) لاشتراكه في العمل والإقامة مع فلسطيني (مستوى تدينه منخفض نسبيا أيضا أو غير متدين بالشكل المعهود شعبيا) وأوجدت العديد من الصعوبات خلال فترة تقديمه لتصريح العمل من جديد ثم فصل من عمله في الجامعة بسبب عدم وجود تصريح للعمل عنده.

السيئة (Cainkar, 2004)[٥]. في هذا الصدد يمكننا أن نذكر أولاً الإجراءات الأمنية. ومن جملة الإجراءات السيئة مراقبة المسلمين الذين تم استجوابهم وإخضاعهم لفحص الهوية وسجنهم ومداهمة بيوت المسلمين[٦]، فتمت مراقبة الجوامع وممارسة الضغط على المسلمين والعنف ضدهم حتى طردهم، وفي مؤسسات ومنظمات رسمية أخرى يتعرض المسلمون من قبل بعض المسئولين لمعاملات سيئة من حين إلى حين. على سبيل المثال من المعروف أن المرأة المحجبة تواجه صعوبات في تقديم طلب للحصول على رخصة قيادة[٧] وفي المدارس يوجد تمييز ضد الطالبات المسلمات من قبل بعض الأساتذة ومنعهن من تغطية رؤوسهن، حتى إن بعض الطلاب لديهم وجهة نظر سلبية تجاه الطلاب المسلمين. وغير ذلك مما يتعرض له المسلمون من هجوم عليهم من قبل بعض الأمريكيين ما يؤدي إلى قتلهم أحياناً[٨]. أضف إلى ذلك الإجراءات التي يتعرض لها القادمون من بعض الدول الإسلامية في المطارات قبل الصعود إلى متن الطائرة. من كثرة تفتيشهم وإنزالهم من الطائرة تحت مسمى المشتبه فيهم ومغادرة بعض الركاب الطائرة بذريعة أن: «هناك عربًا على هذه الطائرة فلن أقوم بالركوب!» وما شابه ذلك من نفس المواقف والسلوكيات التي تدل على الإسلاموفوبيا. باختصار قد تم تطوير مواقف وسلوكيات سيئة على أساس العنصرية والتمييز ضد المسلمين دينية وتعليمية ومواصلات وعسكرية وأمنية واقتصادية وسياسية واجتماعية إلخ (Stewart 2003). بسبب هذا كله ترسخت الندية ضد المسلمين بشكل أوضح وأعمق، وصاروا يمثلون «الآخر» داخل المجتمع.

سيكون من المفيد تناول بعض الجوانب باختصار لفهم أبعاد الخوف من الإسلام ومعاداة الإسلام. على سبيل المثال بعد ١١ سبتمبر يعد نظام التسجيل الخاص إجراءً تحفظياً ضد المسلمين. هذا النظام هو برنامج التسجيل الخاص للحكومة الأمريكية ويعرف بنظام تسجيل دخول وخروج الأمن القومي (NSEERS). في ١١ سبتمبر ٢٠٠٢ تم إدخال هذا النظام حيز التنفيذ في دائرة الهجرة والتجنيس (INS) ومن ثَمَّ في وزارة العدل. يجب أن يخضع الأجانب غير المهاجرين وفقاً لهذا النظام لسلطات الهجرة الأمريكية مثل أخذ البصمات والتصوير والإجابة على الأسئلة والموافقة على الإبلاغ الروتيني. لقد كان تأثير نظام التسجيل الخاص على الأشخاص التابعين لهذا النظام عميقاً. ووفقاً لوزارة الأمن الداخلي وحتى ١ يونيو ٢٠٠٣ تم تسجيل ٨٢،٨٨٠ شخص يعيشون في الولايات المتحدة بشكل خاص. وقد تم ترحيل عدد كبير منهم وتعرض بعضهم لمعاملة مختلفة على سبيل المثال بعضهم اعتقل إلخ (Cainkar 2004).

(٥) (Cainkar, 2004) لقد تعرض ما لا يقل عن ١٠٠,٠٠٠ شخص بالذات لمثل هذه الإجراءات من العرب والمسلمين في أمريكا.

(٦) في أبريل / نيسان ٢٠٠٧ في ولاية أوهايو جاء شخصان إلى منزل طالب دكتوراه ناجح (عربي) فقدما أنفسهما كموظفين وتفقدا الهوية والجواز وانصرفا. كيفية العواقب المترتبة على هذا واضحة فإن الطالب الذي جاء إلى مكتب الجامعة بعد هذا الحدث لا يزال متأثرا بما عايش.

(٧) وقع مثل هذا الحادث في باتون روج عاصمة ولاية لويزيانا في عام ٢٠٠٤. وذُكر أن امرأة مسلمة (تركية) كانت قد تقدمت إلى القسم المعني للحصول على رخصة قيادة تعرضت لمعاملة سيئة من قبل موظفة تعمل في القسم ولم تتمكن من الحصول على رخصة قيادة بسبب حجابها حيث صرحت الموظفة نفسها بذلك. وأبلغت المرأة وزوجها اللذين تضررا سلباً من الحادث السلطات في القسم على الفور واعتذرت لهما وتم قبول طلباهما. قد يبدو هذا الحدث عاديًا للوهلة الأولى. لكن حقيقة أن مثل هذه الحدث يحدث في بلد كالولايات المتحدة حيث الحرية والديمقراطية. ولما لها من تأثيرات سلبية خطيرة على الناس فإن تفسير هذا ليس بالأمر الهين في بلد يمكَن المسلمين فيه أن يمارسوا عباداتهم بحرية وليس فيه حظر على ارتداء الحجاب.

(٨) على سبيل المثال قتل مواطن أمريكي في أرينوزا سيخيًّا قدم من الهند بسبب لحيته وعمامته ظناً منه أنه عربي بدعوى السعى للانتقام لبلده (Akram ve Johanson, 2002: 296).

تطبيق التأشيرة لغير المهاجرين بعد ١١ سبتمبر هي من إجراءات إسلاموفوبيا المعادية للإسلام. فقد تأثر المسلمون بشكل كبير من هذه الممارسة. وقد أثر هذا على طلب التأشيرة بشكل أكثر سلبية خاصة للطلاب والباحثين الزائرين والمحاضرين الضيوف ومن لديهم منح دراسية والمرضى والمصابين بالسرطان والفنانين والموسيقيين ورجال الأعمال إلخ (Cainkar 2004).

هناك تطورٌ آخر سيءٌ ضد المسلمين هو الكراهية والبغض القائمة على التحيز (hate crimes). عانت المجتمعات الأمريكية المسلمة من سلبيات مثل الكراهية والبغض والافتراء والتمييز في العمل. في غضون الأيام السبعة الأولى التي أعقبت ١١ سبتمبر قدمت تقارير إلى مجلس العلاقات الإسلامية الأمريكية CAIR ٦٤٥ من قبل العرب والقادمين من جنوب آسيا عن «أحكام محسومة مسبقاً وأحداث مغرضة وجرائم كراهية». استمرت هجمات الكراهية والبغض في عام ٢٠٠٣ وما بعده. على سبيل المثال في ٥ أكتوبر ٢٠٠٣ تعرضت امرأة مسلمة للهجوم من خلفها في فيرجينيا سبرينغفيلد. صاح الشاب المعتدي الأبيض قائلاً «أنت إرهابية خنزيرة» ثم هرب. وفي سبتمبر ٢٠٠٣ هاجم أحد من مشعلي النار مسجداً في جورجيا (Cainkar 2004).

يمكن القول إن معاداة الإسلام التي تسببت في الخوف من الإسلام في أمريكا كان لها تأثير سلبي على المسلمين من ناحية القلق والخوف وعدم الإحساس بالأمان. فإن بعض المسلمين الذين كانوا يعيشون هناك منذ سنوات قد عادوا إلى بلادهم بسبب النهج السلبي للأميركيين تجاه المسلمين.

الإسلاموفوبيا أكثر ماأضرت بالعرب المقيمين في أمريكا. عند هذه النقطة يمكن ذكرالباكستانيين والإيرانيين بعد العرب. إن صورة العرب كانت سيئة جداً عند الشعب الأمريكي لدرجة أن العرب غير المسلمين هم أيضاً كانوا عرضة للعواقب السلبية لهذه الصورة السيئة.

من الملاحظ أيضا أن بعض المسلمين قد غيروا أسماءهم بسبب المواقف المعادية للإسلام من قبل الشعب الأمريكي. مواقف الأمريكيون المتشككة تجاه المسلمين انعكست على علاقات الجوار وفي أماكن العمل إلخ.

مع معاداة الإسلام التي أنتجها الإسلاموفوبيا صارالمسلمون موسومين ومشتبهاً فيهم من قبل الأمريكان. هذه النتيجة مهمة جداً في فهم الحالة الراهنة للمسلمين في أمريكا. وقد وصف بعض المؤلفين هذا الوسم والنهج السلبي باسم «مكارثية جديدة» (New Mc Carthyism) (Cole, 2003). في الواقع وكما يقول جون لو كاريه فإن أمريكا مثل زمن مكارثي تفقد ميزتها بشكل منهجي ألا وهي الحرية والتي جعلت من أمريكا جاذبية عالمية (Le Carre 2003).

بعد ١١ سبتمبر نشرت الإدارة الأمريكية الخوف من الإسلام بين المجتمع من ناحية بسياسة «الحرب على الإرهاب» ومن ناحية أخرى وضعت قوانين ولوائح جديدة واتخذت بعض القرارات التي تحد من حقوق المسلمين. تاريخياً كان للقوالب النمطية للمسلمين بما في ذلك العرب تأثير كبير على قانون الهجرة والسياسة. وتستند سياسة «الحرب على الإرهاب» التي تم تطويرها بعد ١١ سبتمبر على إجراءات سابقة لمكافحة الإرهاب (Akram ve Johnson 2002: 355).

باختصار بعد أحداث ١١ سبتمبر حدثت تطورات خطيرة أدت إلى التضييق على المسلمين الذين يعيشون في أمريكا. لو اختصرناها بشكل جامع لابد أن نذكر أنه وقعت حوالي ٧٠٠ حادثة عنف بما في ذلك عدة عمليات قتل استهدفت المسلمين في الأسابيع التسعة الأولى بعد هجمات ١١ سبتمبر. بين ١ يناير و١١ أكتوبر ٢٠٠٢ وقعت ١٦٥ حادثة عنف. هناك العديد من الأحداث التي جرت بدءاً من النظرة السيئة والاعتداءات اللفظية إلى الأذى والقتل والهجمات على المراكز التجارية والمراكز الثقافية والدينية. عندما نقوم بتفصيل الأحداث وتنويعها يصبح من الممكن التحدث عن آلاف الحقائق. كانت هناك ٨٠ حالة يُجبر فيها الركاب بعد صعودهم متن الطائرة مع الركاب على تركها بطريقة غير قانونية وتمييزية حسب جنسياتهم. كانت هناك أكثر من ٨٠٠ حالة تمييز في التوظيف ضد العرب الأمريكيين (Stewart 2003; Heck 2007).

يمكن القول إن النساء هن من بين المسلمين الأكثر تأثراً بالأحداث التي وقعت في أمريكا بعد ١١ سبتمبر. ملابسهن كانت كافيةً بدرجة كبيرة لجذب الأنظار إليهن (Cainkar 2004). وقد أثر هذا الوضع ليس فقط على النساء ولكن على جميع المسلمين سلباً. لأن المرأة المسلمة نشطة بشكل خاص في نشاطات المراكز الإسلامية والمنظمات الإسلامية الأخرى وخدمات وخدماتها.

إن إحدى أهم نتائج معاداة الإسلام هي العلاقة الموجودة بين الجماعات الإسلامية المختلفة في أمريكا – هذه الجماعات القادمة من بلدان مختلفة –. عند هذه النقطة يمكن أن نتذكر أن حركة فتح الله جولن فضلت أن تكون بعيدة عن العرب ومعظم الجماعات الإسلامية الأخرى على وجه الخصوص. صار من الواضح والمفهوم للباحث بسبب تتبعه للحالة الأمريكية سواء في عام ٢٠٠٤ أم ٢٠٠٧ أن الكيان الموازي الديني (حركة فتح الله جولن) اتخذ سياسة تجنب التحرك والعمل مع العرب أو الظهور معهم في عمل مشترك. وقد تأثر جميع المسلمين بشكل عام من الإسلاموفوبيا في أمريكا، إلا أن التأثير الأكبر وقع على العرب، وعليه فإن صورة العرب لم تكن جيدة في أمريكا. وقد آثرت الحركة البعد عنهم وركزت بشكل خاص على «الإسلام التركي». ومن ثَمَّ فإن من المفهوم عدم ذهابهم إلى المساجد إلا في حالات ضرورية؛ حيث بدا واضحاً للمؤلف بسبب تتبعه ولقاءته وملاحظاته في أماكن مختلفة أن هذه سياستهم. يمكن القول إن العرب كانوا يدركون جيداً سلوك هذه الحركة. وفي اللقاءات التي أجريناها في أماكن يقوى فيها نفوذ الحركة أفادنا بعض العرب أن الكيان الموازي كان هذا ديدنه.

ما تم ذكره حتى الآن مرتبط بنتائج كراهية الإسلام ومعاداة الإسلام في الداخل الأمريكي. إن إحدى أهم عواقب الخوف من الإسلام ومعاداة الإسلام هي الاضطرابات والعنف والإرهاب والحرب التي تسببت بها الحكومة الأمريكية في العالم الإسلامي ومع السياسات التي اتبعتها والحروب التي شنتها في دول مثل لبنان وفلسطين والعراق وأفغانستان في إطار الحرب العالمية ضد الإرهاب العالمي. وكما ذكرنا سابقاً من غير المرجح أن ينظر إلى سياسة الإسلاموفوبيا في الداخل الأمريكي بمعزل عن سياساتها الخارجية تجاه الدول الإسلامية.

لقد بدأ المسلمون الذين يعيشون في أمريكا في تأسيس منظمات المجتمع المدني في مواجهة المشكلات التي رأوها وعايشوها في أمريكا والالتفاف حول هذه المنظمات وكفاحهم للدفاع عن حقوقهم. يمكن القول خاصة بعد ١١ سبتمبر إنهم أعطوا أهمية أكبر لهذه المنظمات.

مرة أخرى الخوف من الإسلام ومعاداة الإسلام قد دفع بالمسلمين في أمريكا في هذه المرحلة لتطوير أساليب جديدة في علاقتهم بالسياسة وقوات الأمن والاستخبارات إلخ.. بدأ المسلمون في إيلاء اهتمام خاص للحوار بين الأديان في المرحلة المذكورة.

إحدى النتائج المهمة لمناهضة الإسلام بعد أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١ هي أن اعتناق الإسلام في أمريكا بدأ يدخل في اتجاه سريع للغاية. لقد كانت معاداة الإسلام وسوء المعاملة والتمييز ضد المسلمين سبباً في زيادة معتنقي الإسلام عن قناعة وبحث خاصة على المستوى الفكري والأكاديمي.

وأخيراً يجب علينا أولاً أن نلاحظ أن السياسة الخارجية للحكومات الأمريكية قامت بدور كبير في أمريكا فيما يتعلق بكراهية الإسلام والعداء تجاهه والقرارات الموجه ضد المسلمين والتوجيهات والقمع والعقاب والحد من الحركة.

بالإضافة إلى ذلك فإن الإسلاموفوبيا ومناهضة الإسلام في أمريكا استندتا إلى عمليات مختلفة قبل أحداث ١١ سبتمبر وحاولت أمريكا تأسيسها وتوضيحها وتعميقها وحتى إضفاء الطابع المؤسسي عليها مع ١١ سبتمبر. لقد أدى إضفاء الطابع المؤسسي على معاداة الإسلام لدى الجانب الرسمي الأمريكي وبعض طوائف الشعب إلى إتخاذ موقف ضد المسلمين والتصرف بشكل سيىء معهم ورؤيتهم كأعداء محتملين واتخاذ موقفهم من المسلمين وفقاً لذلك. إن الخوف من الإسلام والمناهضة للإسلام في أمريكا -التي لا يمكن عدّها بعيدة عن السياسة الخارجية الأمريكية ولا سيما سياسة الشرق الأوسط- تدخل المسلمين في حالة خوف وتهميش وتغريب وتجعل حياتهم في أمريكا صعبة. الإدارة الأمريكية وشعبها يعانون في الواقع من هذا لأن أميركا بعيدة عن خطها التاريخي الديمقراطي والليبرالي مع معاداة الإسلام ومن ثَمَّ فهي تتناقض مع قيمها.

كان بعد المسلمين من ذوي الجذور العرقية المختلفة عن بعضهم وضعف روابطهم ليس بالأمر الجيد على المدى الطويل سواء من حيث المسلمين أم المجتمع الأمريكي.

يمكن أن يقال في التحليل الأخير إن الإسلاموفوبيا ومعاداة الإسلام في الولايات المتحدة جلبا معهما انتهاكات للحقوق المدنية ليس فقط فيما يخص المسلمين ولكن أيضا فيما يخص الأمريكيين والمقيمين في أمريكا. ضيق على الحريات في المجتمع الأمريكي بشكل ملحوظ في سياق الإسلاموفوبيا ومناهضة الإسلام. في هذه المرحلة لا سيما المسلمين الذين يعيشون في أمريكا تعرضوا للأذى المادي والمعنوي.

تجدر الإشارة أيضاً إلى أنه بعد الحادي عشر من سبتمبر، بدأ المسلمون يفكرون «إذا كانوا يعيشون في الولايات المتحدة فعليهم الدخول في جهود أكثر راديكالية واستمرارية». ومن هذا المنطلق حاولوا تنظيم مزيد من الفاعليات والأنشطة بالالتفاف حول منظمات المجتمع المدني انظلاقاً من الماضي وأكثر من ذي قبل.

كما شعروا بالحاجة إلى إجراء بعض التغييرات في حياتهم الاجتماعية بشكل عام وفي أسلوب خطبهم في المساجد. وفيما يتعلق بهذا فقد سعوا إلى بيان الإسلام بشكل صحيح لغير المسلمين في أمريكا وإظهار أن المسلمين ليسوا خطرا عليهم.

التطورات الأخيرة:

يمكن القول إن حوادث الخوف من الإسلام قد زادت في الآونة الأخيرة في الولايات المتحدة في ولاية كاليفورنيا الأمريكية تم إرسال رسائل تهديدية لثلاثة مساجد تحتوي على كراهية الإسلام ومعاداة للأجانب والبيانات العنصرية. وفي الرسائل التي تم إهانة المسلمين فيها بشدة قيل عن الرئيس الجديد للولايات المتحدة ترامب إنه سيفعل بالمسلمين ما فعله هتلر باليهود وأنه سيبدأ من المسلمين لتطهير أمريكا (http://www.yeniakit.com.tr/haber/hitlerin-yahudilere-yaptigini-muslumanlara-239416.html (Giriş: 27.11.2016)).

النموذج الإسرائيلي:

منذ أصبحت إسرائيل دولة تتبع سياسة الحرب ضد المسلمين والفلسطينيين والكراهية والبغض والعداء والنفي والاحتلال والاستيلاء على الأراضي... إلخ، ويظهر ذلك واضحاً في ثقافة كراهية الإسلام التي تصطنعها ضد المسلمين (Lean 2015).

وإن عملية منع الأذان في إسرائيل مهمة للغاية من حيث فهم أبعاد الإسلاموفوبيا حتى إن إسرائيل من ناحية الثقافة والسياسة والاقتصاد والفنون والسينما لديها خلفية ثرية وخطيرة في صناعة كراهية الإسلام.

وقال رئيس الوزراء الاسرائيلي بنيامين نتنياهو إنه لن يتراجع عن القانون الذي يحظر من رفع الأذان عن طريق مكبرات الصوت عندما قام النائب أحمد الطيبي من أصول عربية برفع الأذان من مقر البرلمان الاسرائيلي (الكنيست) احتجاجاً على مشروع قانون البرلمان الإسرائيلي بحظر رفع الأذان في المساجد من خلال مكبرات الصوت.

وقال الطيبي إنه ينوي تقديم الاقتراح للكنيست مرة أخرى هذا الأحد وإن «نتنياهو سيحاول مجدداً تمرير هذا القانون». ولكن قبل ذلك يريد إزالة قلق بعض اليهود المتدينين من أن «القانون قد يحظر أيضاً طقوسهم الدينية». وقال وزير الصحة الإسرائيلي ياكود ليتزمان وزعيم الحزب اليهودي المتدين يهودودوتاورا (التوراة المتحدة) إنه قد يتم تمرير قانون حظر الأذان بعد إزالة تحفظاته وضمان حقوق اليهود.

وأفاد الطيبي أنه إذا تم عرض مشروع القانون المعروف لدى الرأي العام باسم (لستن) على الكنيست فإنه سيتم تمريرها. «لقد شعرت بحزن عميق لسماع تصريحات وزير الصحة ليتزمان صباح أمس» الذي قال فيه «إذا لم يتم المساس بالسبت المقدس لليهود فسوف أؤيد هذا القانون (قانون حظر الأذان)». «إن لديهم محاولات لاستخدام هذا القانون ضد المسلمين فقط. هذا بالضبط هو السبب الذي يجعلني أقول إن نتنياهو معاد للإسلام».

وقد قال الطيبي مصرحاً بأنه أذن في البرلمان الإسرائيلي ليقول لا لهذا القانون وأراد أن يعطي رسالة للعالم: «أردت أن أثبت أنه في جميع أنحاء العالم يمكننا أن نرفع الأذان في كل مكان وأنه لا يمكن منعه. ولو حاولتم المنع فسوف نؤذن حتى ولو في البرلمان الإسرائيلي.

وأوضح أنه لم يكن يخطط لرفع الأذان قبل أن يصعد كرسي البرلمان ولكن كنت أعرف أنه عندما أصعد المقعد البرلماني فإن الأذان سيخرج من فمي تلقائياً. خرجت هذه الكلمات من أعماق قلبي وتطرقت إلى قلوب الناس في جميع أنحاء العالم. لقد بعثت رسالة إلى العالم بقول "الله أكبر" في البرلمان الإسرائيلي».

وقال الطيبي الذي يشغل أيضاً منصب نائب رئيس البرلمان «نحن أناس متسامحون. أنا كمسلم شخص

متسامح وأحترم الديانات الأخرى وأحترم جميع طقوس الديانات الأخرى فليحترم اليهود أذاننا».

وأفاد الطيبي «أن الأذان ليس مجرد طقس ديني للفلسطينيين فحسب بل هو أيضاً رمز وجزء من وطنهم. قيادة السيارة في يوم عيد الغفران (يوم الغفران) ممنوعة ومحرمة عند اليهود ونحن كمسلمين نحترم ذلك. عندما ينفخ في الأبواق إعلاناً ببداية أيام السبت اليهودية بصوت عالٍ نحترم ذلك أيضا. نعم ينفخ في هذه الأبواق ويخرج منها صوت مرتفع لكننا لا ندعو إلى حظرها قانونياً. لأننا يجب أن نكون متسامحين مع بعضنا بعضاً».

مشيراً إلى أن تركيا لديها مكانة خاصة جداً ومهمة في المنطقة وأن أنقرة تستطيع الضغط على إسرائيل لتتخلى عن حظر الأذان، وأن العلاقات بين تركيا وإسرائيل أعيد تأسيسها وقال: «أعتقد أنه بالإمكان استخدام هذه العلاقات من خلال الضغط على إسرائيل لتتراجع عن موقفها في هذا الصدد» (http://www.haber7.com/ortadogu/haber/2216937-turkiye-israile-baski-yapabilir).

النموذج الأوروبي:

لقد تطورت ثقافة الإسلاموفوبيا فصارت قوية في أوروبا. الكراهية والعداء الإسلامي في مستويات خطيرة للغاية في البلدان الأوروبية (Cesari 2015; Cherribi 2015; Abbas 2015; al-Shaikh 2015).

التاريخ الأوروبي لديه خلفية ثرية جداً من الإسلاموفوبيا. وفقاً لتقرير (٢٠١٦) حول الإسلاموفوبيا الأوروبية الذي نشرته سيتا وحرره أنس بايراكلي وفريد حافظ ٢٠١٥ في أوروبا وعلى سبيل المثال نجد ظاهرة كراهية الإسلام حقيقة مهمة في دول مثل: ألمانيا وفرنسا وإنجلترا وبلجيكا وإيطاليا وسويسرا والنمسا وهولندا والسويد واليونان وإسبانيا والنرويج فنلندا والدنمارك وأيسلندا والمجر وأيرلندا وبولندا وليتوانيا ولاتفيا وجمهورية التشيك وصربيا وكرواتيا والبوسنة والهرسك وألبانيا ومقدونيا. أصبح التحيز ضد المسلمين في أوروبا شائعاً جداً (Kalın 2015). يمكن تقديم عدد من الأمثلة على الأحداث المعادية للإسلام في البلدان الأوروبية من الضغوطات النفسية إلى القمع السياسي ومن الهجمات اللفظية والشتائم إلى الهجمات الفعلية ومن الكلام المهين إلى الكتابات والرسوم الكاريكاتورية التي تحتوي على إهانة ومن العنف النفسي إلى العنف الجسدي ومن هجمات الشوارع إلى الضغوط الإعلامية والهجمات على المساجد والمنازل والمقابر. في أوروبا دول مثل ألمانيا وفرنسا وبلجيكا وهولندا وإيطاليا والدنمارك والنمسا هي بلدان حيث الإسلاموفوبيا قوية جداً فيها. إن دور هولندا في نشر الخوف من الإسلام في أوروبا كبيراً. ظهرت العديد من مناقشات الإسلاموفوبيا في هولندا وتم نسخها إلى دول أوروبا أخرى بما في ذلك ألمانيا والنمسا. في هولندا تطور الإسلاموفوبيا بتأثير بعض رجال السياسة والإعلام ثم انتشر إلى دول أوروبية أخرى. تجدر الإشارة إلى أن هناك أيضاً منظمات في أوروبا تحارب الخوف من الإسلام مثل «المفوضية الأوروبية لمناهضة العنصرية والتعصب» (Cherribi 2015). إن أول منظمة تخطر بالبال عندما يذكر الإسلاموفوبيا هي Pegida التي تأسست في ألمانيا وانتشرت ضد المسلمين في كل أوروبا. (www.takvim.com.tr/dunya/2015/06/07/islamofobi-danimarkada; www.dw.com/tr/danimarka-islamofobi-konusunda-uyar%C4%B1lm%C4%B1%C5%9Ft%C4%B1/a-2522459).

مفاهيم تم تداولها على الساحة في لعبة الإسلاموفوبيا:

هناك مفاهيم تم تداولها على الساحة في لعبة الإسلاموفوبيا. يتم استخدام هذه المفاهيم لتوظيفها في إنتاج عملية إضفاء الشرعية التي تبرر وتحقق من الإسلاموفوبيا. لهذا تم تناول مفهوم «كراهية الإسلام» نفسه إلى الساحة ومفاهيم مثل: الأصولية، والتطرف، والتدين المتطرف، والإرهاب الإسلامي، وإرهاب الإسلام، والإسلام الفاشي، والجهاد.

الإسلاموفوبيا: التعددية الثقافية وحصار المسلمين:

تجدر الإشارة إلى أن الخوف من الإسلام له العديد من الأبعاد والتأثيرات على المشهد الاجتماعي. ففي مجال العمل، والتعليم، والسياسة، والإعلام، والقانون... إلخ. يتأثر المسلمون سلباً من الآثار الوخيمة للإسلاموفوبيا. المسلمون مبعدون في مجالات شتى من الحياة الاجتماعية. في الواقع فتح الغربيون الطريق لإضفاء الشرعية على إبعاد المسلمين من خلال الإسلاموفوبيا. الإسلاموفوبيا هو نوع من آليات دفاع الغرب عن كراهيته وعدائه للإسلام. على الرغم من أن المسلمين على المستوى الاجتماعي عاشوا في سلام في نفس البيئة مع غير المسلمين في الماضي والحاضر وعلى الرغم من أنهم قد أظهروا أمثلة جيدة جداً على هذا التعايش إلا أن العديد من المفكرين والمثقفين والأكاديميين والفاعلين السياسيين والقوى العالمية في الغرب أنتجوا الإسلاموفوبيا ليظهروا أن المسلمين لا يستحقون المشاركة في الحياة الاجتماعية بفهم تعددي من ناحية، دفاعهم عن نشر ثقافة تعددية ما بعد الحداثة وتطوير طرق التعايش بين الذين يمثلون الجانب الاجتماعي لمعتقدات وثقافات مختلفة وأنماط حياتها. ومن ناحية أخرى يمكن أن ينظر إليها اليوم على أنها من أحد أعمق وأعظم التناقضات في الغرب من حيث إنتاج إحساس بالخوف والكراهية والتمييز والعداء والعدوان ضد الإسلام (Okumuş 2015a; Okumuş 2015b). عندما يتعلق الأمر بالتعددية الثقافية في الغرب يظهر الإسلاموفوبيا على الفور ويتحول الموضوع إلى نقاش سلبي حول الإسلام والمسلمين (Taylor 2007). في الآونة الأخيرة أصبحت التعددية الثقافية في نهج تايلور (٢٠١٧) مصطلحاً مشبوهاً فيه عالمياً وخاصة أوروبياً وفقدان قيمة التسامح وتداعياته السلبية أصبح مرتبطاً بالإسلام (Kalın 2015).

في الواقع عندما يتعلق الأمر بالإسلام في الغرب يتحول شكل التعددية الثقافية والتسامح إلى التعصب والتمييز وعدم التسامح والعنصرية ضد الإسلام والمسلمين. لذا فإن الموقف من الإسلاموفوبيا وانتشاره كسلوك في الغرب يؤكد ذلك (Kalın 2015).

الغرب هو نفسه الذي أنتج الإسلاموفوبيا:

في الواقع لقد استطاع الإسلام دائماً التعايش بين مختلف الأديان والمعتقدات والثقافات. ومن الصعب ادعاء أن هناك واقعاً ولغة إسلامية بوجه عام تغذي خوف غير المسلمين الذين يعيشون بين المسلمين وخاصة الغربيين من الإسلام. قد تكون هناك بعض الأحداث المحلية والجزئية جداً تسبب فيها المسلمون. لكن ليس من الممكن تفسير كراهية الإسلام وإثباتها بمثل هذه الأحداث. علما بأن النهج التمييزي للغرب وخاصة اليهود والمسيحيين تجاه المسلمين ليس جديداً (Okumuş 2015a; Okumuş 2015b).

صناعة الخوف ضد المسلمين:

يمكن القول إن هناك صناعة مؤسسية تعمل على خلق الخوف من المسلمين تحت مسمى الإسلاموفوبيا هناك ثقافة ربما هناك صناعة للثقافة (Okumuş 2015a; Okumuş 2015b).

مسؤولية مقاومة وتخطي لعبة الإسلاموفوبيا باعتباره مشكلة الشر:

في الواقع الإسلاموفوبيا موضوع لمشكلة ونظرية الشر لكل من المسلمين والغربيين. الإسلام في نظر العديد من الأمريكيين والأوروبيين ليس إلا بلاء ومصيبة (Said 2001). إنه كارثة اجتماعية. لقد بذل الغربيون ما بوسعهم لإنتاج هذا ومازالوا ولكن هذا قد تجاوز بالفعل حساباتهم وصار كابوس حياتهم. فإنه مما لا شك فيه فيما يتعلق بالغربيين وبالجميع أنه لا يمكن محو الإسلام كلياً من عالمنا (Fuller 2012) لذا فإن الغرب مضطر إلى التفاني في الأمر والتخلص من مرضه الإسلاموفوبيا (Ahmed 2008). عندما ينظر إلى ما فرض على المسلمين معايشته فإننا نعلم أن هذه فتنة عظيمة واختبار ومصدر للشر حلت بالمسلمين.

يبدو أنه من الضروري على المسلمين أن يفكروا في كيفية التغلب على مشكلة الشر هذه وتطوير استراتيجيات تجاهها بدلاً من التفكير في كيفية تغلب الغربيين عليه. لا يمكن لأي قوة أو فكر أو سياسة أن تدافع عن إهانة سيدنا محمد وعن تحقير مقدسات المسلمين وقيمهم. من الواجب على المسلمين بالطبع أن يحافظوا على قيمهم دون أن يصابوا بالإرهاب وعدم الشرعية القانونية. ولكن يجب عليهم أيضاً محاربة مرض وشر الإسلاموفوبيا ومواجهته. يمكن القول إن إحدى أكثر المهام إلحاحاً للمسلمين اليوم هي التفكير في كيفية التعامل مع كارثة الإسلاموفوبيا على نطاق عالمي .(Okumuş 2015a; Okumuş 2015b).

الاستشراق في لعبة الإسلاموفوبيا[٩]:

الاستشراق هو واحد من أهم الأدوات المتجذرة في لعبة الإسلاموفوبيا. في الواقع الاستشراق هو الإسلاموفوبيا بحد ذاته. يمكن القول إن الخوف والكراهية والعداء ضد الإسلام يستند إلى الاستشراق في البعد الأكاديمي. إدوارد سعيد (١٩٨٢) يشير إلى ذلك بوضوح في كتابه الشهير. يتبن بوضوح حجم تأثير الاستشراق على الإسلاموفوبيا المستخدمة ضد الإسلام والمسلمين في الغرب والجامعات والمراكز الأخرى بالنسبة للدراسات الأكاديمية من حيث اللغة والخطاب والأسلوب والمنهج المتبع (Turner 2002; Okumuş 2008; Okumuş 2002).

في مقال بعنوان «إمكانية التحول من الاستشراق الفاقد لفاعليته إلى علم الاجتماع العالمي» يشير إلى كتاب من تأليف تيرنر (٢٠٠٢) وإلى كيفية أن الإستشراق يخلق أفكار مسبقة ضد الإسلام والمسلمين وكيف أن له تأثيراً على إبعاد المسلمين وانطلاقاً من الناحية الاجتماعية للاستشراق في المجالات العلمية والدراسات يحاول تناول مقاربات علماء الاجتماع من أمثال ماركس ويبر.

يمكن أن نرى إذا أمعنا النظر أن هناك مواقف تبرر القول: إن العلوم الاجتماعية بشكل عام وعلم

(٩) هذا الجزء من البحث مأخوذ من مقالة المؤلف المنشورة سابقا بعنوان "" Güncelliğini Yitirmiş Bir Oryantalizmden Global Sosyolojiye Geçiş İmkânı" (٢٠٠٢).

الاجتماع على وجه الخصوص هي تراث الخطاب الاستشراقي. يمكن استخدام النماذج المسيطرة في الاستشراق بسهولة وعلى نطاق واسع في العلوم الاجتماعية عندما ينظر إلى الاستشراق على أنه أيديولوجيا أو عندما ينتقد بسبب ارتباطه بالاستعمار. إن شكل العقلية والتفكير السائد لدى الاستشراق وإن النقاش حول مسألة التقدم والتخلف والتبعية في العلوم الاجتماعية المعاصرة يثبت وجوده واستمراره في عدة نظريات. هذه النظريات المخبأة في مجال العلوم الاجتماعية بذريعة أنها «علمية» تقدم للمجتمعات غير الغربية باعتبارها الحل الوحيد الصحيح لمشكلاتها (Bulut 2002: 10). إن إلغاء مصطلح المستشرق رسميًا في المؤتمر الدولي ٢٩ للمستشرقين بباريس عام ١٩٧٣ وجعله المؤتمر الإنساني الدولي لشمال إفريقيا وآسيا (لويس، ١٩٨٢). يفيد بأن العلوم الاجتماعية ستكون إرثا للاستشراق وتحل محله.

يقول تيرنر (٢٠٠٢)، فيما يتعلق بكتابه (١٩٨٥) الذي نشره «ماركس والاستشراق وما بعد الحداثة والعولمة ونهاية الاستشراق»: «إن الخلاصة النقدية لعملي أن ماركس أظهر قدراً كبيراً من المشاركة في التراث الغربي بما في ذلك رؤية الشرق كمنظومة شمولية تميزت بالتحفظ وعدم التغيير الاجتماعي والحرمان من الحداثة وغياب المجتمع المدني. من وجهة النظر النقدية هذه يمكن ملاحظة أن ماركس وفيبر لم يتجاوزا أنماط التحليل الشرقية للغرب. إن المفهوم الماركسي عن نوع الإنتاج الآسيوي ومفهوم ويبر للترابط (السلالة الحاكمة) يشتركان في الافتراضات الشائعة. هذا يشير إلى وجود التراث الاستشراقي في العلوم الاجتماعية (Turner 2002)».

يناقش تيرنر (١٩٩١) قضايا مماثلة في مؤلفه «ماكس ويبر والإسلام».

في الواقع فإن أسلوب الإنتاج الآسيوي الذي صممه ماركس وإنجلز لدراسة المجتمعات الشرقية يكشف عن إحدى الخصائص الأساسية للنهج الاستشراقي. تُظهر هذه التوجهات وأمثالها أن آراء ماركس حول المجتمعات الشرقية تم تطويرها بطريقة تتمحور حول أوروبا على عكس المنهج الذي استخدمه في الرأسمالية والطريقة المادية التاريخية لإظهار جذورها الاجتماعية والاقتصادية (Boztemur 2002).

دعماً للأفكار السابقة فإن أقوال كارل ماركس وأنجلز السلبية حول المجتمعات الإسلامية والاستعمار الغربي في هذه المجتمعات مثل الاستعمار البريطاني في الهند والرؤية الفرنسية للاستعمار الجزائري على أنه تطور إيجابي من حيث تحقيق تنبؤاتهم الخاصة (Turner 1985) إنما هو من تأثيرات الخطاب الاستشراقي أو شيء يمكن تفسيره بعقلية الاستشراق.

فإن رؤية ماكس ويبر كواحد من علماء الاجتماع للمجتمع الإسلامي تعد مناسبة تماماً للحصيلة الواسعة لجميع التحليلات التاريخية والاقتصادية والدينية والاجتماعية التي تشكل العقلية الاستشراقية تجاه الشرق الأوسط. إن استشراقية ويبر تنبع من الجهد المبذول لتفسير ولادة الرأسمالية الغربية في سياق عدد من المقارنات بين الثقافات والأديان والحضارات وهي الاجتماعية الثقافية والإجتماعية الدينية والاجتماعية الحضارية. يستخدم ويبر التمييز الأساسي بين الاقتصادات الإقطاعية في الغرب والاقتصاديات الوطنية في الشرق من أجل إجراء هذه المقارنات. مع الأسف فإن ويبر يحدث تضارب بين المكونين الإضافيين اللذين يشكلان المادة الخام

للتفسيرات التنموية الداخلية للتراث الإسلامي المذكور ألا وهما الفلسفة الأخلاقية الإسلامية وغياب البورجوازية الحضرية الريادية. لا يبدو أن أطروحة ويبر مقنعة في أن الإسلام ليس لديه أي ديناميكية تؤثر على الشخصية ولا رغبات محنية وأنه يدعم قبول هذا العالم بطريقة إيجابية. ملاحظات ويبر الأخرى هي إشكالية بنفس المستوى حول الطرق التي يمنع بموجبها القانون المقدس من التطور التجاري والتجارة وترشيد رأس المال الربوي. لكن نقاط الضعف في وجهات نظر ويبر المحدودة حول الثقافة الإسلامية لم تمنع الباحثين اللاحقين من محاولة تحديد أوجه التشابه بين الأخلاق البروتستانتية والمجتمعات الإسلامية المختلفة (Subaşı 1999).

بعد هذه التوضيحات العامة قد يكون من المفيد التوسع في الموضوع بذكر بعض النقاط التي تبرز في انعكاسات الاستشراق على علم الاجتماع.

في الخطاب الاستشراقي لعلم الاجتماع فإن نقطة الانطلاق الرئيسة هي دعوى وجود نوعين مختلفين من المجتمع. وعليه فإن المجتمعات الغربية لها خصائص مختلفة عن المجتمعات الشرقية. لقد حوّل الاستشراق التقليدي كنظام فكري يتعامل مع العالم الأجنبي من بداية التاريخ الحديث إلى يومنا هذا، الفكر الإنساني إلى قسمين: الشرق والغرب، مثل جميع فروع العلم الأخرى القائمة على الاختلافات. هذا الاتجاه هو جوهر الاستشراق ونظريته وممارسته. يعد هذا الاختلاف في سياق البعد الإسلامي الذي يشكل مجالاً واسعاً جداً من الاستشراق هو نتيجة لفكرة أن المجتمعات المسيحية تفوق المجتمعات الإسلامية، أي يعد فارقاً يؤكد على تفوق الغرب.

في هذا السياق يمكن القول إن وجهة نظر ويبر المركزية في المجتمع الإسلامي هي تباين بين الطابع العقلاني والمنهجي للمجتمع الغربي لا سيما في مجال القانون والعلوم والصناعة وبين الظروف السياسية والاقتصادية غير المستقرة وغير المتوازنة للحضارات الشرقية خاصة الحضارة الإسلامية منها. في هذه المقايسة أعاد ويبر فكرة الاختلافات الشرقية الغربية التي كانت شائعة لدى المنظرين السياسيين والفلاسفة والاقتصاديين الكلاسيكيين في القرن التاسع عشر وفي نفس الوقت ركز عليه بعناية (Turner 1991: 27). في الأساس من الممكن أن نرى الشيء نفسه في ماركس.

استنادا إلى الفرق المذكور و أسس التباين (Pruett.: ty 61) يرى الاستشراق الشرق والإسلام بالطريقة التالية: أنه «عدو قوي منحرف ودخيل أنتجته منطقة الشرق الأدنى وكتلة ثابتة ومنغلقة وحضارة غير قادرة على إعادة البناء حتى أنه رد فعل لعصبية حديثة وانتحارية». من الممكن أن نقول إن وجهة النظر هذه موجودة تقريباً في علم الاجتماع الكلاسيكي.

إن أحد الجوانب المهمة في الخطاب الاجتماعي الاستشراقي فيما يتعلق بهذا الاختلاف هو التأكيد على عدم وجود المدن المستقلة في المجتمعات الإسلامية، والحقوق التي تشمل الطبقة البرجوازية المستقلة والبيروقراطية العقلانية والمسؤلية القانونية والملكية الخاصة والثقافة القانونية البورجوازية وفيما يتعلق بهذا كله غياب المجتمع المدني.

من أهم النقاط التي يتم التركيز عليها في وجهة النظر الاستشراقية الجانب الاستبدادي للشرق ونقص المجتمع المدني. إن الاستبداد الشرقي هو الخطاب السائد لدى الغرب بالنسبة للشرق. كما استخدم الغرب

الاستبداد الشرقي بغزارة كحجة لتصوير الدولة العثمانية بذلك (Mardin 2002: 113-14). نفس الحجة استخدمت من قبل العديد من علماء الاجتماع الغربيين للمجتمعات الشرقية والإسلامية وخاصة فيبر وماركس.

يظهر الاستشراق وعلم الاجتماع المنقول من الاستشراق كأحد التفسيرات الشرقية لوجهة نظر المجتمع الشرقي الخليط الداعم لخطاب الاستبداد الشرقي والطابع الشرقي الثابت. في هذه النظرة فإن المجتمع الإسلامي والمجموعات الاجتماعية مكونة من هذا الخليط. ونتيجة لذلك فإن المجتمعات الشرقية والإسلامية لديها مجموعة «موحدة» من المجتمعات المختلفة في حد ذاتها ونشوء المعارضة في هذه المجتمعات هو أيضاً صعب أو محال. يوفر التنوع الخليط للبنية الاجتماعية بيئة طبيعية للحاكم الاستبدادي التعسفي الذي يمكن أن يقسم المجتمع ويحكمه دون خوف من معارضة منتظمة ومجتمعة.

كما ترون فإن نموذج المجتمع الإسلامي الخليط أبعد ما يكون عن الإقناع كوجهات النظر المستشرقة الأخرى (Subaşı 1999: 94-97).

وفقاً لتيرنر (٢٠٠٢: ٦٣)، الخطاب الاستشراقي حول غياب المجتمع المدني في الإسلام كان مظهراً من مظاهر القلق السياسي الأساسي للحرية السياسية في الغرب. مشكلة الاستشراق في هذا الإطار لم تكن الشرق بل كانت الغرب. في وقت لاحق تم نقل هذه المشكلات والمخاوف إلى الشرق. وهكذا أصبح الشرق كاريكاتيراً للغرب وليس ممثلاً للشرق. الاستبداد الشرقي كان فقط النفوذ الأعلى للنظام الملكي الغربي ولذلك فإن الأزمة الشرقية المعاصرة وتناقضاتها هي جزء من أزمة المجتمع الغربي المستمرة في السياق العالمي.

مثال آخر عن الجوانب الاستشراقية في علم الاجتماع فيما يتعلق بالجمل السابقة أعلاه هو: أن التغيير الاجتماعي في الشرق والمجتمع الإسلامي مغلق أي ثابت. في المنظور الاجتماعي الكلاسيكي، ومع ما يوازيها من وجهة نظر الاستشراق، فإن الشرق راكد وبطبيعته كسول.

مثال آخر يقوم على أساس الجنس والشهوانية. إن علاقة الاستشراق بالجنس والشهوانية يتم تناولها في علم اجتماع ماكس ويبر. إن ويبر في علم الاجتماع الديني المقارن أسس نظرية عالمية للاختناق تقوم على المقارنة بين الشهوانية في الإسلام ورفض الترف وجمح الرغبات في الرهبانية البروتستانتية. إن النظام العقلاني للعواطف قد أرسى البنية التحتية اللازمة للرأسمالية؛ لأن الرفض أو الإنكار جلبا الأساس النفسي للجمع والادخار الاقتصادي. إن دنيوية أورينت وشهوانيته قضت على مجالات مماثلة وعلى إمكانية انتقال مجتمع ساد فيه ظروف السوق الحرة. إن واحدة من المكونات المهمة للهيكل الاستشراقي للمجتمع الشرقي هي نظرية العقلانية حيث يرتبط علم اجتماع ويبر ارتباطاً وثيقاً بدليل جمح الرغبات ونهجها. إن نظرية الواقعية في علم اجتماع ويبر كعملية تغيير ثقافية فريدة من نوعها بالنسبة للغرب شكلت في الواقع الأرضية لوجهة نظر علم الاجتماع لدى ويبر برمتها (Turner 2002: 152-154).

في الواقع في المشهد الاستشراقي الكلاسيكي يظهر المجتمع الشرقي على أنه يعاني من الحرمان الكلي. من الممكن أيضاً رؤية ذلك في علم اجتماع ويبر. من وجهة النظر هذه فإن المجتمع الشرقي هو مجتمع موصوف بعدم التمدن والطبقة الوسطى المفقودة والمؤسسات الحضرية المستقلة المفقودة والممتلكات المفقودة وعدم

التغيير وعدم الطبقات الاجتماعية إلخ (Turner 2002: 70-71). هذا يدل على أن المجتمع الغربي هو مجتمع لديه عكس هذه الصفات. في الواقع إن الاستشراق وهو أهم وسيلة للوعي الغربي يمكن فهمه في شكل محاولة لرؤية صفات الغرب الخاصة به أو إظهارها؛ تلك التي لا يريد أن يراها في نفسه أو التي ينتقدها في الشرق. في هذا الصدد لو لم يكن الشرق موجودا لما وجد الغرب ايضا. وبهذا المعنى فإن الشرق الغربي يحاول أن يعرف نفسه بخلق صورة شرق مع الاستشراق وخلق شرق آخر وتوجيه الشرق (Bulut 2002: 25). يمكن القول آنذاك إن الخطاب والنهج الاستشراقيين كانا منهجاً كلامياً لجذور الغرب وليس الشرق. في القرن التاسع عشر المنظرين الاجتماعيين يفضلون أو يقبلون وجهات نظر مختلفة للغاية في هذا الموضوع. يفيد ويبر في علم الإجتماع الديني بأنه عرف بأصول العقلانية في الثقافة الغربية والتقاليد المسيحية ومن المعروف أن هذه التعريفات تصف الغرب بشكل واضح (Turner 2002: 154).

١١ سبتمبر صراع الحضارات العولمة والاستشراق:

المواقف التي صرحت بها أميركا وأوروبا بعد أحداث ١١ سبتمبر تثير الشعور بأن الاستشراق الكلاسيكي مستمر في شكل ما بعد الحداثة. الولايات المتحدة أعلنت على الفور أن العدو الإرهابي هو من العالم الإسلامي مع أنه في الداخل الأمريكي العديد من المعارضين والمؤيدين للعنف إلخ. وفقاً لذلك فإن الآخر داخل المسلمين. الظاهر من التدخل في أفغانستان والاستعدادات للهجوم على العراق إلخ. إن «الإرهاب» إنما هو نتاج وجهة نظر استشراقية ما بعد الحداثة. إن بحث الولايات المتحدة عن مصدر الإرهاب في الشرق تحت شعار الحرب العالمية ضد الإرهاب العالمي يشعر الإنسان شئنا أم أبينا أننا تجاه نسخة مختلفة من الاستشراق الكلاسيكي.

السياسات التي تم وضعها على نطاق العالم من التفريق بين: «نحن» و«الآخر» بعد ١١ سبتمبر زادت من شهرة أطروحة الحضارات وجعلتها في موقف الخطاب السائد. في علاقاته مع الشرق يتصرف الغرب مع هذا الخطاب باختياره الطريق الأصعب والأسوأ ألا وهو الحرب ويفضل إعطاء رسالة لإظهار عدم وجود أي تغيير متأصل في الطريقة التي ينظر بها إلى الشرق.

بالإضافة إلى ذلك فإن أطروحة هنتنغتون وهو عالم اجتماعي عن حرب الحضارات تظهر لنا نوعاً من العلاقة بين الاستشراق وعلماء الاجتماع.

أدت السياسات ونهج الحرب التي تلت أحداث ١١ سبتمبر إلى زيادة هذا الارتياب ضد العولمة التي تخضع لشكوك مختلفة بشكل عام. وقد أسهمت السلوكيات ضد الشرق والإسلام في سياق العولمة في زيادة تدهور الصورة السلبية للعولمة وكان لها دور فعال في إقامة صلة بين العولمة والاستشراق.

باختصار: الأحداث التي تمت معايشتها بعد ١١ من سبتمبر تجعلنا نتساءل عن مدى أحقية أ. سعيد فيما يقوله في حق الإمبريالية الغربية في سياق الاستشراق؟

الجوانب المذكورة أعلاه من الاستشراق وعلم الاجتماع الكلاسيكي لم تمنع تيرنر من أن يبحث عن بديل للاستشراق. إن تيرنر بدلاً من الأسلوب الاستشراقي يختار نهج التحليل الماركسي ولكن يشير أيضاً إلى أنه يجب تنقية هذا الفكر من العناصر الاستشراقية. مع أخذ هذا في الاعتبار يقترح تيرنر نهجاً قد يتجاوز حدود المناهج

المهيمنة على الأبحاث في الشرق الأوسط يتخطى علم اجتماع ويبر الكلاسيكي والماركسية التاريخية ومنهجيات الاستشراق (Nyang ve Abed-Rabbos ty.: 206-207).

وفقاً لتيرنر (٢٠٠٢: ٦٣) إن نهاية الاستشراق تتطلب إعادة صياغة جذرية للنماذج من خلال وجهات النظر. لكن إعادة هيكلة المعرفة هذه لا يمكن أن تتحقق إلا في إطار التحولات الكبرى في العلاقات السياسية بين الشرق والغرب. لأن تحويل اللغة الخاصة بك يتطلب أيضاً تحويل السلطة.

الإسلاموفوبيا في الثقافة والفن والأدب:

يتم إنتاج الإسلاموفوبيا وتغذيته وتقويته وتعميقه في عدة دراسات واسعة وفي مختلف المجالات. تعد الأعمال الثقافية والفنية والأدبية من بين أهم مجالات الدراسة حيث يتم إنتاج ودعم الإسلاموفوبيا. يتناول سعيد (١٩٩٨) هذا الأمر في عمل له عندما يتعامل مع الإمبريالية من خلال الروايات. الشيخ-علي (٢٠١٥) في أحد أعماله يفيد بأن الأعمال الثقافية والفنية والأدبية إلخ في الغرب مثل بعض القصائد والروايات والقصص واللوحات وغيرها لطالما كانت مليئة بالأحكام المسبقة واللغة والخطابات التي تحط من شأن الإسلام والمسلمين. ووفقاً للشيخ علي (٢٠١٥)، فإن «الكثير من الناس لا يعيرون اهتماماً في تأثير الأعمال الأدبية والأعمال الفنية على الوعي الشعبي أو المزاج العام فحسب بل حتى على مدى تأثيره في تشكيل السياسة أيضاً». ٤ أكتوبر ٢٠٠٤، نشرت صحيفة واشنطن تايمز مقالاً بعنوان «إنقاذ الخوف من الخيال» (Relieving Fears from Fiction) بقلم «أرنود بورشغراف» حول التطورات المتعلقة بانضمام تركيا إلى الاتحاد الأوروبي وحول السياسيين والتصريحات الإعلامية وتقييمها. تعطف المقالة على رواية باسم Le Camp des Saints «معسكرات القديسين» (١٩٧٣) لكاتب فرنسي وهي على قائمة الحائزين على جوائز والأكثر مبيعا وترجمت في عام ١٩٧٥ إلى اللغة الإنجليزية The Camps of Saints وإلى لغات أوروبية أخرى منذ ذلك الحين. بورشغراف، يداوم على بيع آلاف النسخ من الرواية كل عام؛ يذكر بورشغراف أن السبب في ذلك هو خوف أوروبا من أسلمة شمال أفريقيا وأفريقيا جنوب الصحراء والشرق الأوسط والجنوب وجنوب شرق آسيا من قبل المسلمين الذين يقدر عددهم بـ ٢٠ مليون مسلم. يعتقد المؤلف أن كثيراً من الأوربيين يرفضون فكرة انضمام تركيا إلى الاتحاد الأوروبي وإقامة ٧١ مليون مسلم تركي في أي مكان بها ومقتنعون بأن ذلك سيسمح لها باحتلال الحضارة المسيحية.

صناعة الإسلاموفوبيا والإعلام:

صناعة الإسلاموفوبيا ورسالته ومنتجاته التي تغذي الخوف من الإسلام وخطاباته إلخ. تعمل ما بوسعها لتنشرها للجمهور وتستخدم وسائل الإعلام كأداة. حتى إن أجهزة الإعلام أو شبكات النشر التي تنشر صناعة الإسلاموفوبيا بين الشعب هي نفسها شريكة في لعبة الحث على الخوف من المسلمين. في شبكات التلفزيون الرئيسية هذه يقوم أشخاص مختلفون بتسويق الرعب ليعلنوا عن منتجاتهم لكن ما نحن بصدده ليست علاقة من هذا النوع بين البائع والمشتري. وإنما هي على الأخص علاقة المصلحة المتبادلة التي تتحد فيها الميول الأيديولوجية والسياسية في نقطة واحدة لتوجيه الرأي العام (Lean 2015).

إن الأداة الأهم والأكثر فاعلية في نشر الخوف من الإسلام في الغرب هي وسائل الإعلام والنشر. العديد من القنوات التلفزيونية والراديو والصحف ومواقع الإنترنت... إلخ. تقوم بدور مهم في تسويق منتجات صناعة الإسلاموفوبيا والإعلان عنها (Said 2007; al-Shaikh-Ali 2015).

إن تعامل وسائل الإعلام -الراغبة في كسب الشعبية- مع الإسلام في أوروبا ربما تعد العامل الرئيسي في خلق الإسلاموفوبيا (Cherribi 2015: 95).

الإسلاموفوبيا في مرحلة العولمة والإرهاب المنسوب إلى الإسلام والمسلمين:

الإرهاب المنسوب للإسلام والمسلمين من طرف أولئك الغربيين الذين يغذون صناعة الإسلاموفوبيا يعد وسيلة لإضفاء الشرعية على الإسلاموفوبيا من جهة ومن جهة أخرى عندما يتم توظيفه فيما يتعلق ببعض المجموعات يُنظر إليه على أنه أداة للصراع ضد الإسلاموفوبيا.

في الحقيقة المشكلة معقدة للغاية. إن ما تفعله الجهات الفاعلة أو القوى العالمية في مرحلة العولمة والاستراتيجيات والخطط والسياسة والتجارة وما إلى ذلك فيما يتعلق بالإسلاموفوبيا والإرهاب والصراع والحرب والعنف بشكل عام وعلى نطاق عالمي يتجلى في أشكال مختلفة ومحتوى وخطاب ولغة وادعاءات وأطروحات.

أصبح الإسلاموفوبيا ثقافة وصناعة وأصبح أكثر شيوعاً مع عمليات العولمة. ومع العولمة أصبح من الممكن الآن الحديث عن الإسلاموفوبيا العالمي. لو وضعنا في الحسبان وجود الإسلاموفوبيا حتى في بعض البلدان الإسلامية الأمر الذي يجعلنا نفهم أن الإسلاموفوبيا هي مشكلة كبيرة بالنسبة للمسلمين.

الإسلاموفوبيا العالمية والإرهاب العالمي قد جعل الخوف والكراهية من المسلمين والتحيز ضد المسلمين والمواقف العدائية عالمية أيضاً. يمكن القول إن العديد من المجتمعات في العالم حتى القوى العالمية تواجه «مشكلة الوضع العالمي». ولعل أهم ميزة في مشكلة الوضع العالمي هذه هي عدم المساواة والتمييز والعنف والنزاع والإرهاب. من الضروري في هذا الإطار التركيز على وضع الإسلام ونهجه السلمي كدين سلام عالمي في مواجهة العنف والإرهاب الذي يعد أخطر أبعاد «مشكلة الوضع العالمي» (Okumuş 2008).

في الحقيقة إن المسلمين في التاريخ الإسلامي أسسوا عوالم قائمة على السلام لا يمكن مقارنتها بالأديان الأخرى. لايقصد بهذا الافتراض القول إن المسيحية أو اليهودية أو أي دين آخر كان له تأثير على العالم بشكل سيئ أو يستند على العنف. من الناحية التاريخية نستطيع أن ندعي هنا أن المسلمين يستطيعون إحلال السلام في العالم من خلال فهمنا للنظام الاجتماعي والسياسي الذي أنشؤوه وبنوه مع عدم إنكارنا لبعض الأمثلة السيئة. وبسبب هذا الموقف فإن ذكر الإسلام إلى جانب الإرهاب اليوم هو نتيجة لخداع بصري ولبعض الأحداث الإيديولوجية والسياسية. من خلال أبطال فيلم العولمة تم إدراج المسلمين في عملية العولمة عن طريق العنف والإرهاب ونتيجة لذلك يتم ذكر الإرهاب والعنف جنباً إلى جنب مع الإسلام. من المهم أن ننتبه إلى أن الجهات الفاعلة الرئيسية هي نفسها أولئك الذين يستخدمون الإسلام جنباً إلى جنب مع العنف. إن الذين يصورون المسلمين تصويراً فوتغرافيا مقترناً بالعنف في الشرق الأوسط وأماكن أخرى في العالم هم أنفسهم الذين

يجعلونهم أمام العدسات. هنا أمران مهمان: أولاً، حتى لو قبلنا اليوم أن الأعمال التي يقوم بها المسلمون في أماكن معينة على أنها أعمال إرهابية – بطبيعة الحال الإرهاب إرهاب والعنف عنف وقليله وكثيره مرفوض– إلا أن هذا يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالدعاية السيئة التي يقوم بها الإعلام وشبكة الإنترنت حيث يقدم المسلمين جميعهم للعالم على أن لديهم قوة كامنة وميولاً إرهابية وأن لديهم أهدافاً تجاه ذلك ويقدم هذا للعالم بشكل مبالغ فيه. ثانياً، من الضروري أيضاً التنبيه على المعايير التي من خلالها نستطيع أن نصف ونسمي أي عملية على أنها عملية إرهابية. من الواضح أن المعايير نسبية جدا. لو اتخذ الغرب نفسه معياراً في تعريف الإرهاب مستنداً في ذلك على مصالحه الذاتية، على الأقل لو فعل ذلك من الناحية التطبيقية ووصم كل ما يفعله المسلمون من الدفاع عن النفس بأنه عنف وإرهاب هل سيكون من الممكن الوصول إلى مكافحة الإرهاب على أساس أخلاقي عالمي؟ على كل حال إن الحقيقة الماثلة أمامنا اليوم أنه يجب على المسلمين أخذ دروس من الصورة الموجودة. يجب على المسلمين أن يظهروا للعالم كله أن الإسلام ليس كذلك وأنهم ليسوا كذلك. وفقاً لمهمتهم التاريخية فإنه من الممكن إظهار ذلك للعالم بأسره من خلال النواحي التطبيقية ومخاطبة الوجدان وأن هذه الصورة هي صورة زائفة حيثما نظر إليها. علاوة على ذلك فإنه من الأهمية بمكان أن يدرك الغرب إذا أراد تحقيق السلام أن لا يمنع المسلمين من إظهار أنهم سلميون وعليه أن يتقبل أن المسلمين يستحقون أيضاً المعاملة التي يستحقها شعوبهم ويحاول فهم المسلمين بالتعاطف معهم ودون أن ننسى أن أكبر مشكلة للغرب في عصرنا هي خلق التوتر بين عالمه والدول الإسلامية(١٠) وأنه الطرف الأقوى من الناحية المادية (Okumuş 2008).

إن الرصد الجيد والصحيح للمشكلة سيؤدي إلى رؤية الدور الأساس للإسلام كدين عالمي شامل في مواجهة الوضع العالمي وكيفية الخروج من مناخ الفوضى المليء بالعنف والإرهاب. إن ربط الإسلام بالإرهاب في سياق لعبة الإسلاموفوبيا التي ظهرت في أوضاع مختلفة خلال عملية العولمة أمر خاطئ. انطلاقاً من الناحية التاريخية للإسلام فإنه من المعلوم أن كفة الإرهاب والعنف لم تكن راجحة إلا أنه يوجد محاولة لربط الإسلام بالإرهاب نظراً لما تعيشه المجتمعات الإسلامية من اضطرابات بسبب النتائج والعواقب السلبية للعولمة اليوم وما يترتب عليه من أحداث الإرهاب المنعكسة على العالم (Okumuş 2008).

تجدر الإشارة إلى أن توريط الأديان العالمية داخل الوضع العالمي وفي مواجهته بالإرهاب والعنف يمكن تفسيره من خلال كونه بديلاً لسلبية الوضع العالمي. في هذا السياق يمكن القول إن الأخطاء التي ترد من طرف المتدينين في مجالات العنف والإرهاب مؤقتة. فيما يتعلق بالأديان وبالعالم هناك فترة انتقالية وفترة من التألم تعاش وستقوم الأديان بدور أساسي في تخطي الناس لهذه المرحلة. وإن أهم دور سيكون للدين الإسلامي في بعده الداخلي والعالمي. بسبب إرهاصات هذه الميزة للدين الإسلامي تقوم القوى العالمية بتطبيق سياسات مختلفة تنتهي بالعنف ضد المسلمين. إن وجود ردود أفعال لدى بعض الأفراد أو الجماعات من داخل المجتمعات

(١٠) إن أكبر مشكلة في القرن الحادي والعشرين هي التوتر بين العالم الغربي والدول الإسلامية Gunter Verheugen .وفقا لـ (http://www.tercumangazete. com/hoku. aspx?id = 10661, 07 Ekim 2004 Perşembe).

الإسلامية باسم الدين أو باسم شيء آخر أو حتى اشتراكهم في بعض أعمال العنف لا تجعل مقولة الإرهاب الإسلامي أو مقولة انتشار الإرهاب بين المسلمين أو أن معظم المسلمين في العالم مشتركون في العنف والإرهاب محقة فليس لذلك مبررات. إن فصل أحداث العنف والإرهاب عن سياقاتها ثم تعريفها على أنها أعمال إرهابية مرتبطة بالإسلام والمسلمين لا يتوافق مع المبادئ العلمية. بالطبع الإرهاب إرهاب والعنف عنف فهو خطأ وجريمة يجب التصدي لها أياً كان فاعلها. ولكن تعريف الأحداث المعقدة للغاية والخطط التي تحاك وما يفعله بعض ضعاف الشخصية من أعمال عنف على أنه مجرد عنف أو إرهاب ومحاولة إدانة المسلمين في جميع أنحاء العالم وخاصة في المجتمعات الأوروبية والأمريكية بها سيكون مانعاً من فهم الأحداث ومن ثَمَّ إنهاؤها. وهذا من شأنه أن يفيد الجوانب المدمرة للعولمة ويعمق ويوطد من أعمال متخصصي العنف والإرهاب في النظام العالمي الجديد (Okumuş 2008).

يجب على أمريكا والغرب والدول الأخرى الفاعلة سياسياً والمؤثرة نبذ تعريف الإرهاب انطلاقاً من اعتباراتهم. فإنهم يعرفون الإرهاب على هواهم واستناداً إلى سياساتهم الخاصة وأيديولوجيتهم وسلطتهم وقوتهم ويصفون من أرادوا بالإرهابي ويجعلون من يريدونه بطلاً. وهذا يخلق معياراً مزدوجاً ويؤدي إلى عدم الوثوق بالغرب. الأمر الذي لا مفر منه بالنسبة للدول والجهات الفاعلة ذات الصلة أن يبذلوا جهدهم في اتخاذ موقف عالمي في مسألة الإرهاب. من الضروري أيضاً لأمريكا أن تعلم شعبها الإسلام والمسلمين بشكل صحيح. ومع الأسف اليوم يعاني الأمريكيون من أفكار مسبقة سلبية تجاه المسلمين مع عدم معرفتهم بالإسلام. في هذا الصدد أود أن أشير إلى ما لفت انتباهي عندما أقمت في الولايات المتحدة في الفترة بين ٣١ يناير إلى ١٩ أبريل ٢٠٠٧ وتمكنت من الذهاب إلى عدة ولايات. هو أن هناك في أمريكا دعاية خطيرة تجاه المسلمين أنهم إرهابيون وأن الإسلام هو دين العنف. في الواقع بعض القوى السياسية وبعض الأكاديميين وبعض الكنائس ووسائل الإعلام في أمريكا بسبب أفكارها المسبقة وأغراضها الإيديولوجية والسياسية تتحدث دائمًا عن الإسلام بأنه إرهاب وعنف (Davidson, 2003: 71). وهذا يؤدي إلى أن الشعب الأمريكي الذي لسوء الحظ هو شديد الجهل بالإسلام يفكر سلباً في الإسلام والمسلمين ويرى المسلمين على أنهم خطر شديد على أمريكا وعليه يكرهون المسلمين. المسلمون الذين يعيشون في أمريكا يرون هذه الحقيقة ويتأثرون بها بشكل سلبي. بالإضافة إلى ذلك هناك بعض الكتب التي كتبت فيها معلومات مضللة خطيرة عن المسلمين. وتوجد بعض وسائل الإعلام اتخذت حرفة ربط الإسلام بالإرهاب أيضاً. من الصعب أيضا القول إن الوضع في أوروبا مختلف. بالنظر إلى الحالة هذه تصبح الأسئلة التالية ذات مغزى: ١. ذكر العنف والإرهاب بشكل مستمر. هل الإرهاب يتم إنتاجه إعلامياً أولاً ثم يطبق؟ هل يقود الإرهابيون مراكز دولية أو عالمية معينة؟ ٢. في أكثر الدول ذكراً للإرهاب هل بالمقدور التخلص من الإرهاب دون تحليل العلاقات المعقدة أو أن الذين يحاربون الإرهاب هم أنفسهم الذين يقومون بأعمال إرهابية؟ في السياق الإسلامي خلط الإرهاب والأصولية والتطرف بالتدين والمسلمين والإسلام عن قصد أو غير قصد وربط الإسلام والمسلمين بالعنف والإرهاب هو حاجز يعوق إظهار الجوانب السلمية للمسلمين. من الضروري أن يتخلى الغرب عن هذا وأن يعبّر المسلمون عن أنفسهم

بشكل صحيح. في الواقع عليهم أن يشرحوا جيداً أن الإسلام وأنفسهم ليسوا كذلك. والنتيجة أن الإسلام يتمتع بإمكانيات وخبرات كبيرة في وقف العنف والإرهاب الموجودين في العالم من خلال نهجه المحلي. ومن خلال تحويل الوضع العالمي إلى وضع عالمي وطني وسينشر الإسلام قيمه إلى العالم بميزته العالمية ومحافظته على المحلية وبخلفيته القائمة على أساس التعددية وستضمن للمعتقدات المختلفة حالتها الخاصة وتحد من مستوى العنف والإرهاب لدى المنظومة العالمية. من المهم أن تترك القوى العالمية الدول الإسلامية لحال سبيلها وأن يظهر الإسلام عن إمكاناته وتجاربه في الوقت المناسب وعليه يتم فتح الطريق إلى السلام في العالم كله. إن ترك المسلمين لحال سبيلهم سيجلب للمجتمعات الإسلامية التشكل القائم على الحرية في بلادهم. بطبيعة الحال عندما يشارك المسلمون في أحداث من أي نوع كانت فعليهم الانتباه إلى عدم التورط في أعمال عنف وإرهاب كما تنص عليه المبادئ الأساسية للإسلام (Okumuş 2008).

النتيجة: حل مشكلة الإسلاموفوبيا هو الإسلام نفسه:

في هذا البحث وهو جهد لفهم وضع المسلمين في الإسلاموفوبيا قد توصل إلى النتائج التالية:

الإسلاموفوبيا يعني باختصار كراهية الإسلام ومعارضته ومعاداته هي حالة وثقافة وصناعة شائعة جداً في الغرب.

وبناءً على ذلك يمكن القول إن ظاهرة كراهية الإسلام فعالة ومؤثرة في العديد من دول العالم حتى في بعض الدول الإسلامية.

يمكن تقسيم مراحل التأسيس التاريخية للإسلاموفوبيا إلى بدء تبليغ سيدنا محمد للإسلام في مكة وانتشار الإسلام إلى مناطق وثقافات مختلفة منذ العهد المدني ودخول الإسلام الأندلس والحروب الصليبية والاستشراق والعصر الحديث وما بعد الحداثة.

وسائل الإعلام والسينما والثقافة والفن والأدب هي أهم وسائل الإسلاموفوبيا.

يجب بذل الجهود في سبيل النضال ضد الإسلاموفوبيا وإعلانه كجريمة في جميع أنحاء العالم وتفعيل الإجراءات القانونية إلى أقصى حد ممكن ضد هذه الجريمة في جميع البلدان.

يجب على الغربيين أن يروا أن الإسلاموفوبيا هو مشكلة خطيرة عليهم أولاً ويجب أن يكافحوا ضد فكرة الإسلاموفوبيا وأن يساعدوا المسلمين في بلادهم. يجب عليهم أن يفعلوا ذلك لمنع الإسلاموفوبيا.

إن لعبة الخوف من الإسلام التي أنشأتها القوى الغربية وحددت قواعدها هي نوع من «الانحصار بين شيئين» بالنسبة للمسلمين. في هذه اللعبة وضعت القواعد بحيث يطارد فيها المتضررون. لذا فإن خلاص المسلمين من هذه اللعبة والخروج منها إنما تكون ممكنة بكسر قواعد اللعبة ووضع قواعدهم الخاصة بهم. والنتيجة أن الحكاية التي حكاها مولانا والتي تدور بين الأسد والأرانب لابد من تطبيقها فقد تكشف الطريق للمسلمين.

عندما ينشئ المسلمون لعبة ضد لعبهم وكيداً ضد كيدهم يجب ألا ينسى المسلمون أن يضعوا الإسلام نفسه في مواجهة الإسلاموفوبيا وأن يجدوا حلولاً لذلك. عند هذه النقطة يجب عليهم إعادة التفكير في الآيات

التالية وتنفيذها: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ ﴾ [النساء ٤-١٣٦]، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ ﴾ [الرعد ١٣-١١].

من أهم أبعاد التصدي للإسلاموفوبيا هي وحدة المسلمين فيما بينهم وانقيادهم لحقوق الأخوة. ويجب ألا يدخلوا في موقف تمييزي أو وصم أو تمييز تجاه المسلمين كما فعلت جماعة الكيان الموازي الديني وبعض الجماعات الأخرى من خلال جعل نفسها معياراً وتأييدها لمكائد واستراتيجيات الغرب بالنسبة للإسلاموفوبيا.

يجب على المسلمين اتخاذ موقف واضح ضد الجماعات أو المنظمات التي تضر بالإسلام والمسلمين وتدعم الإرهاب وتميل إلى الظلم وتخالف المبادئ الأساسية للإسلام وعدم احتضانهم بتاتاً. ويجب على القوى الغربية ألا تتدخل أبداً في الأحداث التي تجري في الأراضي الإسلامية تحت أي مسمى كان.

المراجع:

- Abbas, Tahir (2015). "İngiltere'de İslamofobi: 21. Yüzyılda Müslüman Karşıtı Irkçılığın Şekillenişi Konuusunda Tarihe ve Günümüzde Siyaset ve Medya Tartışmaları". İslamofobi: 21. Yüzyılda Çoğulculuk Sorunu. Ed. J. L. Esposito ve İ. Kalın. Çev. İsmail Eriş. İstanbul: İnsan Yayınları, ss. 115-131.
- Ahmed, Akbar (2008). İslâm'a Yolculuk: Küreselleşme krizi. Çev. Faruk Tuncer. İstanbul: Ufuk Kitap Yyaınları.
- Akram, Susan M. ve Johnson, Kevin R. (2002). "Race, Civil Rights, and Immigration Law after September 11, 2001: The Targeting of Arabs and Muslims". NYU Annual Survey of American Law. 58/3, ss. 295-355.
- al-Shaikh-Ali, Anas (2015). "Sanat ve Edebiyat Kılığına Girmiş İslamofobi Söylem: İlerlemeci Eğitim Yardımıyla Efsane ile Mücadele". İslamofobi: 21. Yüzyılda Çoğulculuk Sorunu. Ed. J. L. Esposito ve İ. Kalın. Çev. İsmail Eriş. İstanbul: İnsan Yayınları, ss. 217-254.
- Bauman, Zygmunt (1999). Küreselleşme. Çev. A. Yılmaz. İstanbul: Ayrıntı Yayınları.
- Bayraklı, Enes ve Hafez, Farid (ed.) (2016). European Islamophobia Report. Ankara: SETA.
- Beyer, P. (2002). "Globalization". http://aix1.uottawa.ca/pbeyer/globalization. html.
- Boztemur, Recep (2002). "Marx, Doğu Sorunu ve Oryantalizm", Doğu Batı. 5/20. Ağustos-Eylül-Ekim/1 2002, ss. 135-150.
- Bulut, Yücel (2002). Oryantalizmin Eleştirel Kısa Tarihi. İstanbul: Yöneliş Yayınları.
- Cainkar, Louise (2004). "The Impact of the September 11 Attacks and Their Aftermath on
- Arab and Muslim Communities in the United States". 13 GSC Quarterly. Yaz/Sonbahar, 2004.
- Cesari, Jocelyne (2015). "Batı'da İslamofobi: Avrupa ve Amerika Birleşik Devletleri Arasında Bir Mukayese". İslamofobi: 21. Yüzyılda Çoğulculuk Sorunu. Ed. J. L. Esposito ve İ. Kalın. Çev. İsmail Eriş. İstanbul: İnsan Yayınları, ss. 63-92.
- Cherribi, Sam (2015). "Bir Saplantının Canlanışı: Hollanda, Avusturya ve Almanya'da İslamofobi". İslamofobi: 21. Yüzyılda Çoğulculuk Sorunu. Ed. J. L. Esposito ve İ. Kalın. Çev. İsmail Eriş. İstanbul: İnsan Yayınları, ss. 95-114.
- Cole, David (2003). "The New McCarthyism: Repeating History in the War on Terrorism". Harvard Civil Rights-Civil Liberties Law Review. 38/1. Kış, ss. 1-30.
- Davidson, Lawrence (2003). Islamic Fundamentalism. Westport, London: Greenwood Press.
- Elliot, Andrew (2006). "After 9/11, Arab-Americans Fear Police Acts, Study Finds". The New York Times. June 12.
- Esposito, John L. (1999). The Islamic Threat: Myth or Reality? 3. bs. New York, Oxford: Oxford University Press.
- Fuller, Graham E. (2012). İslamsız Dünya. 4. bs. Çev. Hasan Kaya. İstanbul: Profil Yayınları.
- Hagopian, Elaine (1975-76). "Minority Rights in a Nation-State: The Nixon Administration's Campaign against Arab-Americans". Journal of Palestine Studies. c. 5. No. 1/2. Sonbahar, 1975 - Kış, 1976, ss. 97-114.
- Heck, Robert (2007). "Towards A Sociological Understanding of American Islamofobia". 70th Annual SSS Meeting'de (Southern Sociological Society, 10-14 Mart 2007, Atlanta, ABD) sunulan bildiri.
- Kalın, İbrahim (2015). "İslamofobi ve Çok Kültürlülüğün Sınırları". İslamofobi: 21. Yüzyılda Çoğulculuk Sorunu. Ed. J. L. Esposito ve İ. Kalın. Çev. İsmail Eriş. İstanbul: İnsan Yayınları, ss. 39-62.
- Lang, Michael (2006). "Globalization and Its History". The Journal of Modern History. c. 78, ss. 899–931.
- Lean, Nathan (2015). İslamofobi Endüstrisi. Çev. İbrahim Yılmaz. Ankara: DİB Yayınları.
- Le Carré, John (2003). "The United States of America Has Gone Mad". Times/UK. Şubat 21

(http://www.commondreams.org/views03/0115-01.htm.).
- Lechner, Frank J. (1989). "Cultural Aspects of the Modern World-System". Religious Politics in Global and Comparative Perspective. Ed. W. H. Swatos. New York: Greenwood Press
- Lewis,Bernard (1982). "The Question of Orientalism". New York Review of Books. 24 Haziran 1982.
- Lewis, Bernard (2003). The Crisis of Islam, Holy War and Unholy Terror. New York: Modern Library.
- Mardin, Şerif (2002). "Oyantalizmin Hasıraltı Ettiği". Doğu Batı. 5/20. Ağustos-Eylül-Ekim/1 2002.
- Mazrui, A. (1998). "Globalization: Homogenization or Hegemonization". The American Journal of Islamic Social Science. c. 15. Sayı: 3.
- Metin, Sevtap (2014). "Oyun Teorileri Işığında Thomas Hobbes'un Sosyal Sözleşme Kuramının Analiz ve Yorumu". İÜHFM. LXXII/1, ss. 235-264.
- Nyang, Süleyman S. ve Abed-Rabbos, S. (ty.). "Bernard Lewis ve İslamî Araştırmalar: Bir Değerlendirme". Oryantalistler ve İslamiyatçılar: Oryantalist İdeolojinin Eleştirisi. Ed. Asaf Hüseyin vd. 2. bs. İstanbul: İnsan Yayınları.
- Okumuş, Ejder (2002). "Güncelliğini Yitirmiş Bir Oryantalizmden Global Sosyolojiye Geçiş İmkânı". Marife. 2/3. Kış 2002, ss. 253-260.
- Okumuş, Ejder (2005). "Secularization and Religion". Euro Agenda Avrupa Günlüğü. 4/6, ss. 335-356
- Okumuş, Ejder (2007). "ABD'de İslamofobi ve Anti-İslamizm: 11 Eylül Öncesi ve Sonrası". Batı Dünyasında İslamofobi ve Anti-İslamizm. Ed. K. Canatan ve Ö. Hıdır. Ankara: Eski Yeni Yayınları, ss. 235-257.
- Okumuş, Ejder (2008). "Küresel Durum-Problemi, Evrensel Barış ve İslam". Diyanet İlmi Dergi. 44/3. Temmuz-Ağustos-Eylül 2008.
- Okumuş, Ejder (2012). Toplumsal Değişme ve Din. 4. bs. İstanbul: İnsan Yayınları.
- Okumuş, Ejder (2015a). "İslamofobi: Bir Kötülük Problemi". Yeni Şafak. 13.02.2015 http://www.yenisafak.com/hayat/islamofobi-bir-kotuluk-problemi-2080240
- Okumuş, Ejder (2015b). "Çağdaş Dünyada Birlikte Yaşama". Hz. Peygamber ve Birlikte Yaşama Ahlakı. Koordinatör: Yunus Akkaya. Ankara: DİB Yayınları, ss. 101-112.
- Özarı, Çiğdem, Turan, Kemal Kağan ve Ulusoy, Veysel (2016). Oyun Teorisi. Ankara: Pegem Akademi.
- Pruett,,Gordon E. (ty.). "'İslam ve Oryantalizm'. Oryantalistler ve İslamiyatçılar: Oryantalist İdeolojinin Eleştirisi. Ed. Asaf Hüseyin vd. 2. bs. İstanbul: İnsan Yayınları.
- Robertson, Ronald (1999). Küreselleşme. Çev. Ü. H. Yolsal. Ankara: Bilim ve Sanat Yayınları.
- Said, Edward W. (1982). Oryantalizm: Sömürgeciliğin Keşif Kolu. Çev. Nezih Uzel. İstanbul: Pınar Yayınları.
- Said, Edward W. (1998). Kültür ve Emperyalizm. Çev. Necmiye Alpay. İstanbul: Hil.
- Said, Edward (2001). "The Essential Terrorist". Blaming the Victims: Spurious Scholarship and the Palestinian Question 149. Ed. Edward Said ve Christopher Hitchens.
- Said, Edward (2007). Medyada İslam. Çev. Aysun Babacan. İstanbul: Metis Yayınları.
- Stewart, Anne (2003). Report on Hate Crimes and Discrimination against Arab Americans: The Post-September 11 Backlash, September 11, 2001-October 11, 2002. Ed. Ibish Hussein. American-Arab Anti-Discrimination Committee.
- Subaşı, Necdet (1999). "Oryantalist Söylemin Sosyolojisi". Kutsanmış Görüntüler. İstanbul: Nehir Yayınları.
- Terry, Janice J. (2006). "Arab-American Political Activism and Civil Liberties in the Post 9/11 Era". American Arabs and Political Participation. Ed. P. Strum. Washington DC: Woodrow Wilson International Center for Scholars, ss. 117-129.
- Taylor, Charles (2007). "The Collapse of Tolerance". The Guardian. 17 Eylül 2007. https://www.theguardian.com/commentisfree/2007/sep/17/thecollapseoftolerance (Giriş: 25.11.2016).
- Turner, Bryan S. (1985). Marks ve Oryantalizmin Sonu. Çev. H. Çağatay Keskinok. İstanbul: Kaynak Yayınları.
- Turner, Bryan S. (1991). Max Weber ve İslam. Çev. Yasin Aktay. Ankara: Vadi Yayınları.
- Turner, Bryan S. (2002). Oryantalizm, Postmodernizm ve Globalizm. Çev. İbrahim Kapaklıkaya. İstanbul: Anka Yayınları.
- Waters, Malcolm (1996). Globalization. 2. bs. London-New York: Routledge.
- Younes, Anna-Esther (2016). "Islamophobia in Germany". European Islamophobia Report. Ed. Bayraklı, Enes ve Hafez, Farid. Ankara: SETA, ss. 182-198.
- http://www.haber7.com/ortadogu/haber/2216937-turkiye-israile-baski-yapabilir (Giriş: 18.11.2016).
- http://www.takvim.com.tr/dunya/2015/06/07/islamofobi-danimarkada (Giriş: 25.11.2016).
- http://www.dw.com/tr/danimarka-islamofobi-konusunda uyar%C4%B1lm%C4%B1%C5%9Ft%C4%B1/a-2522459 (Giriş: 25.11.2016).
- http://www.yeniakit.com.tr/haber/hitlerin-yahudilere-yaptigini-muslumanlara-239416.html (Giriş: 27.11.2016).
- http://www.hackneyhomes.org.uk/hh-hate_crime_turkish.pdf (Giriş: 25.06.2007).

الإسلاموفوبيا كلغة مصطنعة لمعاداة الإسلام في الغرب
(المنظور الاجتماعي الصدامي- منظور الصراع الاجتماعي)*

أ.د. حسني أزبر بودُر

جامعة إمام سوتشو؛ كهرمان مرعش – كلية الإلهيات؛ قسم العلوم الدينية والفلسفية: hebodur@ksu.edu.tr

الخلاصة:

لقد قامت المقاربات والاعتبارات الأيديولوجية مثل: الاستشراق، وصراع الحضارات، والتمييز، والعنصرية، وخطاب الكراهية، ومعاداة الأجنبي يدور مهم في ظهور الإسلاموفوبيا التي تطورت إلى محاربة الإسلام ومعاداته. ويمكن، حسب وجهة نظر بيير بوردر (Pierre Bourdieu)، النظر إلى التعبير عن معاداة الإسلام ومناهضة المسلمين بالإسلاموفوبيا (الرهاب من الإسلام) على أنه عنف رمزي معنوي أكثر خطورة من العنف المادي. وقد تم تناول هذا البحث من المنظور الاجتماعي وبالاستناد إلى نظرية العنف الرمزي لدى بوردر الذي يقوم في دراسته على أساس المنهج النوعي بالاعتماد على البيانات والمعطيات التي جمعت من نوعين من المصادر. أما النوع الأول من المصادر فيتكون من التحقيقات والحوارات والكتب والمقالات المتعلقة بالموضوع، بالإضافة إلى البيانات والخطابات الصادرة عن السياسيين من التيار الرئيسي. وأما النوع الثاني من مصادر البيانات فيتألف من التقارير الدورية التي تنشرها مؤسسات المجتمع المدني ومنظماته أو المؤسسات الفكرية. ويتشكل الإطار النظري للبحث من نظرية الصراع وأطروحة الصراع الديني التي تُعد إحدى وجهتي النظر اللتين تدرسان دور الدين في المجتمع على صعيد شامل. وحسب هذه المقاربة فإن صراع الهيمنة على الموارد والثروات المحدودة في أساسه إنما يتغذى على الخطابات الدينية أو الأيديولوجية. وتم التوصل في هذه الدراسة إلى نتيجة مفادها: أن للصراع القائم على الأساس الديني والاجتماعي والاقتصادي دوراً مهماً ومؤثراً في ولادة أيديولوجية إسلاموفوباوية تحمل معنى مناهضة الإسلام والمسلمين. وتبين لنا أنه من المهم أن يقوم المنظرون ورجال العلم والمفكرون المتمرسون والمتمكنون في مجالاتهم بتعريف الإنسانية بأسس الإسلام الرئيسة ومبادئه، بدلاً من صرف الطاقات والإمكانات بالخطابات الدفاعية الرامية إلى الحد من انتشار ظاهرة الإسلاموفوبيا وتطورها في الغرب خاصة، وسائر أنحاء العالم عامة.

الكلمات المفتاحية: العنف الرمزي، خطاب الكراهية، العنصرية الثقافية، مناهضة الإسلام

* وهذه هي الترجمة العربية للدراسة بعنوان "Batı'da İslâm Karşıtlığının İcat Edilmiş Dili Olarak İslamofobi (Çatışmacı Sosyolojik Perspektif)" التي نشرت في العدد السّادس من مجلة الإلهيات الأكاديمية. (حسني أزبر بودُر، الإسلاموفوبيا كلغة مصطنعة لمعاداة الإسلام في الغرب (المنظور الاجتماعي الصدامي - منظور الصراع الاجتماعي)، الإلهيات الأكاديمية، ٢٠١٧، العدد: ٦، ص ٦٩-٨٦). من الواجب أن يستند في الإقتباس إلى المقالة التركية.

Batı'da İslâm Karşıtlığının İcat Edilmiş Dili Olarak İslamofobi (Çatışmacı Sosyolojik Perspektif)

Özet

İslâm karşıtlığına ve İslâm düşmanlığına evrilen İslamofobiye giden yolda, oryantalizm, medeniyetler çatışması, ırkçılık, yabancı düşmanlığı, ayrımcılık ve nefret söylemi gibi ideolojik yaklaşımlar önemli rol oynamıştır. Anti-İslâm ve Müslüman karşıtlığının İslamofobik ifadelendirilmesi, Pierre Bourdieu'nun yaklaşımıyla fiziksel şiddetten daha tehlikeli olan sembolik şiddet olarak görülebilir. Bourdieu'nun sembolik şiddet tezine dayandırılan ve sosyolojik perspektiften ele alınan bu çalışma iki tür kaynaktan toplanan verilere dayanarak kalitatif yöntemle yürütülmüştür. Birinci tür kaynakları, konu ile ilgili yazılmış kitaplar, makaleler ve söyleşiler ile ana akım siyasetçilerin söylem ve demeçleri oluşturmuştur. İkinci tür veri kaynakları ise çeşitli sivil toplum ya da düşünce kuruluşlarının periyodik olarak yayınladıkları raporlardan meydana gelmektedir. Çalışmanın teorik çerçevesini, dinin toplumdaki rolünü makro düzeyde inceleyen iki ana perspektiften biri olan çatışmacı teori ve dini çatışma tezi oluşturmuştur Bu yaklaşıma göre, temelde kıt kaynaklar üzerindeki hâkimiyet mücadelesi dini veya ideolojik söylemlerle yürütülmektedir. Bu çalışmada dini, sosyal ve ekonomik temelli çatışmanın İslâm ve Müslüman karşıtlığı anlamında İslamofobik bir ideolojinin doğuşunda etkili olduğu sonucuna varılmıştır. Batı'da ve dünyanın her yerinde İslamofobinin yükselişini engellemede savunmacı söylemlerle enerjiyi tüketmeden, alanında uzmanlaşmış teolog, bilim adamları ve entelektüellerin İslâm'ın temel esaslarını insanlığa aktarmalarının önemli olacağı görülmüştür.

Anahtar Kelimeler: Sembolik Şiddet, Nefret Söylemi, Kültürel Irkçılık, İslâm Karşıtlığı

Islamophobia as an Invested Language of Anti- Islam in the West (Conflict Sociological Perspective)

Abstract

On the way to Islamophobia evolving into Islam antagonism, theoretical frameworks such as clash of civilizations, orientalism, xenophobia, discrimination, and hate discourse and crime have played important roles. According to Pierre Bourdieu, articulating anti-İslâm and Muslim antagonism as Islamophobia could be regarded as symbolic violence which is more dangerous than physical violence. Gathering data from two different sources, this study has a qualitative approach based on Bourdieu's symbolic violence. First type of data are composed of books, articles, studies, and discourse and statement of mainstream politicians. Second type of data are collected from the reports released by civil society and think tanks. In this study, symbolic violence is used as an analytical tool. Also this study is based on conflict theory which is one of the two perspectives studying religion's role in society at the macro level and religious conflict thesis. According to this perspective, competitive struggle on scarce resources is maintained with religious and ideological discourse. This study demonstrated that how the conflict based on religious and economic reasons affected the rise of Islamophobic ideology defining Islam and Muslim antagonism. In conclusion, the importance of expert theologians and intellectuals' defensive discourse in preventing the rise of Islamophobia both in Western world and all over the world without wasting the energy was emphasized and their conveyance of basic principles of Islam to humanity was suggested.

Keywords: Symbolic Violence, Hatred Speech, Cultural Racism, Islam Antagonism

مدخل:

إن المفاهيم والمصطلحات تُستخدم كأدوات تحليلية مهمة في الدارسات والأبحاث العلمية الاجتماعية. ولكن من المعلوم أن المصطلحات تتشكل ضمن السياقات الاجتماعية الثقافية التي أُنتجت فيها من جهة، وتتعرض مع مرور الزمن للتحول والتحور في الدلالات والمعاني من جهة أخرى. وبالإضافة إلى ذلك يلاحظ أن بعض المصطلحات علاوة على بنيتها وطبيعتها المتغيرة هذه يتم إدراجها ضمن منحى توجيهي معين بشكل مرتبط بالجوهر الأيديولوجي الذي تحمله. وانطلاقاً من ذلك يمكن القول: إن مصطلح الإسلاموفوبيا بدوره هو مصطلح ابتدعه العالم الغربي ضمن ظروفه السياسية والثقافية والدينية والاقتصادية كلغة أيديولوجية مسيئة للإسلام والمسلمين.

لقد أقام العالم المسيحي تطوره وتنميته الثقافية على أساس مزدوج، وسعى دائماً إلى إنشاء الآخر الأجنبي الذي سيكون بحالة صراع وصدام مستمر معه. ولهذا فإنه عمل منذ لقائه الأول بالإسلام على تطوير لغة وخطاب متضادين على أساس الـ«نحن» والـ«هم». وفي الواقع فإن الإطار النظري لهذه العملية مرسوم من خلال الاستشراق وصراع الحضارات. أي إن جذور كراهية المسلمين ومعاداتهم إنما تعود إلى القرون الأولى التي دخل فيها الإسلام إلى أوروبا. فقد بدأ تطوير خطاب مناهض ومعاد للإسلام على الصعيد الأيديولوجي والسياسي والثقافي لمواجهة الانتصار الأول الذي حققه الإسلام على العالم المسيحي، وأنشئت مناهضة الإسلام والمسلمين أو الإسلاموفوبيا في هذه المرحلة عن طريق العنصرية ومعاداة الأجنبي والتمييز والأحكام المسبقة والصور النمطية.

لقد ورد ذكرعبارة إسلاموفوبيا لأول مرة في التقرير الذي نشرته مؤسسة رنيميد تراست (Runnymede Trust) الفكرية البريطانية عام ١٩٩٧ تحت عنوان «الإسلاموفوبيا: تحدٍّ لنا جميعاً» للإشارة إلى ظاهرة الكراهية والخوف المتناميين تجاه المسلمين في بريطانيا. وعرف التقرير ظاهرة الإسلاموفوبيا أنها عداوة غير مبررة ولا تستند إلى أساس تجاه الإسلام(١). وبعد نشر هذا التقرير أصبحت هذه الكلمة تتردد بين الحين والآخر في الدراسات والأبحاث التي تتناول موضوع الإسلاموفوبيا. والملفت أن هذا المصطلح يتم استخدامه في الأوساط الأكاديمية بشكل سطحي للغاية، رغم التعقيدات التي يحتويها والغموض الذي يلفه. ورغم أن بعضهم يدعي أن مصطلح الإسلاموفوبيا إنما ظهر في أمريكا في نهايات ١٩٨٠ أو بداية القرن العشرين، إلا أنه يُعد حسب التقرير مصطلحاً جديداً(٢). وإننا نشاهد تنامي المشاعر والمواقف السلبية والعدائية بصورة واضحة وجلية في أوروبا وفي الكثير من بقاع العالم قبل نشر التقرير المذكور، أي في الثمانينات من القرن العشرين. ومن جملة الأسباب الظاهرية لهذه الحالة هي النفور من الإسلام والتمييز والعنصرية الثقافية بشقيها العقدي والتطبيقي التي تشكلت خلال المرحلة التاريخية تجاه الإسلام والمسلمين. وفتحت هاتان الحالتان شديدتا الصلة

(١) Runnymede Trust, 1997: 4.
(٢) Runnymede Trust,2017:13.

ببعضهما بعضاً الباب أمام كراهية الإسلام والخوف منه، وظهور موقف متمثل بعدم محبة المسلمين، أي فتحتا الباب أمام بروز ظاهرة الإسلاموفوبيا[٣]. وتتجه تقريباً الأبحاث والدراسات كافة التي تجري في بلادنا حول ظاهرة الإسلاموفوبيا في الفترة التي تلت أحداث ١١ أيلول ٢٠١١ إلى أن المصطلح استخدم لأول مرة في هذا التقرير[٤]. وخلال السنوات الأخيرة أصبح مصطلح الإسلاموفوبيا يُعرف كلغة للمواقف والمشاعر السلبية للغاية تجاه المسلمين. ولكن من الجدير ذكره أن هناك أوجهاً وصيغاً مختلفة للإسلاموفوبيا مستخدمة كتمييز ضد المسلمين في السياقات الاجتماعية والاقتصادية المختلفة.

رغم أن الرأي القائل: إن للإسلاموفوبيا صيغاً وأشكالاً مختلفة في السياقات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية المختلفة تحتل مكاناً في هذا المجال، إلا أنه من الواضح أنه قد تم بهذا المصطلح تجسيد المسلمين بالشيء المخيف والمكروه، ومن ثم خلق عداوة تجاه الإسلام. وهكذا يُستنتج أنه قد جرت محاولة شرعنة الأحكام المسبقة والكراهية وممارسة مختلف أشكال العنف ضد المسلمين من خلال عبارة الإسلاموفوبيا.

ورغم عدم وجود إجماع على تعريف الإسلاموفوبيا أو رأي محدد حول ماهيته، إلا أنه من الجدير لفت النظر إلى المحاولات التي جرت لجعل هذا المصطلح قابلاً للاستخدام بشكل تحليلي. وعند التدقيق في الأدبيات التي تشكلت بشأن الإسلاموفوبيا يتبين لنا أنه قد جُسد الإسلام والمسلمون بالشيء المخيف والمفزع، وجعلا هدفاً للأحكام المسبقة والكراهية والتطرف.

إن الأحكام المسبقة من منطلق الإسلاموفوبيا، التي تكون على شكل المواقف والمشاعر السلبية تجاه المسلمين كافة دون تفريق، فتحت الباب في الغرب أمام ممارسة العنف ضد الإسلام والمسلمين[٥]. وفي الحقيقة ليس من الصواب استخدام المعاني التي يتضمنها هذا المصطلح بشكل من الأشكال. وذلك لأن الإسلاموفوبيا، أو المسلم-فوبيا يعني الأحكام المسبقة والكراهية ضد الإسلام والمسلمين، حيث إن هناك مساعي خبيثة مبيتة وراء هذا المصطلح، مثل: الإقدام من خلاله على محاولة تصوير الإسلام والمسلمين بصورة الشيء المخيف والمفزع، وتحويل المشاعر البشرية، مثل: مشاعر الخوف التي تسيطر على الإنسان عند سيره وحيداً في الظلام، أو مروره بجانب المقابر ليلاً إلى حالة أنطولوجية [٦]. إلا أن الخوف المختلق والمصنوع بحق الإسلام والمسلمين هو اجتماعي أكثر من كونه تحليلياً.

إن الإسلاموفوبيا يُعد بشكل قطعي مصطلحاً مستدعياً للخصومة والعداء ضمن نطاق الخوف المختلق والمصطنع تجاه الإسلام والمسلمين، وصار بعد الهجمات الإرهابية في ١١ أيلول ٢٠٠١ مصطلحاً مشهوراً يُلجأ إليه للإشارة إلى ظاهرة معاداة الإسلام في الغرب خاصة وفي العالم عامة. ولا شك أن تزايد المواقف والمشاعر

(٣) Runnymede Trust, 1997:2.

(٤) انظر: Canatan, 2007.

(٥) Akyol, 2017,20 Haziran.

(٦) Subaşı, 2017.

الإسلاموفوباوية، وسعي الإسلاموموفوباويين، أو الكارهين للإسلام إلى تصعيد عداوتهم للإسلام بالاستعانة بمختلف الوسائل، لا شك أن كل هذا قد سرع من وتيرة الدراسات والتحليلات وإعداد التقارير التي تتناول هذه المسألة. ومن جملة ذلك مقالنا هذا، الذي حاولنا فيه الاستفادة من المراجع التي كتبت حول ظاهرة الإسلاموفوبيا، ومن التقارير التي أعدتها المؤسسات والمنظمات الفكرية الموجودة في بلادنا وفي العالم الغربي في شأنه.

إن الدراسات التي جرت حول الإسلاموفوبيا تكشف أنه جرى تمثيل الإسلام بشكل عام بالأحكام المسبقة، وبجملة من الصور والانطباعات النمطية الجاهزة، وتم تجذير مشاعر معاداة الإسلام والمسلمين في الحياة العامة. وإن التحليلات المستندة إلى المصطلحات والأطر النظرية مثل: العنصرية الثقافية والاستشراق وصدام الحضارات والإقصاء ومعاداة الآخر الأجنبي وجريمة الخوف والكراهية هي ملفتة للنظر بوصفها عوامل رئيسة مغذية للإسلاموفوبيا.

ومن جانب آخر يشار إلى أنه من خلال التطرق إلى الأفكار والآراء الإسلامية المنغلقة والمنفتحة في تقرير الإسلاموفوبيا الذي نشرته مؤسسة رنيميد تراست عام ١٩٩٧ يتبين أنه يمكن وضع حد للإسلاموفوبيا عن طريق تطوير الإسلام الثاني، أي المنفتح. وهذا النوع من التحليل يذكرنا بمتغيرات نمط (أ) و (ب) لدى العالم الاجتماعي والوظيفي الأمريكي تالكوت بارسونز التي تبين خصائص أنماط السلوك كسمات ومزايا للمجتمعات التقليدية والحديثة.

وإن الاكتفاء بتصور الإسلام وإدراكه على أساس النمط النموذجي التقليدي فقط من شأنه تغذية ومفاقمة الأحكام المقولبة والجاهزة بحق شريحة من المسلمين قد تم إنشاؤها في مرحلة تاريخية ما استناداً إلى هذا التصور، ومن ثم تشكيل الأساس الاجتماعي للإسلاموفوبيا أو مناهضة الإسلام. وإن هناك رغبة وإرادة لتطوير معاداة الإسلام بالالتفاف والتركيز على المواقف والمشاعر الإسلاموفوباوية عن طريق العنف الرمزي المتمثل بالتضييق على تطلعات ورؤى المسلمين الذين يعيشون في المجتمعات الأوروبية المختلفة، ويرغبون بالاندماج في هذه المجتمعات مع المحافظة على معتقداتهم الدينية، ويتم ابتداع وخلق مناهضة الإسلام من خلال المسائل الجدلية في الدول الأوروبية مثل: المآذن، والحجاب، والطعام الحلال، التي يجب في الأصل تناولها ضمن إطار حرية الدين والمعتقد.

ويتم تناول ردود فعل النقاشات والجدالات والجهات المختصة مع هذه الممارسات الدينية بصورة تغذي الأحكام المسبقة بشأن الإسلام. فالمؤسسات الإعلامية في الدول الأوروبية المختلفة تعمل على إقصاء المسلمين من خلال وجهة نظر منمّطة متمثلة بـ«الغرب ضد الإسلام». وفي هذا الإطار يتم تقييم مناهضة الإسلام في الغرب على أنها نوع من منعكسات الصراعات القائمة على المصالح الاقتصادية، وذلك من منظور الصراع الديني، أو نظرية الصراع التي تُعد واحدة من المقاربات التي تحلل دور الدين في المجتمع على الصعيد الشامل(٧).

(٧) Roberts, 1990: 61-70.

تم في القسم الأول من هذا المقال تحليل تطور مصطلح الإسلاموفوبيا كأيديولوجيا للعنف الرمزي في سياق الخلفية التاريخية. وأما في القسم الثاني فتمت مناقشة مسألة كيفية إنتاج صراع الإسلام والمسيحية لظاهرة الإسلاموفوبيا وذلك في سياق نظرية الصراع الديني. وأما في القسم الثالث من المقال فتمت محاولة الكشف عن دور الصراع على الموارد والثروات المحدودة في تغذية الخطاب والأيديولوجيا الإسلاموفوباوية. أي إن عدم الرغبة في ظهور أو رؤية المسلمين كعوامل اقتصادية وسياسية فاعلة في الميدان العام، واللجوء إلى مختلف الوسائل والتدابير لتحقيق ذلك قامت بدور بارز في ظهور الإسلاموفوبيا وتطوره. وأُفرد في قسم النتيجة مكان للمقترحات والتوصيات بشأن مكافحة الإسلاموفوبيا، وتم التوصل إلى نتيجة مفادها: أن هذه التوصيات سوف تتيح إمكانية توفر التعددية المطلوبة في الحياة الاقتصادية والسياسة والتعليم، وفي المجالات الاجتماعية والثقافية، وسوف تدفع شرائح المجتمع كافة لتكون أكثر ديناميكية وفعالية ونشاطاً، ومن ثم فإن هذه البيئة الغنية والمتنوعة ثقافياً سوف تكون مؤثرة وإيجابية في مكافحة الإسلاموفوبيا.

أيديولوجيا العنف الرمزي: الإسلاموفوبيا:

لقد استخدم الكثير من المفاهيم والمصطلحات والعبارات لتوصيف المواقف والمشاعر السلبية تجاه الإسلام والمسلمين وبيانها. وإن المصطلح الأكثر استخداماً وانتشاراً في عصرنا الحالي للتعبير عن مناهضة الإسلام والمسلمين ومعاداتهم هو مصطلح الإسلاموفوبيا. إلا أن هناك مصطلحات أخرى مستخدمة في السياقات الخاصة وفي الدول وفي المنظمات الدولية وفي الأروقة الأكاديمية. ومن جملة هذه المصطلحات والعبارات الشائعة: العنصرية ضد المسلمين، التطرف والتعصب ضد المسلمين، الأحكام المسبقة ضد المسلمين، العنف ضد المسلمين، كراهية المسلمين، مناهضة الإسلام والمسلمين، شيطنة المسلمين والتخويف منهم(٨). وقد تم من خلال كلمة الإسلاموفوبيا المستخدمة أصلاً لبيان خطاب معاداة الإسلام وتحديده وتوصيفه، تم إنشاء لغة مخففة وحتى مشرعنة لمختلف الجرائم المرتكبة بحق المسلمين، مثل: جرائم الكراهية والاضطهاد والتضييق والتمييز العنصري في مختلف الميادين العامة، والإقصاء والتهميش وجرائم العنف الفعلي والقولي وغيرها.

لقد استخدمت كلمة الإسلاموفوبيا في اللغة الإنكليزية في مقال إدوارد سعيد عام ١٩٨٥ الذي كان موضوعه معاداة الإسلام في الغرب المسيحي، أي سير الإسلاموفوبيا ومعاداة السامية جنباً إلى جنب من حيث المرحلة التاريخية(٩). إلا أن المصطلح لم يلق هذا الرواج والانتشار الواسع المشاهد اليوم في الدراسات والأبحاث العملية الاجتماعية وفي السياسة وفي وسائل الإعلام إلا بعد التقرير الذي نشرته مؤسسة رنيميد تراست (Runnymede Trust) الفكرية البريطانية عام ١٩٩٧. وإن تشكيل ظاهرة الإسلاموفوبيا يعدّ تهديداً للعيش المشترك الذي تشهده الثقافات المختلفة في أوروبا، وضرورة مكافحة هذه الظاهرة أدى إلى زيادة الاهتمام الأكاديمي بالمسألة، وولّد أدبيات ومؤلفات خاصة بشأن الإسلاموفوبيا. وقد تحولت المؤسسات والخلايا

(٨) Richardson, 2012.

(٩) Richardson, 2012.

الفكرية التي جعلت مكافحة الإسلاموفوبيا هدفاً لها، كالتقرير المشار إليه آنفاً والمذكور في الدارسات الأكاديمية، إلى مصدر مهم للرجوع إليه بشأن هذه القضية. وبالاستناد إلى هذا التقرير أجريت تحليلات كثيرة حول تعريف الإسلاموفوبيا، وتطوره التاريخي، وخصائصه الأساسية. ومن جملة ذلك مقال جاناتان (Canatan) الذي يتضمن مقاربة اصطلاحية وتاريخية للإسلاموفوبيا، حيث تناول المسألة بالإشارة أو الاعتماد على خصائص الإسلاموفوبيا المبينة في هذا التقرير. والأمر ذاته ينطبق على مقال علي مراد يَل (Ali Murat Yel) بعنوان «يجب في سياق مكافحة الإسلاموفوبيا تشكيل مجتمع إسلامي نموذجي ضد الإسلاموفوبيا»، وكذلك مقال هاكان طاش دمير(Hakan Taşdemir) حول «الإسلاموفوبيا وحقوق الإنسان»، فكلاهما أشارا في كتابتيهما إلى التقرير المذكور آنفاً. وعلى ذلك فإن ظاهرة الإسلاموفوبيا في وقتنا الراهن ليست إلا عبارة عن الأحكام المسبقة والصور النمطية التي تتمحور حول معاداة الإسلام ومناهضته، تلك المعاداة القديمة والمتجذرة بقوة في النفس الأوروبية.

يمكن العودة بتاريخ الإسلاموفوبيا كأيديولوجيا مناهضة ومعادية للإسلام إلى السنوات الأولى لولادة الإسلام. فبعد الانتشار السريع للإسلام بدأت أشكال مختلفة من معاداة الإسلام أولاً بين المشركين والوثنيين بمكة، وثم بين أصحاب التقاليد الدينية مثل: اليهودية والمسيحية، وقاد دفة هذه العداوة أصحاب السلطة والنفوذ الديني والسياسي بغية الاستمرار في مناصبهم، والمحافظة على مصالحهم ومكاسبهم ومزاياهم.

إن المواجهات العنيفة والكبيرة التي وقعت بين المسلمين والمسيحيين تمثلت في الحملات والغزوات الصليبية التي بدأت في القرن الحادي عشر واستمرت حتى القرن الثالث عشر (١٠٩٥- ١٢٩١).

وقد سعى غير المسلمين الذين هاجموا المسلمين إلى إقصاء وتهميش الإسلام والمسلمين ضمن إطار خطاب الكراهية والأيديولوجيا العدوانية. ويُعد دخول الأمويين إلى الأندلس، وفتح اسطنبول وصقليا من الأحداث التاريخية التي أثر الإسلام عن طريقها في أوروبا، وقامت بدور بارز ومؤثر في نشوء العداوة ضد الإسلام [١٠] وخلال مرحلة المواجهات التي حصلت بين الإمبراطورية العثمانية والغرب المسيحي أرادت الكنيسة استنفار الشعوب الأوروبية واستنهاض هممهم على أساس معاداة الإسلام. وهناك إرادة ورغبة قوية لعرقلة نهوض تركيا والوقوف في وجه النجاحات التي تحققها عن طريق المصطلحات الإسلاموفوباوية؛ مثل: ظاهرة تركوفوبيا التي تصاعدت في الكثير من الدول الأوروبية خلال العام المنصرم، وما تبع ذلك من بروز ظاهرة أردوغانوفوبيا التي أصبحت خطاباً منتشراً بين التيار العام من السياسيين، ومهيمناً على الوسائل الإعلامية. وإن كون الدولة العثمانية كانت الممثل والمدافع عن الإسلام في أوروبا جعل الذهن الغربي يستحضر تركيا كلما جرى الحديث عن الإسلام. ولهذا فإن تزامن بروز ظاهرة التركوفوبيا مع تصاعد وتيرة الإسلاموفوبيا في أوروبا ليس من قبيل المصادفة. فبسبب هوية تركيا الإسلامية يتم رسمها وتصويرها من قبل التيار السياسي

(١٠) Ataman, 2017:16.

العام على أنها «الآخر» بحجة أنها ليست أوروبية، ولا تنسجم ولا تتماشى مع القيم الغربية[١١] وهناك سعي حثيث لتشكيل استشراق حديث يتضمن تأمين المشروعية للمقاربات الإسلاموفوباوية من خلال الحديث عن عدم حدوث تغيير في تركيبة وبنية تركيا المحافظة، وفي القيم المناهضة للمرأة فيها، وذلك استناداً إلى البيانات والمعلومات الصادرة عن دراسات القيم العالمية. وفي الواقع ومن المعروف أن تصور الإسلام من منطلق كونه تهديداً للديمقراطية، وللمساواة بين المرأة والرجل، أو للقيم الغربية إنما تشكل في المرحلة التي أطلق عليها إدوارد سعيد: (مرحلة الاستشراق)[١٢].

ويُلاحظ أن هناك محاولات ومساعي كبيرة في أوروبا اليوم لربط الإسلام بالإرهاب من خلال تحريف بعض المصطلحات والمفاهيم الإسلامية وإخراجها من سياقاتها مثل مفهوم الجهاد، واستخدام الأحكام المسبقة، وذلك انطلاقاً من المواقف والذهنيات الإسلاموفوباوية التي شكلتها أيديولوجيات خطيرة للغاية مثل: العنصرية الثقافية ومعاداة الآخر والتمييز وصدام الحضارات والاستشراق.

ويتم باستمرار إنشاء معاداة الإسلام من قبل الغرب الراغب بالمحافظة على مصالحه الاقتصادية والسياسية، وذلك عن طريق الإقصاء والتهميش الديني المصطنع. وما يثير الدهشة هو أنه كيف قامت المؤسسات الإعلامية الغربية بتحويل الأصولية البروتستانتية الإنجيلية التي ظهرت في بدايات القرن المنصرم إلى أصولية إسلامية استرشاداً بالثورة الإسلامية الإيرانية التي حدثت عام ١٩٧٩[١٣]. فقد تم توصيف المسلمين في هذه العملية بأنهم إسلامّيون وجهاديون، وحكم على الإسلام على أنه دين استبدادي شمولي من خلال مقاربة شمولية وجوهرية واختزالية.

وهكذا لم يتأخر إظهار الإسلام والمسلمين بمظهر العدو الآخر بعد تفكك الاتحاد السوفيتي عام ١٩٨٩ وبعد انتهاء فترة الحرب الباردة، وعلى الفور مباشرة رُسم الإطار النظري لهذه الظاهرة من خلال أطروحة أو نظرية صامويل هنتنغتون التي نشرها عام ١٩٩٣[١٤].

إن الإنجيلية أوالتبشيرية الهادفة إلى تحويل العالم كله إلى الإنجيل، والأصولية التي شكلتها البيئات الثقافية المختلفة وممثلوها من «المحافظين الجدد»، تلك التي تشكل جوهر حركة «اليمين الجديدة» المتصاعدة في الغرب، والتي تعزز فيه تهميش المسلمين وإقصاءهم من خلال المواقف والسلوكيات الإسلاموفوباوية تجسدت كلها في شخص الرئيس الأمريكي دونالد ترامب[١٥].

ويمكن أن يُقيّم ارتكاب ترامب لجريمة الكراهية الإسلاموفوباوية أمام مرآى العالم ودون أدنى حسبان

(١١) Yanarışık, 2015:104.
(١٢) Yel ve Nas, 2014:568.
(١٣) Kedikli ve Akça, 2017:74.
(١٤) Bayraktar, 07 Şubat 2017.
(١٥) Göka,2016.

للقانون الدولي على أنه دليل على احتضان الإسلاموفوبيا الذي تم اختراعه وتصنيعه في الغرب. فينبغي على العالم الإسلامي- وعلى رأسهم المفكرون والمثقفون- البدء وعلى أرضية قانونية بمكافحة ظاهرة الإسلاموفوبيا التي اتخذت منحى خطيراً للغاية.

أقدم هنا مثالاً ملفتاً حول كيفية تشغيل واستثمار الأحكام المسبقة ضد الإسلام والمسلمين عن طريق الإسلاموفوبيا. ففي شهر حزيران من عام ١٩٩٥ وقع عمل إرهابي في مدينة أوكلاهوما سيتي (Oklahoma City)، حيث تم تفجير بناء سكني وقتل على إثره الكثير من المدنيين الأبرياء ومن بينهم أطفال. وفي اليوم التالي أعلنت صحيفة «توداي (Today)» البريطانية أن الفاعلين أقدموا على هذه العملية الإرهابية باسم الإسلام؛ موجهةً أصابع الاتهام والإدانة إلى جميع المسلمين دون استثناء.

وبعد مدة قصير اكتشف المسؤولون المعنيون أن من ارتكب هذا الفعل الإرهابي هم مسلحون مسيحيون. فكما يتبين مما سبق فقد تم عرض معاداة الإسلام بشكل واضح وصريح في الإعلام الساعي إلى إقران الإسلام بالإرهاب، وأُظهر المسلمون على أنهم عنصر تهديد للأمن الغربي وقيمه.

يُلاحظ أنه يتم باستمرار تغذية كراهية المسلمين وتحفيزها ومناهضتهم في إطار خطاب الكراهية المستندة إلى التمييز والعنصرية، وذلك عن طريق الأحكام المسبقة والجاهزة التي أصبحت مثل الكليشيهات. وهكذا يتم العمل على إبقاء مناهضة الإسلام والمسلمين حية متقدة بين جوانح الإنسان الغربي من خلال تحفيز مشاعر الخوف البشري والتلاعب بها باستمرار في سياق الإسلاموفوبيا. ومن جانب آخر يتم استخدام مصطلح الإسلاموفوبيا كوسيلة للتخفيف من جرمية العنف الرمزي الذي يتعرض له المسلمون وحتى تبريره وشرعنته من خلال إرجاعه إلى الخوف الذي يبثه الإسلام[١٦].

ووفقاً لذلك يتم تحويل معاداة الإسلام إلى حالة ثابتة وطويلة المدى من خلال العمل على إضفاء نوع من القدسية عليها، وجعلها حاضرة على الساحة بمختلف الوسائل والطرق. وهنا يتم بواسطة الإسلاموفوبيا التي تُنتج من الشعور والإدراك، يتم خلق وإنشاء حالة نفسية عن طريق الإحساس بالخوف تجاه الإسلام والمسلمين هذا من جهة، ومن جهة أخرى يتم تشكيل تصور عن الإسلام على أنه مناهض ومعاد للمسيحية. وإن العملية المعرفية التي يشكلها الاستشراق المستند إلى الأحكام المسبقة القائمة والمتغذية من الخوف والكراهية تصبح من هذه الناحية مصدراً محفزاً لمناهضة الإسلام ومعاداته. حيث يشير علماء الاجتماع وعلماء النفس الاجتماعي أن الحكم المسبق يتحول مع العنصر العاطفي القوي إلى أحكام مقولبة جاهزة [١٧]. إن الفوباويين؛ أي: أعداء الإسلام يستخدمون هذه الكلمة الاصطلاحية من حيث معناها بمعنى الخوف من دين الإسلام

(١٦) Ataman, 2017:15.

(١٧) Borell,2015:411.

ومن المسلمين. ولكن في الحقيقة لا يقصد بعبارة الإسلاموفوبيا الخوف والكراهية فحسب، وإنما يُقصد بها بالإضافة إلى ذلك شن حملة عدائية ومناهضة موجهة ضد الإسلام والمسلمين [١٨].

إن أولى المسائل التي يلمسها المرء في أدبيات الإسلاموفوبيا هي خطابات الكراهية وجرائمها والأحكام المسبقة والتمييز والإقصاء والتهميش الاجتماعي التي تتم ممارستها ضد المسلمين من خلال السلوكيات والمواقف والمشاعر والعواطف. وإن هناك علاقة قوية ووثيقة بين هذا السلوك الذي يمتد من تخريب الممتلكات والاعتداء المادي الجسدي والجرح والقتل إلى الضغط النفسي والعنف الرمزي وبين الأحكام المقولبة الجاهزة. وهناك تعاون كبير بين السياسة والإعلام وسعي حثيث منهما لتقوية هذه الرابطة أو العلاقة. وإن العنف الإسلاموفوباوي مستمر بوتيرة سريعة ومتصاعدة ضد المسلمين في إطار صورة الإسلام المشوهة والفاسدة التي رسمها الخطاب الاستشراقي واصطنعها وأضفى عليها طبيعة أسطورية ميثولوجية. ويعتقد العالم الغربي الذي عد نفسه فريداً متميزاً ومتفوقاً لا مثيل له على أساس العنصرية الثقافية، يعتقد أنه سوف يضفي الشرعية على سلوكياته وأفعاله الإسلاموفوباوية تجاه المسلمين مدفوعاً بالوهم الذي وقع فيه والمتمثل بتصور أن له حقاً على المسلمين[١٩]. ويجب ألا يغيب عنا أن وصف المسلمين وتصويرهم كإرهابيين إنما هو اقتراف لجريمة الكراهية بحق الإسلام، وبحق أتباع هذا الدين الذين يزيد تعدادهم عن المليار والنصف. حيث تشير نتائج وبيانات مؤسسة PEW الأمريكية للدراسات أن الغالبية الساحقة من المسلمين يرفضون الإرهاب ويدينونه، وكذلك فإنه ليس لدى الغالبية الساحقة من المسلمين مشكلة مع قيم الديموقراطية. ومن جهة أخرى فإن المقاربة التي تذهب إلى أن الغرب إنما اتجه إلى السلوك الإسلاموفوباوي للحيلولة دون أسلمة أوروبا خلال العقود المقبلة نظراً لما يتمتع به المسلمون من ارتفاع في نسبة المواليد هي مقاربة خاطئة، كما أنها لا تنسجم وتتوافق مع الحقائق العلمية.

لم يكن مفاجئاً اختيار المسلمين في الغرب على أنهم الآخر الجديد بعد انهيار الشيوعية نتيجة تفكك الاتحاد السوفيتي القديم، وذلك بالتمحور حول نظرية صدام الحضارات التي أعلنت نهاية التاريخ من تلقاء ذاته، وبروز ظاهرة الإسلاموفوبيا التي يمكن تعريفها أنها الصيغة الجديدة للعنصرية في أوروبا وتصاعد وتيرته، خاصة أن هناك علاقة صراعية وصدامية في المراحل التاريخية. ولا شك أنه كان هناك دور لعوامل عدّة في تصاعد الإسلاموفوبيا وهي: العوامل الدينية والسياسية والاقتصادية والعنصرية الثقافية إلى جانب دور الأحزاب اليمينية المتطرفة. ولكن يبدو أن السبب الرئيس الأكثر تفسيراً وعقلانية في تصاعد ظاهرة الإسلاموفوبيا في أوروبا هو الادعاء أن الفكر الإسلامي يشكل تهديداً على فكر العالم الغربي وذلك في إطار نظرية الصراع الديني التي يمكن التعبير عنها وتبريرها بالخطابات الدينية أو الأيديولوجية للسيطرة على الموارد المحدودة.

الإسلاموفوبيا الدينية الاجتماعية:

يمكن أن تظهر الإسلاموفوبيا للأسباب الدينية والاجتماعية والثقافية والسياسية والاقتصادية. ويقصد

(١٨) Roald, 2004:53.
(١٩) Sambur, 2016:11.

بتحويل الإسلاموفوبيا الدينية-الاجتماعية إلى مصطلح معنًى يفيد تصور الغرب المسيحي للإسلام والمسلمين كتهديد له لأجل السيطرة والهيمنة على الموارد والثروات المحدودة، والسعي إلى تحقيق تفوق وأفضلية من خلال مختلف الخطابات الدينية والأيديولوجية في سبيل مصالحه المادية والمعنوية. ومع توجه الإسلام اليوم نحو التنمية والتطور بسرعة على المستوى العالمي أقدم الغرب المسيحي وبقيادة الكنيسة على إعادة إنتاج مناهضة الإسلام ومعاداته بصيغة الإسلاموفوبيا، وذلك من خلال الاستعانة بالأحكام المقولبة الجاهزة المتجذرة في البنية والشيفرات الثقافية.

بعد العصور الإسلامية المزدهرة وخاصة ابتداءً من القرن الثامن عشر. بدأت القوى الاستعمارية الغربية من خلال نظرة مبنية على التطرف والعنصرية الثقافية برسم الإسلام وتصويره على أنه دين عدائي وقتالي ومؤيد للعنف ومتزمت وعدو للمرأة ومجحف بحقها، وذلك بهدف شرعنة عمليات احتلالها للعالم الإسلامي. فأنشأت الخطاب الإسلاموفوباوي من أجل تبرير الأعمال الوحشية التي ارتكبتها للهيمنة على الموارد الاقتصادية ومصادر الطاقة المحدودة، وإضفاء المشروعية عليها. وقد صارت مطالب تحقيق التقدم والتفوق الاقتصادي المحفز الأول والدافع الرئيس في أنشطة الغرب الاستعمارية. فتعاون المستعمرون الغربيون مع الكنيسة، ورفعوا من شأن المسيحية وأظهروها بمكانة متفوقة على الأديان الأخرى هادفين بذلك إلى إيجاد الأرضية المشروعة للسيطرة على الموارد والثروات المحدودة.

لقد نفذ المحتلون أعمالهم وأنشطتهم العدوانية والوحشية بالاعتماد على رجال الكنيسة أو المبشرين، وحاولوا بهذه الطريقة إضفاء الشرعية على أعمالهم الاستعمارية. وقد كان المبشر إسباني الأصل بارتولومي دي لاس كاساس (Bartolome de Las Casas) (١٤٨٤)، الذي نهض بمهمة تبشيرية في أمريكا، أول القساوسة والباباوات الذين أماطوا اللثام عن وحشية المسيحيين، وكشفوها أمام العالم.

يروي الأب لاس كاساس في هذا المضمار حكاية مؤثرة ومعبرة، ويظهر فيها "الذهب" كدافع ومحفز للأعمال والأنشطة الاستعمارية التي مارسها الأوروبيون في البلاد والأراضي التي احتلوها حديثاً.

ويذكر أنه عندما كان الغزاة اللصوص على وشك إعدام زعيم إحدى القبائل المحلية وتعليق مشنقته، حاولوا استمالته للدين المسيحي قبل الموت، وأخبروه أنه إن دخل هذا الدين فسوف يذهب إلى الجنة، وإذا لم يقبل به فسوف يدخل النار. ويلفت الأنظار إلى أن الأعمال الوحشية التي اقترفها المسيحيون بحق السكان المحليين الأصليين كانت إما القتل بأبشع الطرق، وأما الاستعباد وتحويلهم إلى عبيد. ولا شك أن عدد المبشرين المسيحيين الذين ينتقدون هذه الممارسات والأعمال بصدق مثل هذا الأب لاس كاساس ليس بالكثير. ويلاحظ أن الصراع الذي يظهر على شكل محاولة الهيمنة على الموارد والثروات المحدودة مثل الذهب والمغلف والمبرر بالخطابات الدينية منتشر بشكل واسع في الثقافة المسيحية.

يمكن القول إنه منذ الأيام الأولى للمواجهة أواللقاء الذي حدث بين الإسلام والمسلمين وبين الغرب

المسيحي اختار الغرب من حيث الهيمنة على كل من المجتمع والطبيعة علاقة صراعية صدامية أكثر بسبب الفلسفة الازدواجية التي تبناها. وحتى نفهم الأسباب الأساسية لذلك علينا إجراء مقارنة بين العناصر التي تشكل الإطار المؤسساتي للتراث والتقاليد الدينية لدى الدينين، ويجب علينا بشكل خاص النظر إلى الانعكاسات والممارسات في الحياة الواقعية خلال مراحل أو فترات التطور الاولى.

فالإسلام دين مثالي نزل على النبي ﷺ عن طريق الوحي، وحقق التوازن بين الدنيا والآخرة من خلال تحول هذه المثالية إلى واقع في شخصية النبي ﷺ في الحياة الحقيقية. أي إن النبي ﷺ عندما كان يبلغ الناس أسس الإسلام ومبادئه ويبينها لهم بالمواعظ والإرشادات كان يريهم في الوقت ذاته كيفية تطبيقها بسلوكه، فيقوم بدور النموذج أو القدوة بشأن تحقيق التوازن بين الدنيا والآخرة، وبيان المبادئ والمعايير التي يتم اللجوء إليها في حال حدوث خلل في هذا التوازن من أجل إقامة مجتمع سليم. ومن الصعوبة بمكان القول: إن الأمر ذاته ينطبق على المسيحية أيضاً. فالنبي عيسى عليه السلام بسبب صلبه لم يتمكن من تحقيق نموذج أو قدوة في تحويل المثالية الدينية التي تلقاها عن طريق الوحي إلى واقع في الحياة الفعلية. وإن لغياب مثل هذه النموذجية أو القدوة في الغرب المسيحي دوراً بارزاً في عدم تشكل توازن بين المثالي والواقعي، وفي انتشار التيار المادي، وتوسع الأعمال الاستعمارية للعالم، وظهور المقاربة التي تبيح كل شيء بشكل مفرط.

إن معنى الإسلام هو السلام والاستسلام لإرادة الله تعالى والخضوع له. وقد تمكن الإسلام المتجسد في شخصية النبي ﷺ النموذجية من الانتشار بين أتباع الديانات الأخرى ابتداءً من الأيام الأولى لظهوره باعتباره دين السلام والعدالة. ومن جهة أخرى فإن المبدأ القائل في الإسلام: إن التوجه والتضرع لا يكون إلا إلى الله تعالى، وإن الخلاص والنجاة لا يكونان إلا عن طريق الخضوع لإرادته وحده قد فتح الطريق أمام تشكل وتطور إرادة قوية للتحرر من نير وتسلط الملوك والأباطرة الطغاة والظلمة في العصور الوسطى. فمبدأ عدم التوجه إلا إلى الله وحده في الأمور كافة، وعدم الخضوع إلا لإرادته دون غيره قد قام بدور مهم في انتشار عقيدة الإسلام في بلدان ومناطق جغرافية شاسعة. وفتح الآفاق أمام حركة التحرر من مختلف القيود والأصفاد وحرية الإرادة واستعمال العقل. وأمام هذه الخصال والمزايا الأساسية للإسلام جعل الغرب المسيحي استخدام خطاب الكراهية ضد الإسلام، وارتكاب الجرائم واللجوء إلى العنف والإرهاب أولويته وديدنه في إطار مساعيه الحثيثة للنيل من الإسلام والحط من شأنه.

إن العبارات الجارحة والمؤذية والمهينة والسلبية والمستندة إلى الأحكام المسبقة التي استخدمها البابا بنديكت Benedict السادس عشر بحق الإسلام ونبيه محمد ﷺ في خطابه الذي ألقاه بتاريخ ١٢ أيلول ٢٠٠٦ في جامعة ريغينسبورغ (Regensburg) الألمانية فتح الطريق أمام صدور ردود فعل واحتجاجات عارمة محقة ومبررة في العالم الإسلامي. حيث أشار البابا في خطابه هذا إلى أن الإسلام لم يأت بشيء جديد، وهو دين مؤيد للعنف ومحرض عليه.

أراد العالم الغربي المسيحي الإبقاء دائماً على موقفه وسلوكه العدائي حياً ومستمراً من خلال دس المغالطات ونشرها بحق الإسلام وتجريته التاريخية وإنتاج مصطلحات وعبارات مضللة بشأنه. ونتيجة للاحتجاجات العارمة التي عمت العالم الإسلامي أبدى البابا، الذي سعى في كل مناسبة وفرصة متاحة لإنشاء أرضية صدامية، أسفه عن الحادثة. إلا أنه في الواقع لم يعتذر من المسلمين وذلك بقوله إن العبارات إنما اقتبسها من متن قديم يعود إلى العصور الوسطى وليست من كلامه هو [٢٠].

فنقل الأفكار والآراء المقتبسة كما هي دون نقد أو تفسيرأو تعليق وشرح عليها. ومزامنتها مع مناسبة ذكرى سنوية مثل ١١ أيلول إنما يعني تبنياً تاماً لهذه الأفكار. وبطبيعة الحال فإن اللغة التي استخدمها البابا ليست مختلفة كثيراً عن لغة الكنيسة التي نظمت الحملات الصليبية. وإن الغرب المسيحي دائماً ما نعت العقائد والأديان المختلفة عن معتقده بالوثنية والضالة، واتبع تجاهها سياسة دينية هادفة إلى إدخالها إلى المسيحية عن طريق إعلان «الحرب المقدسة»[٢١]. فمصطلح «الجهادي» المصطنع في العالم الغربي اليوم بحق الإسلام ولصقه به، والتأكيد على أن الإسلام إنما دين مؤيد للعنف ومحرض عليه ليس إلا ادعاءات كاذبة لا أساس لها تستخدمها المسيحية الغربية لشرعنة خطابها؛ فالمحاولة التي تجري هنا لإدخال كل الذين يختلفون عن الغرب المسيحي في المعتقد إلى المسيحية عن طريق الحرب المقدسة ليست إلا انعكاساً لمفهوم «المركزية الأوروبية» على الساحة الدينية.

ويمكن القول إنه يمكن مقاومة ذلك ومحاربته من خلال تطوير وجهة نظر قائمة على «المركزية الإسلامية»، ومن ثم التطرق إلى ذكر نموذجية النبي ﷺ وشخصيته القدوة في كل مناسبة ومنصة. حيث يتبين وفق ذلك أن تطبيقات الإسلام وممارسات النبي ﷺ مختلفة تمام الاختلاف عن الغرب المسيحي الذي يتبنى استعمال الإكراه لتغيير عقيدة الإنسان وديانته.

يتم اختلاق الاستفزازات الإسلاموفوباوية اليوم بالاستعانة بمختلف الأدوات والوسائل المتاحة وبالتعاون مع الكنيسة، مثل: الأفلام والصحف والكتب والإعلام والمشاهير في عالم الثقافة والفن. ولأن السلطات السياسية في الغرب تقف موقف المتفرج أمام شتى أنواع الأعمال والسلوكيات الاستفزازية المعادية والمناهضة للإسلام والمسلمين، ولا تتخذ تدابير لمنعها أو الحد منها، فإن المواقف والتصرفات والسلوكيات الإسلاموفوباوية في تزايد مستمر في كل مكان [٢٢]. وإن محاولة إظهار المهاجرين الذين يشكل المسلمون غالبيتهم على أنهم مصدر كل المشكلات التي تحدث في المجتمع تسهم في تكوين بيئة جاهزة لشرعنة مختلف الأفعال التي من شأنها إهانة الإسلام والمسلمين والإساءة إليهم.

لقد أظهر النبي ﷺ الاحترام لكل المجتمعات اليهودية والمسيحية، وكانت النتيجة أن الكثير من أبناء هذه المجتمعات دخلوا الإسلام بسبب إعجابهم بقوة شخصيته ومحبتهم له. وإن النظام القانوني المعروف بـ:

(٢٠) Yanarışık, 2015:108.
(٢١) الحميد عبد، ٢٠١٠: ١٥٧.
(٢٢) Yanarışık, 2015:109.

«وثيقة المدينة»، الذي وضع لدولة المدينة التي قامت بعد هجرة النبي ﷺ إليها، كفل حق المواطنة لأتباع مختلف الأديان، مثل: اليهود وغيرهم، على أساس المساواة والعدالة. فقد احتلت المبادئ، مثل: مبدأ سيادة القانون، والالتزام بالعدالة في الحكم والإدارة صدارة قائمة القيم لدى النبي ﷺ. فلم يحدث تهاون في مبدأ العدالة في الحكم مهما كانت مكانة الشخص في المجتمع، أو مقدار ثروته أو منصبه.

ولا نقول إنه لم يكن هناك تمييز ضد اليهود والمسيحيين فحسب، وإنما بالإضافة إلى ذلك جرى تعيين أصحاب الخبرة منهم في مناصب كبيرة في إدارة الدولة وفي الدواوين وفق مبدأ «**أدوا الأمانات إلى أهلها**». فسلوك النبي ﷺ وتعامله الصادق والمخلص مع الناس، وقوة شخصيته التي تشهد عليها الإنسانية كلها وتقتدي بها توجه صفعة قوية للأحكام المسبقة لدى الأوروبيين ومسيحية العصور الوسطى التي تصوره بصورة سلبية مسيئة.

إن ادعاءات الغربيين المخالفة للحقائق التاريخية التي تقول إن النبي ﷺ إنما نشر الإسلام بقوة السيف ظلت تفعل فعلها فترة طويلة، ولا يزال تأثيرها مستمراً إلى يومنا هذا.

يمكن عدَّ تسارع انتشار الدين الإسلامي في أوربا أكثر من الأديان الأخرى كافة، وخاصة في بريطانيا، رغم كل المحاولات التي تحط من شأن الإسلام وتشوهه، يمكن عدّ ذلك أحد الأسباب المهمة في تصاعد وتيرة العداوة والكراهية الإسلاموفوباوية المَرَضية تجاه الإسلام اليوم. حيث تذهب إحدى الدراسات إلى أن هناك ما يزيد عن ٢٠ ألفاً من البيض وأصحاب المؤهلات العلمية دخلوا الإسلام في بريطانيا. ويتبين من خلال الرجوع إلى قصص حياة البريطانيين الذين اختاروا الإسلام أنهم تأثروا بعدة عوامل في اختيارهم. ومن جملة هذه الدوافع المهمة في اختيار الإسلام هي: الحياة العائلية والشعور بالقرب من كبار السن، والشعور بالانتماء للجماعة بدل الأنا، وتقليل الإسلام للميول النفعية والمصلحية التي تغرب الإنسان، والاشتراك مع المسلمين بنفس الفكرة أو الرأي بشأن رفض بعض الأمور الحداثية التي تثير وتؤجج الأنانية[٢٣].

إن الخوف أو ظاهرة الإسلاموفوبيا المصطنعة ضد الانتشار السريع للإسلام تُمارس من ناحية أخرى عن طريق العنف الرمزي. فالرموز هي إحدى المقومات أو العناصر التأسيسية المهمة للمؤسسة الدينية. فيتم العمل في الغرب على منع الإسلام والمسلمين من الظهور وإثبات أنفسهم في الميادين العامة عن طريق العنف الرمزي.

أود الإشارة إلى ضرورة مناقشة هذه المسألة من خلال المعابد التي أعتقد أنها سوف تجعل الظهور الثقافي على الساحة العامة ممكناً، ومن ثم سوف تسهم في نمو وتطوير تعدد الثقافات الذي سيشكل بدوره الإطار المطلوب للعيش المشترك. فقدرة المجتمعات في الحفاظ على استمراريتها مرتبطة بدرجة كبيرة باستعدادها وقدرتها على تأمين التضامن والتعاون بين أفرادها من ذوي الأفكار والاتجاهات المختلفة [٢٤]. يتم عن طريق

(٢٣) Soutar, 2010:13-14.

(٢٤) Soutar, 2010:14.

الرموز الدينية مثل أماكن العبادة، والأجزاء المرتبطة بها مثل المآذن منع ظهور المسلمين وإثبات وجودهم في الساحات؛ أي بمعنى آخر يتم تحويل المسلمين إلى شيء مخيف ومرعب من خلال ممارسة العنف الرمزي. وإن تهميش الاختلافات والتنوعات وإقصاءها سوف يحول دون إمكانية استمرار وجودها الاجتماعي. وإن وجود معبد ما في ساحة عامة مثل متحف معروض في الهواء الطلق سوف يلعب من الناحية الفنية والجمالية دوراً بارزاً في نمو وتطور قناة تفاعل ثقافي جديدة[٢٥].

إن الغرب يتكون بشكل عام من مجتمعات ومجموعات متجانسة[٢٦] ولهذا فإن المجموعات التي تشكل أقلية ضمن الأكثرية الرئيسة تلقى معاملة ذات مستوى أدنى باعتبارها الآخر. وإن حالة التجانس والتماثل تظهر نفسها في الطراز المعماري للمعابد أيضاً. فمثلاً الكاتدرائية التي بنيت في مكسيكو سيتي مكان الهرم الأزتكي الضخم بعد هدمه، لا تختلف كثيراً عن الكاتدرائيات الموجودة في إسبانيا. وإن الذي يقف وراء ذلك هو الذهنية المسيحية التي تبرز بصورة عدم تحمل الاختلاف والتنوع. هذا بينما ليس هناك مانع أو بأس في الدول الإسلامية أن يبني أتباع الديانات الأخرى معابدهم بشرط عدم احتوائها على عناصر تخل بعقيدة التوحيد، وتجانسها مع الطراز المعماري للدولة التي توجد فيها. فتصميم المسجد الذي بني من قبل مديرية الديانة في مدينة كولن (Köln) تم تنفيذه على يد مهندس معماري ألماني غير مسلم وبشكل يستجيب لتطلعات غير المسلمين بقدر استجابته لتطلعات المسلمين أنفسهم. ولا ريب أنه ينبغي النظر إلى هذه الحالة على أنها قناة تواصل عملية أخرى ومختلفة تسهم في ولادة ثقافة عامة تجعل التفاعل والتأثير المتبادل أمراً ممكناً [٢٧] فمرة أخرى يثبت تعدد الثقافات الذي من شأنه أن يتيح إمكانية تعاون أتباع التيارات الفكرية المختلفة وتكاتفهم في الحفاظ على حيوية المجتمع بشكل سليم، يثبت أهميته وجدارته.

يمكن عدُّ نظرة المسيحية إلى الإسلام نظرة المنافس من بين الأسباب التي تدفعها للسلوك السلبي تجاه الإسلام. وإن عملية تصنيف الإسلام في صنف الآخر الذي سوف يجري معه صراع وصدام مستمران يتم تنفيذها عبر الإسلاموفوبيا التي تُعد إحدى الخطابات الأيديولوجية. ويمكن عدّ الأنشطة التي تقوم بها الأوساط العلمية والعلمانية، وريثة جيل ال ٦٨ الذي دخل في صراع مع الكنيسة، عاملاً آخر يصاعد وتيرة مناهضة الإسلام في الغرب. حيث يرى غولي (Göle) أنه مع تزايد ظهور الإسلام في الساحة العامة في فرنسا خلال تسعينات القرن العشرين بدأت هذه الأوساط بمتابعة مناهضتها ومعاداتها للدين من خلال الإسلام[٢٨] وإن تأجج المشاعر الإسلاموفوباوية بشكل مفاجئ عند تعلق الأمر بالإسلام والمسلمين لدى بعض المثقفين والمفكرين من الجيل الجديد الذين يقال عنهم إنهم مناضلون بخطاباتهم اليسارية في ميدان الحقوق والحريات

(٢٥) Göle, T24.

(٢٦) Roald, 2004.

(٢٧) Göle, T24.

(٢٨) Göle, T24.

الأساسية بما فيها حماية حقوق الأقليات، دليل واضح على أن البنية الازدواجية للثقافة المسيحية السائدة لا تزال حية ومؤثرة في الحياة الاجتماعية.

الإسلاموفوبيا الاقتصادية:

إن مناهضة الإسلام والمسلمين ومعاداتهم ظاهرة بشكل جلي وواضح للغاية في العالم الغربي وعلى رأسه البلاد الأنجلوسكسونية والدول الشمالية، ومن جهة أخرى في الدول التي تسود فيها المعتقدات البوذية والهندوسية. وإذا أردنا إيراد تفسير بشأن انتشار معاداة الإسلام على مستوى عالمي فيمكن إجراء تحليل للمسألة في إطار نظرية الصراع الديني. وهذه المقاربة تذهب إلى أنه يمكن تفسير السعي للهيمنة والسيطرة ذات الجوانب الاقتصادية والسياسية والاجتماعية على الموارد المحدودة، وتوضيحه بالخطاب الديني أو الأيديولوجي. وبإمكاننا مشاهدة الصراع الاقتصادي الديني في محور العلاقات التاريخية التي كانت قائمة في أوروبا بين المسيحيين وأتباع الديانات الأخرى (اليهود على سبيل المثال).

فنحن نعلم أن الهيكلية أو البنية المتجانسة في الغرب نتيجة هيمنة النظام العقائدي المسيحي كتيار رئيس منذ العهد الروماني المتأخر قد حددت ماهية العلاقة القائمة مع اليهود. فالميدان التجاري تُرك فارغاً بسبب حساسية المسيحية الكاثوليكية بشأن حرمة الربا، ولهذا فقد سمح لليهود بالإقامة والعيش في مختلف البلدان والمدن الأوروبية لممارسة الأعمال والأنشطة التجارية بما في ذلك المعاملات الربوية، لا بل كانوا يُشجّعون على القدوم والإقامة. ولكن مع مرور الزمن لوحظ تغير في نظرة الكلاثوليكية (والمسيحية عامة) نحو المعاملات الربوية. فبعد حركة الإصلاح البروتستانتية التي عدّها ويبر أحد أهم تغييرين مؤثرين في ولادة الرأسمالية، تغيرت النظرة إلى الربويين البروتستانت، فلم يعد القرض الربوي أمراً خاطئاً. ومع دخول التجار المسيحيين إلى ميادين النشاط الاقتصادي في هذه المرحلة، الذي كان حكراً على اليهود، بدأ الصراع على الموارد المحدودة. فاستخدم المسيحيون المزايا التي يتمتعون بها كونهم المجموعة المهيمنة، وأخرجوا اليهود من الحياة الاقتصادية بالاعتماد على الخطاب الأيديولوجي القائم على معاداة السامية. وهنا قامت الأيديولوجيا الدينية بمهمة التغطية لإخفاء الصراع على الموارد المحدودة.

لقد تحول الخطاب الديني بشكل تام إلى أيديولوجية مستخدمة لإضفاء الشرعية على السلوك التمييزي. أي تم العمل على تصنيف المجموعات التي تشكل أقلية في مستوى ديني-نفسي أدنى، وإضفاء الشرعية على مختلف المعاملات والتصرفات غير الإنسانية التي تجري بحقهم دون أدنى شعور بالذنب.

وفي هذه المرحلة الجديدة لم تعد التقاليد والأعراف اليهودية أو المسيحية تعرف حدوداً بشأن الانتفاع والتمتع بموارد الدنيا ونعمها. ويرى عالم الاجتماع الأمريكي الشهير بيتر بيرغر أن هذه التطورات هي من بين الأسباب المهمة لظاهرة العلمانية. ومن العوامل المهمة لهذا التطور السلبي هي: انكباب الغرب المسيحي على الدنيا، والجشع في استهلاك الموارد والثروات والدنيوية التي تقوم تماماً على الاستهلاك عن طريق تسخير العلم والتكنولوجيا

لذلك، وفقدان الشخصية النموذجية التي تقيم التوازن بين المثالية والواقعية في مرحلة مأسسة المسيحية.

وإن لمحاولة الغرب المسيحي وضع الإسلام والمسلمين في موضع الآخر الذي يتصارع معه، بهدف السيطرة على الكثير من المواد والثروات الأولية التي تمتلكها البلدان ذات الغالبية المسلمة، دوراً في تطور خطاب إسلاموفوباوي قائم على الحكم المسبق والتمييز. ويُلاحظ أن هناك ثلاث متغيرات تتمتع بأهمية محورية في تصاعد ظاهرة الإسلاموفوبيا، ومن ثم في تزايد الأحكام المسبقة بحق الإسلام:

الأول: محاولة الغرب التغطية على نيّته في الهيمنة على نفط الشرق الأوسط من خلال تشكيل صورة مشوهة سلبية عن الإسلام والمسلمين. فمثلاً نشاهد أنه نتيجة لأزمة الطاقة التي حدثت ابتداءً من أوائل السبعينات من القرن العشرين، وحروب النفط التي أعقبتها جرت محاولة البحث عن مشروعية من خلال زيادة الأحكام المسبقة ضد العرب وضد الإسلام. فنحن لا نحتاج إلى كثير بحث وتحليل لندرك أن الخطابات الأيديولوجية، مثل: حقوق الإنسان والديموقراطية التي أعلنتها الولايات المتحدة الأمريكية إبان احتلالها للعراق ما كانت إلا لإضفاء الشرعية على احتلال هذه الدولة بغية السيطرة على منابع النفط فيها.

أما الثاني: فهو الغيرة والحسد من نجاح المسلمين في الحياة الاجتماعية الغربية والتوجس من ذلك. فالعالم الغربي –وعلى رأسه الولايات المتحدة الأمريكية– يلجأ إلى القومية الثقافية التي تُعد جريمة كراهية من أجل شرعنة الخطاب الإسلاموفوباوي. وحسب ذلك فإنه ليس من قبيل المصادفة أن نشاهد تزايداً في مظاهر التمييز والعنصرية والأحكام المسبقة من خلال الاعتماد على المزايا والخصائص الثقافية، مثل: نمط اللباس والمعتقد واللغة، وذلك بالتزامن مع بدء المسلمين بالظهور في ميادين التعليم والعمل المحترف والمتميز في الغرب.

إن مطالب المسلمين المتعلقة بالعقيدة، مثل: الطعام الحلال والحجاب والمساجد والمآذن يتم منعها أو إعاقتها في مختلف البلدان الغربية من خلال الخطاب الإسلاموفوباوي. وكذلك يتم في إطار معاداة الإسلام حظر مختلف المظاهر الاعتقادية بتشكيل إحساس قوي حول «نحن، وهم» عن طريق الفروقات والتباينات الرمزية. وهناك رغبة وإرادة أيضاً في منع قوة العمل القادمة إلى الغرب من كثير من البلدان الإسلامية من الدخول إلى حركة السوق العمودية. وإن الذي يقف وراء تطور ظاهرة تركوفوبيا التي نشاهدها في سياق الإسلاموفوبيا في كثير من الدول الأوروبية اليوم هو تحقيق الكثير من الأتراك المسلمين الذين هاجروا من تركيا إلى مختلف البلدان الأوروبية لسد العجز في قوة العمل نجاحاتٍ في ميادين ومجالات مختلفة؛ مثل: تحولهم إلى أصحاب العمل، والبدء باستخدامهم وتشغيلهم في أعمال أفضل، واحترافهم في مهن ومجالات متنوعة، واستفادتهم من فرص التعليم الجيد، وتحقيقهم مكانة اجتماعية مهمة. ونظراً لكون الهاجس الاقتصادي هو العامل الأساس في تطور معاداة الإسلام فإن الادعاءات القائلة بأسلمة العالم الغربي على يد المسلمين في المستقبل القريب هي ادعاءات غير متناقضة مع الحقيقة المذكورة؛ ولذا فإن اللجوء إلى العنف إنما هو لحماية المسيحية.

وأما الثالث: فيمكن التعبيرعنه أنه عولمة التمييز. فالدول الطامحة إلى السيطرة على الموارد ومصادر الثروة

والقيم المحدودة تريد عولمة التمييز والحكم المسبق [٢٩] ويمكننا القول: إنه تم في قضية شرعنة السلوك التمييزي، أو الادعاء بصوابه أخلاقياً، تم تطوير الأحكام المقولبة الجاهزة بحق الجماعات غير الأوروبية (وخاصة المسلمين) استناداً إلى هذا العامل الذي عددناه السبب الثالث في تطور العنصرية الثقافية. بإمكاننا القول باختصار: إلى جانب الدور المهم للمصالح والمنافع الاقتصادية في زيادة المشاعر المعادية للمسلمين، فقد تم أيضاً تشكيل ظاهرة الحكم المسبق أو الإسلاموفوبيا عبر الصفات والمزايا المادية لأبناء الجماعات المهمشة والمصنفة كأعداء ومظاهرهم ولغاتهم وثقافاتهم وأديانهم. فالذي يقف وراء تزايد السلوكيات والتصرفات الإسلاموفوباوية نتيجة تأثير عوامل اجتماعية متعددة بما فيها نشاط الكنيسة هو قطع الطريق أمام النجاحات التي يحققها المسلمون باضطراد في مختلف ميادين الحياة الاجتماعية.

النتيجة:

يتبين لنا أن ظاهرة الإسلاموفوبيا اتخذت صيغة من صيغ التمييز العنصري العرقي المتضمنة مختلف الأحكام المسبقة والمقولبة والصور النمطية ضد الإسلام والمسلمين. ويحتوي هذا المصطلح في الوقت ذاته جهوداً ومساعي عاطفية ومعرفية بغية تشكيل صورة سلبية عن طريق خطاب الخوف والرعب، والكراهية المتوهمة التي لا أساس لها تلك التي تتضمن ممارسات الاضطهاد والتهميش الاجتماعي ضد المسلمين. وقد جرى العمل على إدخال الإسلاموفوبيا التي حُولت إلى مصطلح محاط بهالة من الغموض، ومن ثم القدسية، جرى إدخالها إلى العقل الباطن بالاستناد إلى إحساس الخوف والرعب. وهكذا يُراد من خلال الإسلاموفوبيا التي تحولت إلى مصطلح شمولي شرعنة كل المشاعر والتصرفات والسلوكيات السلبية الموجهة ضد الإسلام وضد المسلمين. ومن هنا فإني أرى أنه سيكون من الأنسب استخدام عبارة معاداة الإسلام والمسلمين بدل كلمة الإسلاموفوبيا.

إن تهميش المسلمين وإقصاءهم عن مختلف ميادين الحياة الاجتماعية وإهانتهم وتحقيرهم والإساءة إليهم وممارسة التمييز ضدهم، وباختصار تعريضهم للعنف الرمزي الذي يُعد أخطر من العنف المادي واللفظي، هي من نتائج الأعمال والأنشطة الإسلاموفوباوية. وأما هذا التصوير والتمثيل السلبي والمسيء للإسلام والمسلمين يوقع على عاتق المسلمين، وخاصة شريحة المفكرين والمثقفين منهم، مهماتٍ ومسؤوليات جسيمة في نقل مبادئ دين الإسلام الأساسية وقيمه وبيانها للإنسانية بأجمعها. هذا الدين الذي يعني السلام وعدم الخضوع والاستسلام لسلطة أحد غير إرادة الله تعالى، والذي كرم الإنسان وجعله أشرف المخلوقات. ومن الضروري إعداد مثقفين مسلمين يجعلون مبدأهم في الحياة تحصيل العلوم والتمكن في مجال تخصصهم والوقوف في وجه أنشطة أعداء الإسلام وأعمالهم كافة دون كلل أو ملل. ويضاف إلى ذلك أيضاً تبني مبدأ تحقيق النجاح في ميادين الحياة كافة؛ مثل: الميادين الاقتصادية والسياسية والثقافية والتربوية والتعليمية كإحدى طرق المواجهة بين

(٢٩) Roberts, 1990:277.

المسلمين غير المسلمين من الأوروبيين[٣٠]. وإن الظهور وإثبات الذات في المجتمع الذي يعيش فيه الإنسان يكون بالدخول في علاقات تفاعلية متبادلة مع مجتمع الأغلبية، والعمل على زيادة قنوات التواصل والعلاقات التكاملية. وكذلك يجب على هذه الشريحة المثقفة من المسلمين لمواجهة مناهضة الإسلام ومعاداته تأسيس منظمات فكرية، وتنظيم أنفسهم في بنية المؤسسات الفكرية المختلفة، والعمل على زيادة ظهورهم الاجتماعي باستخدام مختلف قنوات التواصل. ولكن ينبغي ألا ننسى أن للأعمال والأنشطة الإرهابية التي تصدر عن الأوساط المسلمة دوراً في تشكل المشاعر الإسلاموفوباوية وتصاعدها. وبناء على ذلك ينبغي تكثيف الدراسات والأبحاث السيسيولوجية حول المنظمات الإرهابية مثل القاعدة وداعش[٣١].

لأنه تم العمل في الغرب على إدخال معاداة الإسلام في العقل الباطن بتشكيل روح الجماعة، فقد أصبح استخدام هذا المصطلح محظوراً. ولذا يمكن القول: إنه من الضروري استخدام عبارة معاداة الإسلام بدل هذا المصطلح. ويجب على المفكرين والمثقفين المسلمين بذل قصارى جهودهم لتعريف الإنسانية بدين الإسلام دين السلام وبيان قيمه ومبادئه الأساسية لهم مقابل تهميش المسلمين وإقصائهم في ميادين الحياة الاجتماعية كافة، وكذلك تجاه الإساءة إليهم وإهانتهم وتحقيرهم وتعريضهم للعنصرية الثقافية وممارسة العنف الرمزي ضدهم. ولا بد للمسلمين في مواجهة معاداة الإسلام من التعريف بأنفسهم والظهور في الميادين، وإثبات أنفسهم فيها عبر الانتساب إلى المؤسسات الفكرية المختلفة، واستخدام مختلف قنوات التواصل مع الآخر. ويجب لمواجهة أنشطة إثارة الكراهية ضد الإسلام إيلاء الأهمية لزيادة أعداد المفكرين والمثقفين المسلمين الذين يسعون لنيل أعلى المراتب في مجالاتهم دون كلل أو ملل. ولذلك ينبغي تقديم مختلف أشكال الدعم والمنح للدراسات والأبحاث الأكاديمية في مختلف الجامعات الغربية. حيث من المعروف أنه كان للجهود التي بذلها رجال العلم اليهود المخلصين في مختلف الجامعات الغربية دور بارز في تحويل معاداة اليهودية التي كانت منتشرة وظاهرة حتى وقت قريب في الغرب إلى صداقة. ومن جانب آخر فإنه من الصعوبة القضاء على المواقف والسلوكيات السلبية التي جرى العمل على تكوينها لسنوات طويلة ضد الإسلام والمسلمين، وإزالة أثرها في وقت قصير. ولكن لا شك أن الجهود التي تبذل بصبر وثبات للقضاء على الأحكام المسبقة التي لا أساس لها ضد الإسلام، وذلك في إطار المبدأ القرآني ﴿ وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا ﴾ [المائدة: ٣٢]، سوف تأتي بنتائج إيجابية حتماً. وينبغي علينا في مواجهة المساعي والجهود المبذولة من قبل متبني فكر الإسلاموفوبيا للصق صفة الإرهاب بالمسلمين، أن نبذل جهدنا ضمن نطاق الأمر الإلهي الآتي[٣٢].

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [المائدة].

(٣٠) Göle, T24.

(٣١) Akyol, 2017; Göle, T24.

(٣٢) Çağrıcı, 08 Şubat, 2017.

المراجع:

- Abdul Hamid, A. F. (2010). "The Prophet (peace be on him) as a Model for Universal Peace and Justice", INSIGHTS, 'Mercy for the Worlds' Number, 02: 2-3 (Winter 2009-Spring 2010), 153-178.
- Akyol, T. (2017, 20 Haziran). "İslamofobik Terör", Hürriyet Gazetesi.
- Alrassı, A. (2014). "Fighting Against Religious Extremism And Islamophobia - The Pillar For A Sustainable Harmony Between West And Islam", SEA-Practical Application of Science, Volume II, ISSUE 1(3), 39-47.
- Ataman, M.(2017). "Batı'daki İslâm ve Türk Algısı:Tıkanan Batı'da Yeniden Yükselen Irkçılık, Korku Endüstrisi İslamofobi", Diyanet Aylık Dergi, Sayı:317, 15-17.
- Bayraklı, E. – Hafez, F. (2016). "The State Of Islamophobıa In Europe", http://www.İslâmophobiaeurope.com/wp-content/uploads/2017/03/Introduction_2016.pdf (Erişim Tarihi: 14.12.2017).
- Bayraktar, C. (2017, 07 Şubat). "Bir işgal biçimi: İslamofobi/İslâm Karşıtlığı", Yeni Şafak Gazetesi.
- Borell, K. (2015). "Islam and Christian-Muslim Relations", 26 (4), 409-421, http://dx.doi.org/10.1080/09596410.2015.1067063
- Böhürler, A. (2017, 18 Mart). "Katolik baharı/ İslamofobiye karşı çıkan Papa Francis", Yeni Şafak Gazetesi.
- Canatan, K. (2007). "İslamofobi ve Anti-İslâmism: Kavramsal ve Tarihsel Yaklaşım", Batı Dünyasında İslamofobi ve Anti-Semitizm, K. Canatan ve Ö. Hıdır (ed.), Ankara: Eskiyeni Yayınları.
- Çağrıcı, M. (2017, 08 Şubat). "İslamofobi", Karar Gazetesi.
- Ekman, M. (2015). "Online Islamophobia and the politics of fear: manufacturing the green scare", 38 (11), 1986-2002.
- EUMC Annual Report (2005). "Racism and Xenophobia in the EU Member States", http://fra.europa.eu/sites/default/files/fra_uploads/103-ar05p2en.pdf, (Erişim Tarihi: 17.11.2017).
- EUMC, (2006). "Avrupa Birliği'nde Müslümanlar: Ayrımcılık ve İslamofobi", file:///C:/Users/user/Downloads/1936-EUMC-highlights-TR.pdf (Erişim Tarihi: 17.11.2017).
- Faimau, G. (2015). "The Conflictual Model of Analysis in Studies on the Media Representation of Islam and Muslims: A Critical Review", 9 (5), 321-335.
- Göka, E. (2016, 10 Ocak). "Günahlardan arınma aracı olarak İslamofobi", Yeni Şafak Gazetesi.
- Göle, N. T24, "4 yıl boyunca 21 Avrupa kentinde araştırma yapan Prof. Nilüfer Göle, 'sıradan Müslümanlar'ın kitabını yazdı" https://f.hypotheses.org/wp-content/blogs.dir/96/files/2012/11/T-24-siradan-muslumanlar.pdf (Erişim Tarihi: 19.10.2017).
- Karaman, H. (2016, 07 Ocak). "İslamofobiye Malzeme Sunanlar", Yeni Şafak Gazetesi.
- Kaya, S. (2015). "Islamophobia in Western Europe: A Comparative, Multilevel Study", Journal of Muslim Minority Affairs, Vol. 35, No. 3, 450–465.
- Kedikli, U. ve Akça, M. (2017). "Soğuk Savaş Sonrası Avrupa'da Artan İslamofobi", TESAM Akademi Dergisi, 4 (1), 57-95.
- Richardson, R. (2012). "Islamophobia or anti-Muslim racism – or what? – concepts and terms revisited", http://www.insted.co.uk/anti-muslim-racism.pdf (Erişim Tarihi: 17.10.2017).
- Ring, N. C. – Nash, K. S. vd. (1998). "Introduction to the Study of Religion", New York: Orbis Books.
- Roald, A. S. (2004). "New Muslims in the European Context: The Experience of Scandinavian Converts", Brill Academic Pub.
- Roberts, K. A. (1990). Religion in Sociological Perspective, Wadsworth Publishing Company.
- Runnymede Trust (2017). "Islamophobia: Still a Challenge for Us All, London: Runnymede Trust, https://www.runnymedetrust.org/uploads/Islamophobia%20Report%202018%20FINAL.pdf (Erişim Tarihi: 15.12.2017).
- Sakellariou, A. (2011). "The 'Invisible' Islamic Community of Athens and the Question of the 'Invisible' Islamic Mosque", Journal of Shi'a Islamic Studies, 4(1):71-89.
- Sambur, B. (2016). "İslâm'ı Anlamak, İslamofobiden Arınmak", Kamu'da SosyalPolitika, 9 (14), 9-15.
- SETA, (2016). "European Islamophobıa Report 2016", http://www.İslâmophobiaeurope.com/wp-content/uploads/2017/05/EIR_2016.pdf, (Erişim Tarihi: 17.12.2017).
- Subaşı, N. (2017). "İnsan Bilmediğinden Korkar, Korku Endüstrisi İslamofobi", Diyanet Aylık Dergi, 317, 30-33.
- Taşdemir, H. (2016). "İslamofobi ve İnsan Hakları", Kamu'da Sosyal Politika, 9 (14), 32-34.
- UHİM (2015). "Avrupa'da Yükselen Ayrımcılık Nefret, İslamofobi ve Irkçılık", Türkan, H. (Ed.), Şen Ofset: İstanbul.
- Yanarışık, O. (2015). "Turkey-EU relations and the representation of AK Party in the western political and media discourse", University of Warwick, Department of Politics and International Studies, (Unpuplished PHD Thesis), http://wrap.warwick.ac.uk/77659/1/WRAP_Thesis_Yanarisik_2015.pdf (Erişim Tarihi: 14.12.2017).
- Yel, A. M. (2016). "İslamofobiye Karşı Örnek Bir İslâm Toplumu Oluşturulmalı", Kamu'da Sosyal Politika, 9 (14), 25-31.
- Yel, A. M. ve Nas, A.(2014). "Insight Islamophobia: Governing the public visibility of Islamic Lifestyle in Turkey", European Journal of Cultural Studies, 17(5), 567-584.

الإسلاموفوبيا ومعاداة الإسلام

محاولة من «الغرب» لخلق شيطان في «الشرق»؛ مقاربة تاريخية*

أ.د. قدير جاناتان

جامعة صباح الدين زعيم؛ إسطنبول – كلية العلوم الصحية: kadir.canatan@izu.edu.tr

الخلاصة:

رغم أن الإسلاموفوبيا ومعاداة الإسلام اللذين يكثر الحديث عنهما في الغرب اليوم قد يبدوان كأمرين جديدين من الناحية الاصطلاحية والظاهرية، إلا أنهما في الحقيقة واقع ذو جذور وأصول تاريخية وماض يمتد لقرون طويلة. فيمكن العودة بتاريخ الإسلاموفوبيا إلى الأيام الأولى لظهور الإسلام ولقائه أو احتكاكه بالمسيحية. فالمسيحية في البداية خلقت عداوة ضد اليهود على شكل معاداة السامية/ antisemitism، ثم فيما بعد خلقت معاداة الإسلام/ anti-İslamism.

سوف نتناول في هذه الدراسة كيفية شيطنة المسيحية للإسلام في السياق التاريخي. وفي الحقيقة إن معاداة الإسلام والإسلاموفوبيا ما هي إلا نتاج لفكر إقصائي واستقطابي. فقد أعلنت المسيحية كلاً من الموسوية التي تعد خلفيتها التاريخية، والإسلام باعتباره الدين الذي جاء بعدها، أعلنتهما عدوين ومناهضين لها. وإن دراسة وتحليل الخلفية التاريخية والثقافية تثبت بشكل واضح أن معاداة الإسلام إنما هي اختلاق وخيال تاريخي وثقافي، وتم اليوم إعادة نسجه وإنتاجه من جديد.

الكلمات المفتاحية: الشرق والغرب، الإسلاموفوبيا، معاداة الإسلام، الشيطنة

" Batı"nın "Doğu"da Bir Şeytan Yaratma Girişimi Olarak İslamofobi ve Anti-İslamizm: Tarihsel Bir Yaklaşım

Özet

Bugün Batı dünyasında sıkça konuşulan İslamofobi ve anti-İslamizm, kavramsal ve olgusal olarak yeni gibi görünse de aslında tarihsel temelleri ve uzun bir geçmişi olan bir vakıadır. İslamofobi'nin tarihini, İslam'ın doğduğu ve Hristiyanlıkla temasa geçtiği günlere kadar geri götürebiliriz. Hristiyanlık, ilk önce Yahudilere karşı bir düşmanlık şekli olan antisemitizmi, sonra da anti-İslamizmi yaratmıştır.

Bu çalışmada nasıl olup da Hristiyanlığın İslam'ı şeytanlaştırdığı tarihsel süreç içinde ele alınmaktadır. Gerçekte anti-İslamizm ve İslamofobi, ötekileştirici ve kutuplaştırıcı bir düşüncenin ürünüdür. Hristiyanlık hem kendi tarihsel arkaplanı olarak Museviliği, hem de kendisinden sonra gelen bir din olarak İslamiyet'i kendi karşıtı ve düşmanı ilan etmiştir. Tarihsel ve kültürel arkaplanın incelenmesi, ani-İslamizmin tarihsel ve kültürel bir kurgu olduğunu ve bugün de yeniden üretildiğini açıkça göstermektedir.

Anahtar Kelimeler: Doğu-Batı, İslamofobi, Anti-İslamizm, Şeytanlaştırma

* وهذه هي الترجمة العربية للدراسة بعنوان "Batı"nın "Doğu"da Bir Şeytan Yaratma Girişimi Olarak İslamofobi ve Anti-İslamizm: Tarihsel Bir Yaklaşım" التي نشرت في العدد السّادس من مجلة الإلهيات الأكاديمية. (قدير جاناتان، الإسلاموفوبيا ومعاداة الإسلام محاولة من«الغرب» لخلق شيطان في«الشرق»؛ مقاربة تاريخية، الإلهيات الأكاديمية، ٢٠١٧، العدد: ٦، ص ٨٧-١٠٤). من الواجب أن يستند في الإقتباس إلى المقالة التركية.

Islamophobia and anti-Islamism as an Attempt to Create a Demon by the "Western" in the "East"

Abstract

Islamophobia and anti-Islamism, often spoken in the western world today, seem conceptually and factually new, but in fact are a historical fact and a long history. We can take the history of Islamophobia back to the days when Islam was born and encountered with Christianity. Christianity first created anti-Semitism, then anti-Islamism, as a form of hostility against the Jews and Muslims.

In this work is handled how Christianity demonized Islam in the historical process. In fact, anti-Islamism and Islamophobia are products of an otherization and polarizing logic. Christianity has declared the religions it has encountered both before (Judaism) and after (Islam) its opposition and enemy. The examination of historical and cultural backgrounds clearly demonstrates that anti-Islamism is a historical and cultural fiction and that it is reproduced today.

Keywords: East-West, Islamophobia, Anti-Islamism, Demonization

المدخل:

مع أنه من الصعب تحديد تاريخ دقيق لبدء استخدام مصطلح الإسلاموفوبيا ومعاداة الإسلام، إلا أنه بدأ بالتزامن مع انتهاء مرحلة الحرب الباردة وفي الأيام التي تلتها. وهذا الأمر ليس من قبيل المصادفة أبداً: حيث إن العالم الغربي بعد انهيار منافسه الأيديولوجي المتمثل بالمعسكر أو السد الشيوعي شعر بالحاجة إلى إيجاد عدو جديد له ليحل محل هذا العدو القديم، فبدأت مرحلة حرب باردة من نوع جديد متذرعة بجملة من التطورات والأحداث التي ظهرت في الشرط الأوسط. وبعبارة أخرى إنه أحدث «الخطر الأخضر» ليحل محل «الخطر الأحمر».

تشكل الثورة الإسلامية الإيرانية نقطة البدء في بروز ظاهرة الإسلاموفوبيا الراهنة. فقد أطلق الكاتب الإنكليزي «جون لافن John Laffin» في كتابه المنشور عام ١٩٧٩ اسماً ملفتاً للأنظار، ألا وهو: «التهديد الإسلامي»[١]. وتُرجم هذا الكتاب إلى عدة لغات، وأصبح المرجع المهم للحركات المعادية للإسلام. ولم تكن معاداة الإسلام قد نجحت بعد في التحول إلى تيار خلال الفترة التي كانت فيها الحركات السياسية العنصرية والمعادية للأجنبي والمعارضة للهجرة والمهاجرين ضعيفة، وكانت الحرب الباردة ما تزال قائمة. وكان يجب الانتظار حتى انهيار جدار برلين الذي يعد نقطة الانهيار الثانية لبدء تحول معاداة الإسلام إلى تيار سياسي وفكري.

(١) The Dagger of Islam, Sphere Books Ltd, Aylesbury, Bucks.

إن مقالة الكاتب الأمريكي صامويل هينتينجتون (Samuel Huntington) المعنونة بـ«صراع الحضارات»[٢] والمنشورة عام ١٩٩٣ والأطروحة أو النظرية التي قدمها فيها تتمتع بأهمية كبيرة من ناحية عكسها للوضع السائد في أمريكا والعالم الغربي بعد الحرب الباردة. ولا شك أن هذه المقالة والأطروحة المقدمة فيها قد لعبت دوراً مهماً من حيث ظهور التناقضات الموجودة في العالم أو التي يتوقع ظهورها في المستقبل. ففي هذه الفترة كانت الحركات المناهضة والمعارضة للهجرة والمهاجرين المتنامية في الداخل تنتشر من جهة، ومن جهة أخرى كانت خطابات صراع التوازنات المتغيرة على الصعيد الدولي تنتشر أيضاً. إلا أن تطور معاداة الإسلام وظاهرة الإسلاموفوبيا وتحولها إلى قضية أو مشكلة أساسية؛ وخلق توتر وتصعيد بين المجموعات المسلمة وبين السكان المحليين في المجتمعات الغربية متعددة اللغات والثقافات سيكون عقب هجمات ١١ أيلول.

إن هذا الخط التطوري المكون من ثلاث مراحل للإسلاموفوبيا الراهنة يتيح المجال للكشف أيضاً عن نقطة تركت مبهمة كمصطلح في الكتابات أو الأدبيات حتى وقتنا الحالي. فمصطلحا الإسلاموفوبيا ومعاداة الإسلام اللذان يتم استخدامهما في الأدبيات والكتابات العالمية كمترادفين في المعنى يشيران في الحقيقة إلى ظاهرتين مختلفتين: أما الأولى فهي واقعة سوسيولوجية، وأما الثانية فواقعة سياسية وأيديولوجية. فالأولى ظهرت في التاريخ الحديث أولاً كتيار سياسي وفكري معاد للإسلام، ولعبت دوراً كمتغير مستقل في ظهور الثانية. وبعبارة أبسط؛ إن الإسلاموفوبيا هي نتاج معاداة الإسلام بدرجة كبيرة. وإذا تم تجاهل هذه الحقيقة من حيث الماضي والحاضر فلن تُفهم الإسلاموفوبيا بشكل تام.

ولا ينبغي عدُّ هذا الأمر على أنه اختزال يعمل على تفسير الإسلاموفوبيا من خلال عامل أو مؤثر وحيد. حيث إن الإسلاموفوبيا ظاهرة معقدة أكثر مما تبدو في الظاهر. فهذه الظاهرة، التي تبدو كأنها تعود للعشرين أو الثلاثين سنة الأخيرة، لها عمق وجذور تاريخية. فلولا الخلفية التاريخية، التي سوف نأتي على بيانها، لما شهدت الإسلاموفوبيا ومحرضتها معاداة الإسلام هذا الانتشار السريع. وفي الواقع إذا ما تأملنا قليلاً سوف نجد أن الإسلاموفوبيا ومعاداة الإسلام ما هما إلا حالتان محدثتان لموقف قديم تتم إعادة إنتاجه بشكل مستمر تاريخياً واجتماعياً وثقافياً. وإذا كانت الإسلاموفوبيا نتاج لمعاداة الإسلام، فإن الظاهرتين بدورهما تعبير جديد عن الاستقطاب بين الشرق والغرب كنوع من الصراع التاريخي.

إن الإسلام في نظر الكنيسة المسيحية خلال العصور الوسطى هو على أحسن الأحوال طائفة ضالة ومنحرفة عن المسيحية، وهناك من يذهب أبعد من ذلك فيعدّه ظاهرة شيطانية معادية لعيسى عليه السلام. وإن هذه النظرة أو المقاربة التي تماثل الإسلام مع الشيطان تسبب على مدى التاريخ بتسميم العلاقات وإفسادها بين

(٢) The Clash of Civilizations?, Foreign Affairs, Yaz 1993, s. 22-49.

المسلمين والمسيحيين من جهة، والعلاقات بين الشرق والغرب من جهة أخرى. وتحولها إلى حالة صراع وصدام. وكانت هذه المقاربة مرجعاً ومستنداً للحروب والحملات الصليبية في الماضي، وغطاء لتأمين المشروعية الأيديولوجية والسياسية للتطورات الحاصلة بعد أحداث ١١ أيلول في الوقت الحاضر. حيث إن عبارة «إننا مقبلون على الحرب الصليبية» التي استخدمها رئيس الولايات المتحدة الأمريكية في تصريحه الذي أدلى به عقب أحداث ١١ أيلول مباشرة، ليست خطأ تعبيرياً غير مقصود كما صرح فيما بعد، وإنما إشارة مهمة تكشف عن العقل الباطن لدى شعوب العالم الغربي.

بعض الملاحظات عن الشيطان:

حسب القرآن فإن الشيطان عصا الله تعالى برفضه أمر السجود للإنسان، وحاول تبرير هذا العصيان وشرعنته بمنطق الأفضلية والفوقية. ويتحدث القرآن عن هذه القصة بصورة حوارية، فيقول:

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿١١﴾ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ۖ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ ۖ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾ قَالَ فَٱهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿١٣﴾ قَالَ أَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾ قَالَ ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا ۖ لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٨﴾ ﴾ [الأعراف].

لقد عُد كل من التراب والهواء والماء والنار الحجر الأساس بالنسبة للوجود، وذلك سواء في الفكر اليوناني القديم، أم في الفكر الإسلامي. وهذه العناصر الأربعة ليست الحجر الأساس للوجود فحسب، وإنما في الوقت ذاته تشير أو تعبر باللغة الرمزية عن معاني مختلفة. فالتراب مثلاً يعبر عن الذل والهوان والتواضع والوضاعة والدناءة. وإن إعطاء المعاني للأشياء المذكورة ليس مصادفة أو سلوكاً بريئاً. وقد قدم الشيطان نموذجاً انتقائياً من تلقاء ذاته بتحميله النار التي خلق منها معنى يدل على الأفضلية والفوقية والخيرية، وتحميله الشيء الذي خلق منه آدم معنى يشير إلى المهانة والدونية. وبذلك أسس للتسلسل الهرمي بين الكائنات. فالشيطان هو الكائن الذي ادعى الأفضلية والخيرية أنطولوجياً، وأسس لنظام تسلسلي هرمي انتقائي بين أصناف الكائنات من تلقاء نفسه بعيداً عن التنظيم الذي وضعه الله تعالى، أي إنه الكائن الذي مارس العنصرية لأول مرة على الأرض. ورغم ذلك تُرك طليقاً، لأن له مهمة ووظيفة. لقد أوجد الخلق على أساس دياليكتيكي، أي على أساس صراع الخير والشر. فالخير لا يكتسب معنى إلا في البيئة التي يوجد فيها الشر. ولا يمكن الحديث عن صلاح الإنسان وامتلاكه الفضيلة من دون هذه الديالكتيكية. فالفضيلة الحقيقة هي اختيار الخير والدفاع في بيئة يوجد فيها الشر أيضاً. وإلا فلن تكون الدنيا التي تحتوي على الخير أو على الشر فقط دنيا امتحان. فمثل

هذه الحياة لن تكون إلا عبارة عن حياة قسرية وجبرية. فحياة الإنسان في مكان لا يتوفر فيه الاختيار حياة بلا معنى ولا هدف وغاية.

إن الشيطان في الأديان التي تعتقد بالإله الواحد ليس ضد الإله أو مقابله. إذ إن مثل هذه العقيدة من شأنها أن تفتح الباب أمام مفهوم الثنائية الإلهية، ومن ثم يُلغى التوحيد. فالشيطان مخلوق أو كائن خلقه الإله، وأُسندت إليه مهمة. والضدية أو المعاكسة ليست بين الإله والشيطان، وإنما بين الخير والشر. فمتى يتحول الشيطان الذي حُمل بهذه المهمة والمعنى ضمن نظام الخلق إلى إشكالية؟ إن الإشكالية الأولى كما ذكرنا وأشرنا آنفاً تظهر عند إخراج مفهوم الشيطان من إطاره؛ أي يبدأ الانحراف عن التوحيد عندما يُتصور الشيطان على أنه كائن مضاد وموازٍ للإله. وأما الإشكالية الثانية فتبرز عندما يتم تعميم الشيطان وتحويله إلى صفة، وتوصيف الكائنات الأخرى بهذه الصفة.

إن كلمة الشيطان كلمة عبرية، وهي تعني: المفتري والمضلل والمخادع والمفسد للعلاقات والمنافس والمعارض والمتمرد والشرير[٣]. وما يلفت النظر هو استخدام هذه الكلمة في اللغة العلمية كصفة، وليس كاسم. ويتناول المسيحيون والمسلمون الشيطان على أنه كائن، واسم كائن. فهو يمثل الشر والسوء، ويدفع الناس نحو الشرور والسيئات. والشيطان بمعنى أعم هو كل شيء اعتُبر ممثلاً للشر. ونتيجة لهذا المعنى العام فإن الشيطان ليس ذاك الكائن الخفي والغامض والاستثنائي فحسب، وإنما هو مختلف أنواع وأشكال الشرور التي نواجهها ونراها في كل مكان وزمان. إن عملية التعميم، و«شيطنة» الأشياء واضحة وجلية هنا. فالشيطنة هي إلصاق الأفعال والأعمال والصفات الخاصة بالشيطان إلى كائنات أخرى. وهذا الكائن المضاف إليه الأعمال والصفات الشيطانية يمكن أن يكون إنساناً، كما يمكن أن يكون حيواناً أو شيئاً أيضاً. وإن تعريف الشيطان أو اعتباره كصفة من شأنه تسهيل هذه العملية بشكل أكبر.

فإذا عُرّف الشيطان بصفات مثل: المفتري والعاصي والمتمرد والمفسد للعلاقات، فحينها يواجه كل من يحمل هذه الصفات والخصائص خطر أن يصبح شيطاناً.

إن فهم طبيعة العنصرية كأيديولوجيا مشيطنة وكيفية عملها يقتضي الرجوع إلى الفرضيات الفلسفية لهذه الظاهرة والتمعن فيها عن كثب. يذهب ألبير ميمي Albert Memmi إلى أن هناك ثلاث مرتكزات مهمة

(٣) ويكيبيديا، مادة الشيطان،
.http://www.wikizero.org/index.php?q=aHR0cHM6Ly9ubC53aWtpcGVkaWEub3JnL3dpa2kvU2F0YW4
وراجع أيضاً: Derveze, İ. (1989), Kur'an'a Göre Hz. Muhammed'in Hayatı, C. I, Sh. 355, Yöneliş Yayınları, İstanbul.

لأيديولوجيا العنصرية[٤]؛ فأما الأول: فهو أن العرقية تفترض وجود أعراق صافية على وجه الأرض. وهذه الفرضية لا تتناقض مع عقيدة الأصل الواحد للإنسان القديمة والمتجذرة الواردة في النصوص المقدسة فحسب، وإنما تتجاهل اختلاط الأعراق المختلفة وامتزاجها عبر التاريخ أيضاً. وأما الثاني فهو أن العنصرية تؤسس أو تقيم هرمية بين الأعراق. وبعبارة أخرى إنها تدعي أن هناك أعراقاً عليا، وأعراقاً أخرى دنيا. وهذه هي نقطة بداية العنصرية. وهذه الفرضية تتناقض مع المفهوم التقليدي القائم على المساواة بين الناس، كما أنها تتعارض مع فكرة المساواة الحديثة. وإن المغالطة أو الخطأ الأساسي هنا يتمثل في عدّ الاختلافات الإثنية والعرقية بحكم القيمة. وفي الحقيقة فإن تخيل الاختلافات ضمن نظام هرمي عملٌ كيفي اعتباطي. فمثلاً: اختلاف اللغات شيء، والادعاء أن بعضها في مرتبة أعلى وبعضها الآخر في مرتبة أدنى شيء آخر. فليس هناك أي مستند علمي لتصنيف الفروقات والاختلافات بصيغة الأعلى والأدنى أبداً.

إن مرتكز العنصرية الثاني يتقاطع مع ادعاء الشيطان الفوقية والأفضلية تجاه الإنسان. فقد أقام الشيطان علاقة هرمية بين التراب، الذي يمثل الإنسان أو نموذجه الأصلي الأولي، وبين النار التي خلق هو منها؛ أي نموذجه الأولي. أي إنه ادعى أن النار في مرتبة أعلى من التراب. والحال أن هذه النماذج الأولية هي عبارة عن أشياء من أصناف وأنواع مختلفة. ولا يمكن الحديث عن أن بعضها أعلى أو أدنى مرتبة من الآخر. فكما أن التفاح والإجاص صنفان مختلفان من الفاكهة، ولا يُعد كل صنف أدنى أو أعلى مرتبة من الصنف الآخر، كذلك فإن التراب والنار هما صنفان من أصناف مختلفة ولا سبيل للتفضيل بينهما. وعدا عن ذلك فإن هناك احتمالاً لأن يكون قد تم التعبير عن هذه الأشياء في النصوص الدينية بمعنى مجازي أيضاً. حيث إن التراب الذي يعد المادة الأساس في تكوين الإنسان يعبر في ثقافات مختلفة عن دونية البدن وسفالته وقبحه وفنائه. إلا أن الإنسان ليس عبارة عن البدن فحسب، فهو كان متفوقاً وسامياً من حيث الروح. والإنسان بهذا المعنى اتحاد أو اجتماع للأضداد؛ فهو ينتمي ببدنه إلى الدنيا، ولكن ينتمي إلى الآخرة بروحه. وهو عبد أمام الله تعالى، وسيد أمام الكائنات الأخرى. وهذه المكانة أو الميزة تتيح للإنسان المجال لأن يرتقي إلى أعلى عليين أو يهبط إلى أسفل سافلين حسب التعبير القرآني. ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠﴾ [الشمس].

إن النتيجة المنطقية للمرتكز أو الفرضية الثانية هي أن العرق الأعلى لا يليق به أن يُعامل معاملة متساوية مع الأعراق الأخرى، كما أنه من الطبيعي أن يسيطر هذه العرق الأعلى المتفوق على الأعراق الأخرى ويهيمن

(٤) Memmi, A. (1983), Racisme hoezo? : ontmaskering van een onderdrukkingsmechanisme, Masusa, Nijmegen.

عليها. وهذا هو مبدأ العنصرية الثالث. إذاً إن هدف السياسات والقوى العنصرية ليس فكرة التفوق المجردة على الصعيد الفكري، وإنما الهدف هو تشكيل أساس أيديولوجي يُستخدم للهيمنة على الشعوب الأخرى، وإضفاء الشرعية على هذه الهيمنة. حيث استخدمت العنصرية في التاريخ الحديث كأيديولوجيا وظيفية من قبل المحتلين الأوروبيين في الفترة الاستعمارية. فقد تم احتلال الكثير من المناطق والبلدان، والهيمنة على الكثير من الشعوب حول العالم بذريعة جلب الحضارة والمدنية.

التمييز بين الشرق والغرب:

لقد كان مصطلح «الشرق» و«الغرب» حتى ظهور الإسلام بعيداً عن المضامين والتصورات والتداعيات السلبية. فكما بيّن القرآن الكريم: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾﴾[٥] [البقرة]. إلا أن نمط الفكر «الاستقطابي» وضع هذين العالمين في مواجهة مع بعضهما.

«إن المنهج الأكثر شيوعاً واتباعاً لتعريف شيء مجهول وتفسيره هو منهج الضدية. أي إيجاد مقابل لمصطلح معروف. وقد تم تصوير وتصميم الإسلام في الغرب باعتباره ضداً للمسيحية بكل جوانبه. فعلى سبيل المثال: المسيحيون محبون للسلام – المسلمون محبون للحرب؛ عيسى كان راهباً –محمد كان متعدد الزوجات؛ الإنجيل أصلي– القرآن مزيف، وهكذا فيما يتعلق ببقية المسائل والأمور. فهذا تفكير الغربيين ورأيهم في شأن الإسلام. فالغربيون لا يعدّون الإسلام استمراراً للأديان التي جاء بها الأنبياء السابقون. وإنما ينظرون إلى الإسلام على أنه بدأ في مكة والمدينة. وحسب رأيهم فإن الإسلام دين مادي لا يحتوي على جانب معنوي: فهو عنوان الفتح وإدخال الناس إلى الدين بالإكراه. وبذلك فإن الغربيين يدفعون الإسلام والمسلمين لاتخاذ موضع الدفاع، ويريدون الحفاظ على نوع من الصراع والصدام المستمرَّين مع المسيحيين في التفاصيل والفروع إلى ما لا نهاية»[٦].

فمتى بدأ هذا الاستقطاب بين الشرق والغرب، والإسلام والمسيحية، وكيف تطور؟

لقد ظهر الإسلام تاريخياً بعد المسيحية بقرابة ستمئة عام، وانتشر في العالم بسرعة كبيرة جداً. وقد وجد علماء الدين ورجال العلم من المسيحيين صعوبة في تفسير ظهور الإسلام كدين جديد من جهة، وسرعة انتشاره من جهة أخرى. ومن أهم مصاعب تفسير ولادة الإسلام كدين جديد لاهوتياً هو عدّه متعارضاً ومتضارباً مع جملة من المعتقدات المسيحية المحورية. «فإحدى هذه المعتقدات الأساسية والمحورية هي فكرة اكتمال الوحي وختامه، ذلك الوحي الذي أنزله الرب على البشرية عن طريق حياة عيسى وموته وقيامته من جديد. ولا شك أن هذه

(٥) إن عبارة وجه الله تعبير مجازي، ويعني هنا «رحمة الله تعالى، ورضاه ونعمته». أي إن العبد إذا أقدم على أي عمل وطاعة سوف يجد لطف الله ورحمته أينما وجد في الأرض وأينما كانت وجهته.

(٦) Van Bommel, A. (2005), "Müslüman Doğu" ile "Hristiyan Batı"nın Birbirleri Hakkındaki İmajları, Sh. 264, Beyan Yayınları, İstanbul.

الفكرة جلبت معها مسألة إشكالية حول إمكانية مجيء نبي جديد. وقد أجاب بعض اللاهوتيين المسيحيين عن هذه الإشكالية بالادعاء أن ولادة دين جديد كالإسلام إنما هي من عمل الشيطان. فالرب أذن للشيطان بتشكيل الإسلام بهدف اختبار عامة المسيحيين ومعاقبة العصاة منهم. فنبي الإسلام محمد نبي مزيف؛ ووسيلة من وسائل الشيطان؛ والوحي الذي جاء به إنما وضع وتلفيق منه، وهو محتال مجرد من الضمير، ومغرم بالقوة والسلطة والعنف؛ وهو (Antichrist)عدو للمسيح عيسى. وبعبارة أخرى الإسلام ذو طبيعة شيطانية»[٧].

إن مصطلح (Antichrist)، الذي يعني ضد المسيح، كلمة واردة في الإنجيل. وقد استخدمت هذه العبارة المذكورة في رسائل يوحنا الأولى والثانية لتوصيف الكثير من الناس عبر التاريخ. وإن كلمة «Antİ» التي تعني في اللغة اليونانية ضد، تُستخدم أيضاً بمعنى «الذي يحل محل». وبهذا المعنى فإن «Antichrist / ضد المسيح» هو شخص سوف يظهر في الساعة الأخيرة من نهاية العالم، ويحاول الحلول محل المسيح عيسى (يوحنا، الرسالة الأولى، الباب ٢: ١٨ – ٢٣). وهذه الشخصية في الأدبيات الإسلامية هي «الدجال» ذاته[٨]. وقد وردت على مر التاريخ تخمينات حول شخصية الدجال سواء في العالم المسيحي أم في العالم الإسلامي. وثم وصف الكثير من الشخصيات التاريخية بالدجال. ومن الأمثلة على ذلك نيرون ملك روما، الباباوات في روما (حسب وصف بعض البروتستانتيين)، والإصلاحي مارتن لوثر (حسب توصيف بعض الكاثوليكيين)، وكذلك نابليون، وهتلر. فالكنيسة الكاثوليكية الرومانية تترقب حدوث الامتحان الأخير في نهاية العالم، وتذهب إلى أن كثيراً من المتدينين سوف يفشلون في اجتياز هذا الامتحان، ويسقطون في الكفر والضلال. وحسب علم اللاهوت المسيحي فإن أسوأ انحراف وضلال ديني هو عقيدة الدجال، لأن الإنسان هنا سوف يرفع من شأن ذاته ويقدسها بدل الرب.

وحسب ما كتبه العالم الإسلامي فان كونينكسفلد Van Koningsveld فإن علماء اللاهوت وغيرهم من رجال العلم المسيحيين الذين وجدوا صعوبة بشأن تفسير ظهور الإسلام وسرعة انتشاره في العالم طوروا نظرية المؤامرة. ووفقاً لهذه النظرية فإن وجود أوجه التشابه بين نصوص القرآن وبين نصوص التوراة والإنجيل ليس من فراغ. حيث إنه كان للنبي محمد معلم في الخفاء، وتلقى على يد معلوماته الدينية. وهذا الرجل ليس سوى رجل دين مسيحي تم طرده من منصبه ووظيفته الدينية بسبب تصرفات وأفعال سيئة وغير لائقة صدرت عنه. فذهب هذا الراهب إلى شبه الجزيرة العربية، وأعد هناك محمداً كنبي مزيف انتقاماً من الكنيسة. وبناء على

(٧) Van Koningsveld, P. S. (1993), Sprekend Over de İslam en de Modern Tijd, Sh. 12-13, Prometheus & Teleac, Amsterdam.

(٨) وبسبب هذا التشابه فقد تم ترجمة كتاب الفيلسوف الألماني فريديك نيتشه «ضد المسيح/ Antichrist» إلى اللغة التركية تحت عنوان «الدجال».

ذلك فإن الإسلام ليس إلا عبارة عن مؤامرة محاكة لتدمير المسيحية من داخلها. وباختصار فإن الإسلام ليس سوى الولد غير الشرعي للمسيحية[٩].

وإن الصعوبة في فهم ظهور الإسلام وإعلان محمد نفسه نبياً جديداً انعكست على الكلمات أيضاً. فالعالم المسيحي نادراً ما يستخدم بشأن النبي محمد صفة «النبي» و«الرسول». حيث يُطلق على العرب الذين يتم وصفهم غالباً بالهمج والمتوحشين القادمين من الصحراء، يطلق عليهم تسمية «أبناء هاجر»، و«أبناء إسماعيل» التي تعني: الذين ولدوا من نسل إسماعيل وهاجر. يستخدم الكتاب السريان بحق الخلفاء والنبي محمد عبارة «الملوك» في إشارة إلى اعتبار حكمهم وسلطانهم إنما هو حكم وسلطة دنيوية؛ وأن النبي محمداً هو أول ملوك العرب... وإن كلمة «الإسلام» و«المسلمين» تكاد تكون ما عدا بعض الاستثناءات كلمات مجهولة بالنسبة للكتاب المسيحيين في العصور الوسطى. وإنهم يستخدمون للتعبير أو الإشارة إلى المسلمين مصطلحات المتدينين في الشرق التي تشتمل على خطابات إثنية كما يفعل المتدينون في الشرق، وذلك مثل مصطلحات: العرب، والأتراك، وسكان الصحراء، والموريون[١٠].

لقد كان هناك حتى وقت قريب مقاومة ومصارعة مستميتة ومستمرة بشأن تفادي استخدام مصطلح «المسلم» و«الإسلام». فقد كان يستخدم مصطلح «محمدي» للإشارة إلى العمالة المسلمة المقيمين في البلدان الأوروبية والذين هاجروا إليها من دول حوض البحر المتوسط المسلمة اعتباراً من ستينات القرن الماضي، ويستخدم مصطلح «المحمدية» للإشارة إلى دينهم. وهذا المصطلح يدل على أنه تم تصور الإسلام باعتباره ديناً أسسه محمد، وإلى جانب ذلك فإنه يشير إلى المسلمين باعتبارهم من أتباعه. والحال أن محمداً في اعتقاد المسلمين إنما هو رسول مرسل من الرب عز وجل، ومبلغ للإسلام. فهو لم يؤسس ديناً من تلقاء ذاته وحسب رأيه. وفي الواقع فإن هذه العبارات هي نمط تفكير المسيحيين أكثر من المسلمين. فهذا الفكر أو هذه المقاربة نتاج لوجهة النظر القائمة على المحورية. فلكون عيسى يُعد شخصية مركزية في المسيحية، فقد ساد الاعتقاد لديهم أن محمداً أيضاً شخصية مركزية في الإسلام. بينما نجد أن الذي يشكل المركز والمحور في الإسلام هو الذي كلف محمداً بالتبليغ عنه؛ وهو الرب، وما محمد إلا رسوله. وقد تم بيان ذلك بشكل جلي في شهادة الإسلام[١١].

وإذا ما تتبعنا سير التاريخ نجد أن التمييز بين المتمدن والمتوحش الذي كان سائداً لدى قدماء اليونان قد

(٩) Van Koningsveld, P. S. (1993), Sprekend Over de İslam en de Modern Tijd, Sh. 13-24, Prometheus & Teleac, Amsterdam.

(١٠) Aydın, Fuat (2011), Batı İslam Algısının Arkeolojisi, Sh. 19-20-24, EskiYeni Yayınları, Ankara.

(١١) شهادة الإسلام هي: «أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله».

تم تجديده وإعادة توصيفه على صورة تتمحور حول الشرق والغرب، وبدأ هذه المرة يصف الغرب ب «المتمدن»، والشرق بـ«المتوحش». وإن المنافسة التاريخية بين الإسلام والمسيحية لم تتوقف عند حد خلق علاقة صراعية وصدامية بين هذين العالمين، وإنما أعدت في الوقت ذاته تلك الأرضية لتنامي فكرة الاستقطاب. «لقد وحد أفلاطون وأرسطو وكذلك رجال العلم المسيحيين التبعية والارتباط بالأحادية الأخلاقية من خلال النشوة والمتعة واللذة العظيمة التي شعروا بها تجاه الفروقات والاختلافات اللامتناهية السائدة في عالم الطبيعة. فالرب كان قادراً على خلق عالم موحد بكل سهولة. وإن عدم فعله ذلك يشير إلى مدى الأهمية التي أولاها للاختلاف. وقد تساءل أوغسطينوس Augustine قائلاً: «لمَ لم يخلق الرب كل شيء متشابهاً؟»، ثم أجاب عن تساؤله بقوله: «لو كان كل شيء متشابهاً، لما كان هناك أي شيء»... فلكل نوع في الدنيا طبيعة فريدة، ومكانة متميزة ومختلفة في الكون، ودور يسهم في الكمال والانسجام والوئام في العالم من خلال الصعود بذاته إلى حالة كمال خاصة»[١٢]. وقد طور توما الأكويني هذه النظرية أكثر وذهب إلى أن الكمال مهيمن على الكون. وأن الكمال في الكون نابع من «التنوع المنظم للأشياء» التي يعكس كل واحد منها صورة الإله «حسب حجمه وموضعه».

فتعالوا نرى ماذا حل بهذين المفكرين المهمين في المسيحية، اللذين أنتجا وأبدعا فكراً بشأن التنوع والاختلاف في الكون. لقد أصبحا ممثلين للنقد والتهجم والتعصب المقيت والقاسي بحق الأديان والجماعات غير المسيحية. فأوغسطينوس الذي تصادف حياته بين العصور الأولى والوسطى (٣٥٤- ٤٣٠) صار أكبر رهبان وقساوسة الكنيسة، وبعد اعتناقه الدين المسيحي أوقف حياته كلها للكنيسة، وتوفي وهو يشغل منصب الأسقف في أفريقيا الشمالية. لقد عاش هذا المفكر قبل ولادة الإسلام، ورأى أن المسيحية وحدها الدين الحق، وأن الكنيسة الكاثوليكية هي الممثلة الوحيدة، والمخولة الوحيدة للحديث باسم هذا الدين، ولا يوجد طريق للخلاص والنجاة غير طريق الكنيسة. ولم يكتف هذا المفكر بمحاربة المانوية والدوناتية والبيلاجيانية والأريوسية التي اعتبرها الضلالات والانحرافات الأربعة الكبيرة، وإنما صور اليهود على أنهم قوة الشر أيضاً. «فالشريعة الموسوية والتاريخ اليهودي بأكمله لا يحمل بالنسبة لأوغسطينوس أهمية سوى من جهة كونه إعداداً وتحضيراً للمسيحية. وكان يعدّ أن شريعة موسى الواردة في العهد القديم، وشريعة الأنبياء الآخرين إنما هي شريعة قاصرة جداً، وإنها ليست سوى ظل للحقيقة الأصلية التي ستأتي متمثلة في عيسى. ولهذا كان يُعد المسيحيون أنهم ورثة موسى الحقيقيون، ويتم اتهام اليهود الذين يرفضون اختيار المسيحية بالارتداد والمروق من الدين. وكان أوغسطينوس يقول: إن النصوص العبرانية وشريعة موسى سوف تُنسخ بمجيء المسيح، وإن صلاحيتها محدودة بمدة معينة. واليهود الذين يستمرون في اتباع أوامر هذه النصوص وهذه الشريعة معاندون

(١٢) Parekh, Bhikhu (2002), Çokkültürlülüğü Yeniden Düşünmek, Kültürel Çeşitlilik ve Siyasi Teori, Sh. 30-31, Phoenix Yayınları, Ankara.

ودنيويون ووثنيون وقد عميت بصائرهم، وبلغوا من الفساد درجة لم يكتفوا فيها برد الخلاص الذي قدمه لهم عيسى فحسب، بل تحولوا إلى أداة للشيطان فعلقوه على الصليب»[١٣].

لقد ادعى أوغسطينوس في معرض ملاحقته لأتباع الحركة الدوناتية ومحاكمتهم لإضفاء الشرعية على فعلته هذه أنه: «إنما يفعل ذلك لمحبته الكنيسة. واستند في ادعائه هذا على قصة مذكورة في إنجيل لوقا. وتفيد هذه القصة أن رجلاً غنياً أعد ذات يوم مائدة عشاء عظيمة، ودعا الكثيرين من سكان المدينة إليها، ولما جهز العشاء أرسل خادمه ليدعو الناس. إلا أن كل واحد من أغنياء المدينة اختلق عذراً وامتنع عن تلبية الدعوة إلى هذا العشاء. ولما عاد العبد وأخبر سيده بالأمر، غضب صاحب البيت كثيراً، وقال لعبده: اخرج عاجلاً إلى شوارع المدينة وأزقتها، وادع إلى هنا المساكين والجُدع والعُرج والعُمي. ولما فعل العبد، وأخبر سيده أنه لا يزال هناك مكان، قال له سيده صاحب البيت: اخرج إلى الطرق والسياجات وألزمهم بالدخول حتى يمتلئ بيتي». (١٤: ٢٣). لقد اعتبرت هذه القصة رمزية، ومن ثم فُسر إدخال الناس عنوة إلى الداخل، على أنه دليل على هداية الناس بالإكراه. فصاحب البيت هنا هو الإله الرب، والعبد هو الرسول، والطعام هو الرسالة السماوية والهداية، والمدعوون هم المخاطبون بهذه الرسالة.

إن أوغسطينوس في كتابه «مدينة الرب» لم يدافع عن المسيحية فحسب، وإنما في الوقت ذاته وضع فلسفة تاريخية. وحسب هذه الفلسفة فإن تاريخ الإنسانية هو تاريخ صراع وحرب مريرة بين تيارين روحيين. فيوجد مدينتان؛ مدينة الرب، ومدينة الدنيا التي يعيش فيها الساقطون والمنحرفون وأهل الرذيلة من البشر. وإن الأفكار الثنائية الواردة في هذا الكتاب تسلط الضوء أيضاً على سبب انتمائه إلى الطائفة المانوية المشرقية مدة من الزمن. فحسب هذه العقيدة هناك صراع أزلي بين النور والظلام. والنور يمثل الرب وفكره الخير، والظلام يمثل الشيطان وفكره الشرير.

مع أن أوغسطينوس ثنائي في قضايا مثل الخير والشر، والرب والشيطان، إلا أنه صاحب رأي أحادي بشأن مسألة الدولة والدين. وقد كان لأفكاره وآرائه تأثير بارز في إعلان الملك قسطنطين العظيم الامتياز للكنيسة، وفي اعتماد الملك ثيودوسيوس الأول المسيحية ديناً للدولة عام ٣٨٠م. ومن ثم فإن فقدان عضوية الكنيسة والانتماء إليها كان يعني إهدار حقوق المواطنة. وأصبح الكافرون واليهود ضمن هذه الدولة الثيوقراطية مواطنين من الدرجة الثانية بصورة حتمية، وأما «المعلمون المزيفون» من المسيحيين، فكانوا يتعرضون لعقوبة الجلد. وكانت الأحادية الاجتماعية الناتجة عن اتحاد السياسة والدين تستبعد التسامح والتساهل في السياسة الدينية[١٤].

(١٣) Parekh, Bhikhu (2002), Çokkültürlülüğü Yeniden Düşünmek, Kültürel Çeşitlilik ve Siyasi Teori, Sh. 35, Phoenix Yayınları, Ankara.

(١٤) Hoogerwerf, Andries (2002), Wij en Zij, Intolerantie en verdraagzaamheid in 21 eeuwen, Damon, Sh. 56, Budel.

لقد سار توما الأكويني Tommaso d'Aquino، الذي يُعد من أبرز المفكرين المسيحيين وأكثرهم تأثيراً في العصور الوسطى (١٢٢٥- ١٢٧٤)، سار على درب أوغسطينوس، فتابع الدفاع عن النظرية أو الفكرة القائلة: «إن المسيحية هي الدين الحقيقي الوحيد، والكنيسة المؤسسة هي الوحيدة صاحبة السلطة والصلاحية، وطريق الكنيسة هو طريق الخلاص الوحيد»، ولم يتخذ موقفاً وسلوكاً مختلفاً في مواجهة اليهود. ولا شك أن توما يُعد واحداً من الأوائل الذين أعلنوا أفكاراً وآراء مؤثرة بشأن الإسلام أيضاً. ويُعد كتابه « Suma Contra Gentiles» مخطوطة علمية دينية لعبت دوراً استرشادياً بارزاً في النقاشات والجدالات التي خاضها المبشرون في إسبانيا مع غير المسيحيين. لقد كان توما يعتمد في دراسته على المبادئ والفرضيات الفلسفية التي ادعى حياديتها، لأنها كتبت لإقناع غير المسيحيين بالقبول بهذا الدين واعتناقه، ولم يستعن في هذه المسألة بالحجج والبراهين المأخوذة من الإنجيل. ولا ريب أن المعايير والفرضيات لم تكن حيادية أبداً، حيث كان هناك إقرار مسبق وبنسبة كبيرة بصحة العقيدة المسيحية. وبصرف النظر عن عدم دخول توما في حوار مع الإسلام فإنه لم يكن يهتم كثيراً حتى بفهم الإسلام. فهدفه الأساس كان ينصب على إظهار الإسلام على أنه دين مزيف ولا أخلاقي»[١٥].

لقد استمرت الكنيسة ورجال الدين الكاثوليك طوال العصور الوسطى في صراعاتهم ونزاعاتهم مع الإسلام، سواء على الصعيد العملي والفعلي متمثلاً في الغزوات والحملات الصليبية، أم على الصعيد النظري متمثلاً في الهجمات الأيديولوجية. ولكن الحملات الصليبية أتاحت فرصة التعرف على المسلمين عن قرب أيضاً. "إن رغبة الأوروبيين في دراسة الإسلام كدين بشكل علمي، وازدياد هذه الرغبة وظهورها إلى العلن مع مرور الزمن تعود إلى فترة الحملات الصليبية. ولا شك أنهم كانوا يعرفون أموراً عن الإسلام من قبل، وذلك من المصادر البيزنطية من جهة، ونتيجة للعلاقات التي كانت قائمة بين المسلمين والمسيحيين في إسبانيا من جهة أخرى. إلا أن هذه المعلومات كانت مليئة بالأخطاء والمغالطات إلى درجة كبيرة. فقد كانوا يعدّون المسلمين وثنيين يعكفون على عبادة محمد. أو ينسبون السحر إلى النبي. وحتى كانوا يقولون عنه إنه: «الشيطان»، كما يُفهم من الكملة الإنكليزية «Mahound ماهوند» التي استحدثت بتحريف اسم محمد. وكان يسود لديهم اعتقاد بأن الدين الإسلامي يبيح الفاحشة ويسمح بالعلاقات الجنسية غير المشروعة"[١٦]. ولكن بسبب العلاقات الصراعية التي كانت سائدة في العصور الوسطى، والتوترات والاضطرابات التي خلقتها لم يتناول رجال العلم المسيحيين الإسلام بالاعتماد على مصادره، ولم يكشفوا عن حقيقته الأصلية أبداً.

(١٥) Parekh, Bhikhu (2002), Çokkültürllüğü Yeniden Düşünmek, Kültürel Çeşitlilik ve Siyasi Teori, Sh. 35, Phoenix Yayınları, Ankara.

(١٦) Watt, Montgomary (1989), İslam Avrupa'da, Sh. 28-29, Marmara Üniversitesi İlahiyat Fakültesi Vakfı Yayınları, İstanbul.

لقد تم في هذه الفترة تطوير الآراء والأفكار الدائرة حول الإسلام، تلك التي ظلت مؤثرة على مدى العصور الوسطى، وحتى كان لها من بعض الجوانب تأثير مهم في وقتنا الحاضر أيضاً. وحسب ما بينه «واط» فإن تصور مسيحية العصور الوسطى للإسلام تحدد بهذه الادعاءات الأربعة(١٧):

١) دين الإسلام باطل ومخالف للحقيقة.
٢) الإسلام دين العنف والسيف.
٣) الإسلام يحث على اتباع شهوات النفس.
٤) محمد ضد عيسى.

إن النقطة الأولى متوافقة مع الرأي الذي أنتجته المسيحية بحق نفسها. فحسب النظرية أو المبدأ الذي تبنوه المتمثل، كما بّينا في الأعلى، في أن المسيحية هي الدين الحق الوحيد، والكنيسة هي صاحبة السلطة والصلاحية الوحيدة، وطريق الكنيسة هو طريق الخلاص الوحيد، فلابد حتماً أن تكون الأديان والمؤسسات الدينية الأخرى كافة، بما في ذلك الإسلام، أدياناً باطلة ومخالفة للحقيقة. وأما النقطة الثانية فهي إجابة عن التساؤل حول سبب سرعة انتشار الإسلام من جهة، ومن جهة أخرى هي حجة أو ذريعة مقدمة لإضفاء الشرعية على الحملات والغزوات الصليبية. هذا في حين كون هذه النقطة، كما قال كثير من علماء الاجتماع، ليست سوى محاولة من المسيحية لإلصاق أفعالها بالإسلام (أو بالآخر).

لذا فإن هذا الادعاء يمثل تقديم رأي أو فكرة عن الكنيسة المسيحية الكاثوليكية أكثر من كونه قول شيء ما عن الإسلام.

وأما النقطة الثالثة فهي كالنقطة الثانية؛ حيث إنها قريبة الصلة بوجهات نظر العقيدة المسيحية وأفكارها في شأن الجنس والزواج. فالمعطى الوحيد الذي قدمه المسيحيون في هذه المسألة هو إقرار الإسلام تعدد الزوجات (الزواج بأربعة نساء)، وزواج النبي محمد بأكثر من امرأة. إن مسألة تعدد الزوجات في الإسلام خضعت للجدل والنقاش كثيراً: فالإسلام ليس بالدين الذي جاء بتعدد الزوجات وابتدعه؛ وإن الشيء الوحيد الذي فعله هو أنه حدد تعدد الزوجات وحصره بأربع، وأمر بالعدالة بين الزوجات في حال التعدد. فالمبدأ أو القاعدة الأساسية التي اعتمدها الإسلام في الزواج، كما يتبين في سورة النساء، هو الزواج من امرأة واحدة. وأما تعدد الزوجات فهو من قبيل اهتمام المسلمين بالفتيات اليتامى اللاتي تعرضن لليتم بسبب الحروب أو أحوال مشابهة، والزواج بهن يكون حين تقتضي رعايتهن ذلك. حيث كان الزواج يُعد ضمانة في الفترات التي لا تتوفر فيها الضمانة الاجتماعية ودولة ترعى شؤون الرعايا. ومن جانب آخر فإن زواج النبي محمد بأكثر من

(١٧) Watt, Montgomary (1989), İslam Avrupa'da, Sh. 28-29, Marmara Üniversitesi İlahiyat Fakültesi Vakfı Yayınları, İstanbul.

امرأة لم يكن بسبب اتباع النفس وشهواتها، وإنما كان ناتجاً عن أسباب اجتماعية واقتصادية. وإن فهم هذه المسائل والقضايا يبدو مستحيلاً طالما لم يبتعد الذين يريدون فهم الأحداث التاريخية من زاوية اليوم عن المقاربات والأساليب المريضة التي عفا عليها الزمن. إلا أن الأمر الأهم هنا هو التضارب والتناقض في المقاربة المسيحية بشأن الجنس في هذه الفترة. فهذه مسيحية العصور الوسطى ترى الجنس معصية اضطرارية لابد منها، وهدف الزواج هو إنجاب الأطفال والحفاظ على النسل فقط. وأما الطلاق فأمر محرم ومحظور. ويعد عدم زواج رجال الدين فضيلة عظيمة، ويجب عليهم الامتناع عن الزواج. ولا شك أن ذهنية تمتلك مثل هذه المقاربة القاسية والسلبية والمتزمتة في مسألة الجنس يستحيل عليها فهم الموقف الإسلامي الإيجابي والمتسامح في هذه المسألة. وهنا تكشف مقاربة التمحور حول الذات (المركزية) عن نفسها أيضاً.

أما النقطة الأخيرة فتحمل أهمية أكبر من حيث دورها في خلق معاداة الإسلام. فالقصد هنا من «ضد أو عدو عيسى» هو رسمه وتصويره بصورة «الدجال». وهذا أمضى وأخطر الأسلحة في المجتمعات الدينية خلال العصور الوسطى، وينبغي النظر إلى الادعاءات والاتهامات الأخرى على أنها نتائج لهذا الادعاء. وإن إلصاق لافتة «الدجال» بالإسلام والنبي محمد هو وضع لهما في موضع القطب والعدو أمام الغرب المسيحي. وإن خلق القطبية الشرقية والغربية بهذا الشكل هو تجسيد مكاني للصراع بين الخير والشر. ومن ثم فإنه قلب للحقيقة التي بينها القرآن رأساً على عقب، هذه الحقيقة المتمثلة بالآية: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾﴾ [البقرة]. وبناء على ذلك فإن التاريخ اللاحق لظهور المسيحية هو تاريخ لتحويل مضمون مصطلحي: الغرب والشرق، اللذين كانا من قبل إيجابيين، أو على الأقل محايدين، إلى مضمون سلبي، وخلق عداء أو تضاد مختلق وصوري بين الشرق والغرب.

لقد ثبت في دراسة مقارنة أن لدى المسيحية الشرقية والغربية الكثير من العناصر المشتركة في تصور الإسلام[١٨]. وهذا يشير إلى اعتماد المسيحية الغربية على المصادر الشرقية. لأن المسيحيين المشرقيين اعتبروا الإسلام الذي كانوا على تماس قريب معه أنه منافس لهم، وقد أصابتهم حالة من الحيرة والذهول أمام الانتشار السريع للإسلام. ويبدو أن هناك تصوراً مشتركاً في النقاط الآتية بشكل خاص:

١) محمد ضد للمسيح (أي دجال).
٢) الإسلام دين وثني.
٣) محمد ليس بنبيٍّ؛ لأنه لم يأت بمعجزات.
٤) الإسلام دين انتشر بقوة السيف.
٥) القرآن ليس كتاباً سماوياً، بل كتاب خطه محمد بمساعدة غيره.

(١٨) Aydın, Fuat (2011), Batı İslam Algısının Arkeolojisi, Sh. 41-54, EskiYeni Yayınları, Ankara.

٦) محمد مهووس بالشهوة، والإسلام صاحب مفهوم الجنة الذي يطغى عليه الجنس.

لقد تجسد تأثير هذه الأحكام الجاهزة والمقولبة بين المسيحين في شكل كراهية المسلمين ومعاداة الإسلام، ومن جهة أخرى فتح الطريق أمام تطور أدبيات دفاعية مفرطة لدى المسلمين. ونقدم مثالاً بشأن النقطة الثالثة[١٩]: لقد بين القرآن أنه رغم أن الأنبياء السابقين جاؤوا لقومهم بالكثير من المعجزات إلا أنها لم تنفع معهم ولم تحقق فائدة تذكر، حيث إنهم اتهموا هؤلاء الأنبياء بالسحر والشعوذة. ورغم ذلك فإن المسلمين توجهوا في مسألة قلة أو عدم وجود معجزات للنبي محمد إلى نسب المعجزات إليه لدرجة وضعه بموضع التسابق أو التنافس مع الأنبياء الآخرين. ومن الأمثلة النموذجية لذلك هو كتاب «كفاية الطالب اللبيب في خصائص الحبيب»[٢٠] للسيوطي (١٤٤٥- ١٥٠٥). فالكاتب في مؤلفه هذا يذهب في المبالغة مذهباً بعيداً، حيث يحاول أن يثبت أن في كل عضو من أعضاء النبي محمد معجزة.

لم تكن العلاقة بين المسيحيين والمسلمين في العصور الوسطى علاقة حرب فحسب، وإنما بدأت مع الحملات الصليبية علاقات متبادلة على الصعيد التجاري والثقافي أيضاً. وبذلك فقد دخل العالم الكاثوليكي اللاتيني في علاقة وطيدة مع العالم الإسلامي وثقافته. وقد بدأ العلماء الأوروبيون بالتوجه إلى المناطق الجغرافية التي انتزعت من المسلمين، وتعلم العلوم الإسلامية عن المسيحيين واليهود الذين يعرفون اللغة العربية. وكان هذا التبادل يأتي من ناحية ما بمعنى اكتشاف التراث اليوناني القديم. وإن أغلب النصوص المترجمة من اللغة العربية كانت علوماً ذات أهمية وقيمة كبيرتين من حيث التطبيق العملي، وذلك مثل: الطب والرياضيات والفلك والفلسفة. وقد مهد هذا التفاعل الثقافي الطريق أمام «عصر النهضة» في أوروبا الذي انطلق خلال القرن الثاني عشر.

ابتداءً من أواسط القرن الخامس عشر شرعت تظهر في الكتب والبيانات والمخطوطات أخبار وقصص حول الأتراك. وقد كان يُطلق على الأدب المكتوب حول العثمانيين والأتراك تسمية «تورسيكا Turcica»، وكانت الأعمال تُنشر في الدول التي لها علاقات أكبر مع الأتراك، مثل: النمسا وألمانيا وإيطاليا وفرنسا. وكان كلما تقدمت قوة العثمانيين السياسية والعسكرية في أوروبا، كانت الأخبار والمعلومات السلبية تتسع وتنتشر بشكل أكبر. حتى أصبحت كلمة «التركي»، وخاصة بعد فتح إسطنبول، تستدعي في الأذهان الخوف والكراهية. وبالإضافة إلى ذلك فقد وصل مصطلح «التركي» و«الإسلام» إلى درجة من الاقتران والتماثل في أوروبا، وكان يُستخدم كل منهما كمرادف أو بديل للآخر. وكان العالم المسيحي الأوروبي يهدف من خلال نشر

(١٩) ورد في النص: بشأن النقطة الثانية، وربما هو سهو.

(٢٠) İz yayıncılık-Gerçek Hayat, İstanbul 2003.

صورة سلبية حول الأتراك إلى تحريك الشعب وإثارته من جهة، وإلى توحيد جميع المسيحيين تحت سلطة الكنيسة الرومانية من جهة أخرى[٢١].

لقد كان يتم إظهار الأتراك في الكتب والبيانات التي تصدرها الكنيسة على أنهم العدو اللدود والرئيس للمسيحيين، ويتم وصف السلاطين العثمانيين وتصويرهم بصورة عدو عيسى، يعني: الدجال. وقد كانت همجية الأتراك الموضوع أو الخط المحوري والرئيس في كل هذه الكتابات والمنشورات. فقد كان الأتراك أناساً متوحشين يقتلون المسيحيين الأبرياء بوحشية بالغة، ويعيثون فساداً في البلدان، وينشرون الخراب والدمار حيثما حلوا، ويسرقون وينهبون كل ما يقع تحت أيديهم من أشياء وأموال قيمة. ولا شك أن هذا النمط من الأخبار المعتمد على البروباغندا كان بعيداً عن الواقع والحقيقة تماماً. وفي الحقيقة كانت حرباً وظروف حرب مريرة وقاسية. حيث إن المسيحيين كانوا بدورهم يتصرفون بلا رحمة ولا شفقة في هذه الظروف.

إن صورة الإسلام في الغرب خلال عصر التنوير والإصلاح الذي حدث في القرنين السادس والسابع عشر نقلت بعض العوامل والمقومات الكلاسيكية المهمة إلى مرحلة جديدة، وجلبت معها جملة من التغيرات أيضاً. فصورة العدو استمرت بازدياد في إسبانيا. حيث كان المسلمون واليهود يتعرضون هناك إلى الملاحقة والاضطهاد والتعذيب على يد محاكم التفتيش بسبب معتقداتهم. وبالنتيجة تم طرد المسلمين وترحيلهم إلى أفريقيا الشمالية عام ١٦٠٩. لقد كانت المعلومات حول الأتراك تعتمد على الأحكام المسبقة المسيحية التقليدية. وما استخدام كلمة «التركي» في أوروبا على سبيل الإهانة والإساءة إلى شخص ما حتى في وقتنا الحالي إلا نتيجة لهذه الفترة التي نتحدث عنها.

وإن صورة الإسلام لدى المثقفين والمتنورين في عهد التنوير والإصلاحات التي تركت بصمتها في القرن السابع عشر لم تكن واضحة كثيراً. فاللاهوتي والحقوقي الهولندي هيغو دي غروت Hugo de Groot الذي يُعد أحد الكتاب البارزين والمؤثرين في هذا العصر، كان في كتابه الذي ألفه خلال سنوات سجنه، يدافع عن وحدة المسيحيين ويدعوهم إلى الاتحاد من جهة، ومن جهة أخرى يوجه انتقادات لاذعة وقاسية إلى الكفار واليهود والمسلمين. وباعتبار أن المصادر التي اعتمد عليها بشأن الإسلام كانت مصادر العصور الوسطى القديمة، فمن الطبيعي أن يكون قد حافظ على عناصر الصورة القديمة. وهناك عالم آخر من أصل هولندي، وهو البروفيسور أدريان ريلند Adriaan Reland، كان هذا العالم كالفينياً، ويرى ضرورة دراسة الإسلام دراسة علمية. وكان في كتابه «حول دين محمد» يوجه انتقادات إلى الأحكام المسبقة والصور النمطية لدى الغرب، ويرسم صورة الإسلام بالاعتماد على المصادر والمراجع العربية. حيث إنه كان يعرف اللغات الشرقية

(٢١) Canatan, Kadir (1995), Avrupa'da Müslüman Azınlıklar, Sh. 309-310, İnsan Yayınları, İstanbul.

من جهة، ومن جهة أخرى يأخذ بعين الاعتبار كعالم لاهوتي الهياكل أو البنى الخاصة بالأديان. ويرى أن اعتداءات أو هجمات الأديان على بعضها كانت نابعة من الدوافع العاطفية أكثر من الدوافع العقلية. وأنه عندما كان أحد أتباع دين ما يرسم صوراً سلبية عن دين أو أديان أخرى، فهو في الواقع كان يعكس جانبه المظلم على ذاك الدين[٢٢].

بشكل عام لم يكن لدى المفكرين المتنورين آراء وأفكار جيدة حول الأديان كافة. إلا أن انتقادهم للإسلام كان يحمل معنى مغايراً ومختلفاً. فهم كانوا خلال انتقاداتهم للإسلام يرون من جهة أن الإسلام يحتل المرتبة الأولى بين الأديان التي تستحق النقد، ومن جهة أخرى كانوا يحاكمون المسيحية في شخص الإسلام. حيث إن التهجم على المسيحية بصورة مباشرة كان يُعد مجازفة خطيرة. وحسب المفهوم السائد في هذه الفترة كانت الأديان تعدّ تعصباً ورجعية ومعيقة لعجلة التقدم. ويُعد العمل الذي قدمه فولتير Voltaire خير مثال على ذلك. حيث إن المفكر الفرنسي فولتير Voltaire كان في عمله المسرحي «محمد أو التعصب» يقوم بتحليل نفسي لظاهرة التعصب الديني. فهو عندما اختاره إنما أراد من خلاله وبشكل مبطن الإشارة إلى خصائص الأديان بصورة عامة، والأسباب التي تفتح الطريق أمام ظهور التعصب والتزمت. وقد كان يعتمد في عمله على مصادر من العصور الوسطى. وكانت انتقاداته للأديان في عمله من الشدة والقسوة إلى درجة لم تستطع الكنيسة تحملها، فتدخلت ومنعت عرض المسرحية.

ونجد في الفترة الاستعمارية أنه تم إعادة إحياء صورة الإسلام التي كانت سائدة في العصور الوسطى من جديد. ويتحدث عن أسباب وموجبات هذه الظاهرة رودولف بيترس Rudolph Peters عضو الهيئة التدريسية في معهد الدراسات العربية والإسلامية بجامعة أمستردام، فيقول: «إن صورة الإسلام والمسلمين التي نمت وتطورت في العصور الوسطى اكتسبت طاقة وحيوية جديدة في فترة الاستعمار الأوروبي. وقد أُريد من توصيف المسلمين ونعتهم بالرجعية والتعصب والعنف، والادعاء بنشر الحضارة والمدنية، إضفاء الشرعية على عمليات التوسع الاستعماري والاحتلالي. وكان هذا الأمر يشكل في الوقت ذاته ذريعة لاستخدام المستعمرين والمحتلين القوة مع الشعوب والسكان المحليين»[٢٣]. وفي الحقيقة عندما نلقي نظرة خاطفة على العلاقات التاريخية السائدة بين العالم الإسلامي والعالم المسيحي فإننا نشاهد أن صورة الإسلام السلبية تقوم بمهمة التغطية الشرعية على الهجمات والاعتداءات والأعمال الوحشية التي ارتكبها الغرب في العالم الإسلامي. فالتفاعل والتأثير بين العدوان والصورة كان متبادلاً دائماً. ففي أوقات الحرب والتوسع كانت الصورة تكتسي بالسلبية، وتعود من جديد لإضفاء الشرعية على العدوان.

(٢٢) Canatan, Kadir (1995), Avrupa'da Müslüman Azınlıklar, Sh. 314, İnsan Yayınları, İstanbul.

(٢٣) Peters, R. (1989), İslam ve Sömürgecilik, Modern Zamanlarda Cihat Öğretisi, Sh. 31, Nehir Yayınları, İstanbul.

لم يستطع الاستشراق الغربي التخلص من هويته المشبوهة أبداً. فالصيغة أو التحليل الأساسي للاستشراق يشير إلى تناقض أو تضاد غير قابل للالتئام والتوافق بين الشرق والغرب. وحسب هذا التحليل أو الصيغة فإن العالم الغربي عالم ديناميكي وتجديدي ومنفتح ومتسامح ومبادر؛ وأما العالم الإسلامي فهو عالم منغلق على التراث والتقاليد القديمة، وهامد ومتعصب وسلبي ومعارض للتجديد والتطور. ويقول عالم أمريكي عن صورة الإسلام التي أنتجها الاستشراق: «إنه عدو قوي، وبنية دخيلة ومنحرفة وضالة أنتجها الشرق الأدنى، وكتلة شبه ثابتة ومنغلقة على ذاتها، وحضارة فاشلة في إعادة التجديد والبناء، ورد فعل متعصب وحتى انتحاري ضد العصر الحديث»[٢٤].

بسبب المقاربات التي تمحورت حول الشرق الأوسط في الفترة اللاحقة للفترة الاستعمارية حلت صورة «الإرهابي العربي» بلباسه العسكري، وبارودته الروسية التي يحملها على ظهره، والمستعد لذبح وقتل نساء اليهود والمسيحيين وأطفالهم الأبرياء دون أن يرف له جفن، حلت تلك الصورة محل صورة «التركي المرعب» التي بقيت معروفة خلال العصور الوسطى في الأدبيات الغربية لمدة طويلة بلباسه الطويل، وبلطته الحادة واللامعة التي يلوح بها في يده، والمستعد لذبح وضرب رقبة كل كافر رافض الدخول في دين محمد[٢٥].

إن الاستشراق كما يذكره إدوارد سعيد في كتابه "الاستشراق" ليس استيهاماً أو تصوراً خيالياً أوروبياً بسيطاً بشأن الشرق. وإنما الاستشراق خطاب يفسر ويعبر عن علاقة السلطة والسيطرة بين الشرق والغرب. وهذا الخطاب نمط من أنماط التفكير القائم على التمييز والفصل الوجودي والمعرفي بين الشرق والغرب (١٩٩٩: ١٢). وإن كان الإنسان الغربي العادي اليوم يساوي في نظرته التشاؤمية بين «الأصولي الإسلامي»، وبين ما كان يُعرف بالهمجي في العهد اليوناني، وبالهمجي والوثني والكافر في العصور الوسطى، وبالوحشي والمحلي في عهد الاستعمار، وبالمتخلف بعد عصر التنوير، وبالشيوعي والشيطان خلال فترة الحرب الباردة، ويعده عدواً وتهديداً له مثلهم[٢٦] فإن ذلك يعود إلى ردود الفعل التقليدية التي شكلها لديه إرثه التاريخي.

النتيجة:

إن الصور والمفاهيم والتصورات، والأحكام المسبقة التي يمتلكها مجتمع ما عن «الآخر» ظاهرة يُعاد إنتاجها خلال المرحلة التاريخية، وتنتقل من جيل إلى جيل. وبناء على ذلك فإن صورة الإسلام التي نصادفها

(٢٤) Pruett, Gordon E. (1989), "İslâm ve Oryantalizm", Oryantalistler ve İslâmiyatçılar, Oryantalist İdeolojinin Eleştirisi, Sh. 61-62, İstanbul.

(٢٥) Peters, R. (1989), İslam ve Sömürgecilik, Modern Zamanlarda Cihat Öğretisi, Sh. 30, Nehir Yayınları, İstanbul.

(٢٦) Bulaç, Ali (1997), İslam ve Fundamentalizm, Sh. 49, İz Yayıncılık, İstanbul.

اليوم في العالم الغربي تعكس بدرجة كبيرة تراكماً تاريخياً أعيد إنتاجه ضمن ظروف جديدة. وأجلى دليل وأهم شاهد على ذلك هو الاستمرارية والديمومة البادية في العناصر التي تشكل هذه الصورة. فالإسلام يوصف غالباً في نظر الغرب باعتباره ظاهرة ضالة منحرفة ومزيفة وعدوانية وميالة للعنف، وتشكل تهديداً محدقاً. ويتم في غالب الأحيان تصوير خصائص المسلمين وتصرفاتهم وسلوكياتهم على أنها بنية أو كتلة ثابتة وجامدة وجوهرية وغير قابلة للتغيير. وأصبحت هذه المقاربة الانفرادية تصر على ربط كل شيء بالإسلام وتفسيره من خلاله. وحسب هذا النهج فإن التخلف الذي تعاني منه الدول الإسلامية، واضطهاد المرأة وتصنيفها درجة ثانية في المجتمع، وأعمال العنف التي ترتكبها الجماعات المختلفة.. وباختصار: كل شيء سلبي هو ناشئ عن الإسلام. وما دور العوامل الاقتصادية والسياسية والديموغرافية إلا دور ثانوي في بروز هذه المشكلات. فالإسلام قوة عظيمة لدرجة تمكنه من ترك بصمته على كل شيء!

وقد أسهم هذا التصور وهذا الفهم بفتح الطريق أمام ظهور عبارة أو شعار يتم ترديده لدى المجموعات العنصرية والإسلاموفوباوية، والمتمثل بقولهم: «نحن نحب المسلمين، ولكن نكره الإسلام». فالمسلمون في الحقيقة أناس أبرياء وجيدون مثلهم مثل الغربيين وباقي الشعوب، إلا أن الإسلام قد غيّرهم، وحولهم إلى كائنات بغيضة وبشعة. وبناء على ذلك فيجب تخليص المسلمين وإنقاذهم من براثن الإسلام أيضاً. لأن الدجال الحقيقي ليس الأشخاص المسلمين، وإنما الدجال هو دينهم، ومحمد الذي أنشأ دينهم!

والحال أن الغربيين لو التفتوا إلى تاريخهم وتأملوا فيه قليلاً، ودرسوا هذا التاريخ دراسة نقدية جريئة من ناحية صورة الإسلام كما يفعلون في القضايا الأخرى لاستطاعوا إحداث تغييرات كبيرة في قناعاتهم وأفكارهم المتعلقة بالإسلام والمسلمين. لأن صورة الإسلام ليست ناتجة فقط عن التطورات والأحداث السلبية التي يشهدها العالم الإسلامي كما يُعتقد، وإنما ناتجة بنسبة كبيرة عن منظورهم الانتقائي والتمييزي الذي يعمل بدقة وعناية شديدة على انتقاء هذه التطورات السلبية وفرزها عن التطورات والجوانب الإيجابية. وإن الصيغة التحليلية التي تحدد منظورهم ومنهجهم هي المقاربة الثنائية والقطبية المعتمدة على التمييز بين «نحن» و«هم أو الآخر». وبسبب هذه المقاربة يتم تصوير الشرق على أنه عالم الظلمات، والغرب على أنه عالم النور؛ والإسلام دين العنف والكراهية، والمسيحية دين المحبة والرحمة؛ والعالم الغربي متقدم، والعالم الشرقي متخلف. والحال أن العالم ذو بنية معقدة بحيث لا يمكن اختزاله بصورة الأبيض والأسود البسيطة. وكما قال بيرجسون Bergson «الحياة تتجاوز الذكاء في كثير من الأحيان».

المراجع:

- Aydın, Fuat (2011), Batı İslam Algısının Arkeolojisi, EskiYeni Yayınları, Ankara.

- Bulaç, Ali (1997), İslam ve Fundamentalizm, İz Yayıncılık, İstanbul.
- Canatan, Kadir (1995), Avrupa'da Müslüman Azınlıklar, İnsan Yayınları, İstanbul.
- Canatan, Kadir (2005), Avrupa'da İslam (Edisyon), Beyan Yayınları, İstanbul.
- Canatan, K. ve Hıdır, Ö. (2007), Batı Dünyasında İslamofobi ve Anti-İslamizm (Edisyon), EskiYeni Yayınları, Ankara.
- Derveze, İ. (1989), Kur'an'a Göre Hz. Muhammed'in Hayatı, C. I, Sh. 355, Yöneliş Yayınları, İstanbul.
- Huntington, Samuel P. (1993) "The Clash of Civilizations?", Foreign Affairs, Vol. 72, No. 3, pp. 22-49
- Hoogerwerf, Andries (2002), Wij en Zij, Intolerantie en verdraagzaamheid in 21 eeuwen, Damon, Budel.
- Kitabı Mukaddes (1997), Eski ve Yeni Ahit, Kitabı Mukaddes Şirketi, İstanbul.
- Kur'an Meali (2013), Diyanet İşleri Başkanlığı, http://kuran.diyanet.gov.tr/Kuran.aspx#1:1 (08.03.2013)
- Laffin, John (1979), The Dagger of Islam, Sphere Books Ltd, Aylesbury, Bucks.
- Memmi, A. (1983), Racisme hoezo? : ontmaskering van een onderdrukkingsmechanisme, Masusa, Nijmegen.
- Parekh, Bhikhu (2002), Çokkültürlüğü Yeniden Düşünmek, Kültürel Çeşitlilik ve Siyasi Teori, Phoenix Yayınları, Ankara.
- Peters, R. (1989), İslam ve Sömürgecilik, Modern Zamanlarda Cihat Öğretisi, Nehir Yayınları, İstanbul.
- Pruett, Gordon E. (1989), "İslâm ve Oryantalizm", Oryantalistler ve İslâmiyatçılar, Oryantalist İdeolojinin Eleştirisi, İstanbul.
- Said, Edward (1999), Şarkiyatçılık, Batı'nın Şark Anlayışları, Metis Yayınları, İstanbul.
- Suyuti, Olağanüstü Yönleriyle Peygamberimiz (el-Hasaisu'l-kübra), 1-2-3 Cilt, Çev: Naim Erdoğan, İzyayıncılık, Gerçek Hayat, İstanbul 2003.
- Van Bommel, A. (2005), "Müslüman Doğu" ile "Hristiyan Batı"nın Birbirleri Hakkındaki İmajları, Sh. 256-272, In: Canatan, Kadir (2005), Avrupa'da İslam, Beyan Yayınları, İstanbul.
- Van Koningsveld, P. S. (1993), Sprekend Over de İslam en de Modern Tijd, Prometheus&Teleac, Amsterdam.
- Watt, Montgomary (1989), İslam Avrupa'da, Marmara Üniversitesi İlahiyat Fakültesi Vakfı Yayınları, İstanbul.

الانتفاضة في أوربا: الإسلاموفوبيا ومستقبل الإسلام في الغرب*

أ.د. شعبان علي دوزكون

جامعة أنقرة – كلية الإلهيات؛ قسم علم الكلام: duzgun@ankara.edu.tr

الخلاصة:

نرى أن الإسلاموفوبيا تكتسب أرضية في عالمنا المعاصر؛ فالدين الإسلامي بات يجلب للأذهان ارتباطاً بالعدائية والإرهاب في كثير من المجالات. نحن على علم أن جذور هذه العقلية ليست بالجديدة، بل تعود إلى أصول تاريخية قديمة. إلى جانب هذا ما حدث في الحادي عشر من أيلول والأحداث المؤلمة المشابهة لها أضافت إلى الإسلاموفوبيا أبعاداً جديدة.

تبيّن في ردة الفعل الأولى للغرب أنهم لا يرون أن المسلمين فقط مصدر كل هذا العنف، بل إن القرآن أيضاً كما في نظرهم هو من أسباب ذلك. وإذا اقتنعنا بعدم صحة هذا المنهج، أي أن المشكلة ليست في الإسلام، وقمنا بدراسة قضايا المسلمين الثقافية والدينية والظروف الاجتماعية- السياسية وتحليل نتائج هذه الدراسة سنحصل على نتائج صحيحة ومنطقية أكثر. أو بعبارة أخرى يجب إسناد القضية إلى منحى إنساني بدلاً من إعطائها منحى لاهوتياً. ومن المؤكد أن المسلمين يرغبون بحياة خالية من المشكلات، لكن انتهاك الحقوق والإساءة للدين وللقيم المقدسة يجعلهم يتكبدون معضلة دفاعهم عن أنفسهم وتسامحهم مع الآخرين. ويجب القول إنه بسبب الغضب الذي تراكم ضد المسلمين أصبح موضوع الإسلاموفوبيا قضية من قضايا حقوق الإنسان.

إن أول شكل من أشكال الانتهاك هو نسب كل شرٍّ أو إساءة تقع إلى المسلمين وربطها بهم. لكننا نعلم أن هذا الرهاب صحيح إلى حد ما. وهذا بدوره يرشدنا إلى فعل أمرين:

أولاً: تجفيف مصادر هذا الرهاب. وثانياً: تطوير استراتيجية ضد هؤلاء الذين يطورون استراتيجيات لإدانة الإسلام والمسلمين.

يجب جعل ما يلي جزءاً من هذه الاستراتيجية:

التعددية والتسامح مع الآخرين، وجعل العلاقات قائمة على الحقوق والحريات الأساسية، واحترام استقلالية الإنسان أو بمعنى آخر لنصل إلى القواعد العامة والأساسية للكون وبموجب المسلمات الحقوقية يجب معاملة الإنسان بشكل يصون كرامته دون النظر إلى أصله العرقي وثقافته وموطنه، فيجب احترامه كونه إنساناً فقط، ودعوة الجميع لحياة صادقة مستقيمة، وعدم انتهاك حقوق الآخرين، وإعطاء كل ذي حق حقه دون نقص.

عندما تطبق هذه المفاهيم الأصيلة للعلاقات الإنسانية في الشرق والغرب، سيكون هذا بداية جيدة للقضاء على مشكلة الإسلاموفوبيا.

الكلمات المفتاحية: إسلاموفوبيا، جمهورية، الحقوق الأساسية، المسؤولية

* وهذه هي الترجمة العربية للدراسة بعنوان "Avrupa'da İntifada: İslamofobi ve Batı'da İslam'ın Geleceği Üzerine" التي نشرت في العدد السّادس من مجلة الإلهيات الأكاديمية. (شعبان علي دوزكون، الانتفاضة في أوربا: الإسلاموفوبيا ومستقبل الإسلام في الغرب، الإلهيات الأكاديمية، ٢٠١٧، العدد: ٦، ص ١٠٥-١١٢). من الواجب أن يستند في الإقتباس إلى المقالة التركية.

Avrupa'da İntifada: İslamofobi ve Batı'da İslam'ın Geleceği Üzerine

Özet

Çağdaş dünyada İslamofobinin gittikçe zemin kazandığı görülmekte, İslam her türlü mecrada medeniyete düşman ve terörle bağlantılı bir din olarak anılmaktadır. Bu tutumun yeni olmadığını tarihsel köklere sahip olduğunu biliyoruz. Bununla birlikte günümüzde yaşanan 11 Eylül benzeri bazı feci olaylar İslamofobiye yeni boyutlar kazandırmıştır. Bu olayların tetiklediği ilk refleks, bütün bu şiddetin kaynağı olarak Müslümanları değil, Kur'an'ı görmek şeklinde kendini ortaya koymuştur. Bu yaklaşımın yanlışlığından hareket ederek, meselenin İslam değil Müslümanların içinde bulunduğu kültürel, dinsel ve sosyo-politik şartların analiz edilmesiyle elde edilecek verilerin daha sağlıklı değerlendirmelerde bulunmayı mümkün kılacağını düşünüyoruz. Başka bir ifadeyle tartışma teolojik bir zeminden antropolojik bir zemine kaydırılmalıdır. Müslümanlar tartışmasız kendileri dışındaki insanlarla barışçıl bir yaşam sürmek isterler. Ama dinlerine ve kutsal değerlerine yapılan hakaretler ve hak ihlalleri onları kendilerini savunma ve başkalarına tolerans gösterme gibi bir ikileme sürüklemektedir. Müslümanlara karşı biriktirilen öfke sebebiyle İslamofobinin bir insan hakları meselesine dönüştüğünü söylemek gerekir. Meydana gelen her kötülüğü Müslümanlarla irtibatlı düşünmek bu ihlalin ilk şeklidir. Bu fobinin bir dereceye kadar haklı sebepleri olduğunu biliyoruz. Bu da bizi iki şeyi yapmaya yönlendirmelidir: İlk olarak bu fobinin kaynaklarını kurutmak, ikinci olarak da bunu kullanarak İslam'ı ve Müslümanları mahkûm etme stratejisi geliştirenlere karşı bir strateji geliştirmek. Aşağıdakiler bu stratejinin bir parçası olarak görülmelidir: Çoğulculuk ve başkasına tolerans; ilişkileri temel hak ve özgürlükler temelinde yürütmek; insanın bağımsız varlığına saygı duymak başka bir ifadeyle dinden, etnik kökenden, kültürden, coğrafyadan bağımsız olarak insana sırf insan olduğu için saygınlığını koruyacak muamelede bulunmak ve hukukun temel normlarını evrensel bir hâkimiyete kavuşturmak: Dürüst bir yaşam sürmek ve bunu herkes için talep etmek (honestevivere); başkalarının haklarını ihlal etmemek (alterumnonleadere); herkese hak ettiğini eksiksiz vermek (suumcuiquetribuere). Doğu'da da Batı'da da insan ilişkilerine bu kavramlar hayat verdiğinde, İslamofobi gibi bir marazı ortadan kaldırmak için iyi bir başlangıç yapılmış olacaktır.

Anahtar Kelimeler: İslamofobi, Çoğulculuk, Temel haklar ve sorumluluklar

Intifada in Europe: On the Islamophobia and the Future of Islam in Europe

Abstract

It seems that Islamophobia is becoming both increasingly prevalent and societally acceptable in the contemporary world. Islam is seen as a threat to civilisation and is connected to terrorism through all channels of society. But it should be added that the issue is not a new event but rather it is the continuum of historical anti-Muslimism. But with the new catastrophic events it got new dimensions. Texts regarding Islamophobia take the outset of this phenomenon as 9/11 and treat Muslims' Holy Book, i.e. the Qur'an as the main source of all malign events. Our text proposes the opposite way. Muslims rather than Islam is to be analyzed with all their economic, cultural and political background and the studies must be transformed into anthropological ones rather than theological. Of course, majority of Muslims would want to live in a peaceful environment in harmony with a multicultural culture. But they many times are faced with the dilemma of dealing with the blasphemous acts of non-muslims towards their religious values and with tolerating them. It must be kept in mind that Islamophobia is increasingly becoming a human rights issue with the rage and fury hoarded against Muslims worldwide. This violation starts with identification of everything bad with Muslims. A sui generis McCarthyism in on the process against them. To some extent unfortunately this phobia has its own right ground. This requires to do at least two things: To get rid of the sources of this phobia first. And then to develop new strategies in view of the strategies that misuses all malign event to condemn Muslims and Islam. And the following terms should be fostered among all: pluralism and tolerance; to interact on the basis of rights and responsibility; to respect the independent existence of human kind, i.e. to treat him irrespective of his religion, race, gender, etc. and to focus on the basics of law, i.e. live an honest life (honestevivere); do not violate others' rights (alterumnonleadere) andgiveeverysingle body his rihgts (suumcuiquetribuere).

Keywords: Islamophobia, Pluralism, Basicrights and responsibilities

أسباب ظهور الإسلاموفوبيا وحالة الغضب من الإسلام:

أولاً: ضغط المؤثرات الداخلية والخارجية أدى الى انفجار غضب المسلمين وثورتهم، ودفعهم ليكونوا مقاتلين، وفي النهاية جعلهم مصدراً للخوف والقلق. وذلك لعدة أسباب سنقوم بتحليلها واستعراضها واستعراض الأحداث والأمور التي أدت إلى ظهور الإسلاموفوبيا في الغرب، كما سيساعد هذا في تحليل مكونات هذه الظاهرة وفهمها في البلاد الإسلامية نفسها.

محاولات الغرب اختلاق ورسم صورة سلبية عن النبي الكريم أدت إلى نشوء ردة فعل عاطفية لدى المسلمين، لما للنبي من مكانة عظيمة في قلوبهم وخاصة في مناطق جنوب آسيا، وكذلك معاملة الأديان السماوية الثلاثة بشكل مختلف وغير متساو والكيل بمكيالين في الغرب، أدى إلى إغضاب المسلمين وإغاظتهم، حيث توجد قوانين لمنع الإساءة للمقدسات الدينية عند اليهود و المسيحيين، ولاتشمل هذه القوانين مقدسات المسلمين، كما تسود في الغرب سياسة الضغط والإقصاء للمسلمين، ويواجه رجال السياسة المسلمون معارضة شديدة ويتم وصفهم بالتطرف العالمي.

على الرغم من أن الغرب يحاول إظهار نفسه كدول علمانية وغير متدينة إلا أن المسلمين مازالوا يرونهم تابعين الدين المسيحي. ومنذ عهد النبي الكريم إلى الآن هناك فترة تناهز الألف سنة حقق فيها المسلمون انتصارات تاريخية كبيرة خاصة على الحملات الصليبية، واستمر عهد الفتوحات حتى عام ١٦٨٣ حين أخفقت الحملة في ضم فيينا. وبعدها خاصة في القرن ١٩ و٢٠ ومع ظهور الاستعمار الغربي تم تجميد الدور التاريخي الإسلامي. وهذا الوضع هو أحد أسباب الغيظ والغضب عند الجهاديين.

أحداث الـ ١١ من أيلول نتج عنها ازدياد عدد الأفراد من غير المسلمين الذين أصبحت لديهم قناعة أن الدين الإسلامي لايتفق مع مبادئ الديموقراطية، ومن جهة أخرى فإن بعض أفراد المسلمين أصبحوا على قناعة أن الغرب يحاول إنكار الإسلام كدين وهوية. ونتيجة ذلك نشأ بين المسلمين وغير المسلمين علاقات ذات طابع نمطي بالإضافة إلى إطلاق الأحكام المسبقة وأخذ فكرة سلبية عن الآخر. وهذا الأمر المتبادل بين الطرفين أدى إلى عدم فهم كل طرف للآخر، وظهور بيئة تسودها عدم الثقة والارتياب، وتسبب كل ذلك في إدخال أفراد المسلمين في حالة من التقوقع الثقافي والجغرافي. وعلى الرغم من أن الغرب لا يرفض المسلمين بشكل كامل إلا أنه يتم تصنيفهم كمواطنين مختلفين وشاذين. والهيئات الغربية في نظام العالم الجديد باتت تُفكر في إعطائهم هوية خاصة لتُميّزهم من غيرهم.

قد ذكر ق. كَبّيل أن أحداث الحادي عشر من سبتمبر بدلاً من أن تبعد الشباب عن المنظمات الإسلامية السياسية، خلقت دوامة تأثر بها وبشكل خاص بالشباب المسلم الأوروبي[١] . فهذا الأمر قد خلق في أذهان

(١) Kepel, G., The War for the Muslims, Islam and the West, Cambridge, MA: Melnap Harvard, 2004, s. 2.

المسلمين الذين يعيشون في الدول الغربية قالباً ذا نوعٍ وإيديولوجيا واحدة تجاه الغرب. وفي مقابل ذلك تولدت لدى الغرب صورة نمطية واحدة تجاه المسلمين. وعليه فليس من المستغرب أن يُنظر إلى مصطلح الجهاد على أنه أداة لتطوير أسلوب حياة مستقلة. وذلك على عكس الطريقة التقليدية في فهم هذا الاصطلاح(٢).

السياسيون والأكاديميون الذين سعوا إلى حل هذه المشكلات استعرضوا الأمر كمسألة سياسية، وبدؤوا يركزون على موضوعات مثل: صراع الحضارات وإخفاق التعددية الثقافية والغزو على العراق واغتراب المسلمين والتقوقع الاجتماعي لشباب جنوب آسيا والأئمة والخطباء المتطرفين، وكل هذه العوامل تُفسّر فسيفساء ما لدينا وما يتكوّنُ منه من قطع مختلفة، ولكنه لا يوضح سبب اختلاف الفسيفساء البشرية لدينا. ولماذا بعض الناس الذين يصفون أنفسهم بالمسلمين قادرون على قتل أنفسهم وقتل أشخاص أبرياء تحت مسمى الجهاد؟ لماذا يسمّي بعض المسلمين مثل هذا الجهاد جريمة قتل بينما يعارض آخرون مثل هذه التسمية؟

للتأكد من اعتبار هذه الحركات نوعاً واحداً تم وضع خطة مثيرة في العالم الإسلامي من أجل ضمان اعتبار الجهاد أداة سياسية زيادة على البعد الديني والروحي، وابتدأ تشكيل الجوامع الموازية في مقابل المساجد والجوامع التي تدرس فيها التعاليم الإسلامية الكلاسيكية وما أنتجها من الفكر الإسلامي الأصيل، وبُذلَت الجهود في نشر التطرف من خلال هذه الجوامع الموازية، ومن أفضل النماذج لنجاح هذا الأسلوب، ما فعله «حسن البنا» في مصر و«المودودي» في باكستان.

لقد أحسّ «حسن البنا» عدم كفاية الخطب والدروس في المساجد لكسر شوكة الشر المتزايد في مصر فبدأ بإيصال الخطابات الأصولية في المقاهي من خلال الشباب، وفيما بعد شكلت هذه الجموع من الشباب ما يسمى بـ«حركة الإخوان المسلمين» ويصرح «المودودي» عن سبب وجوب تشكيل الكيانات البديلة في باكستان بقوله:

«أُجبِرنا على أن نشكِّلَ هذه المنظمةَ كحلٍّ أخير، منذ سنين أحاول أن أدعو المسلمين إلى الرجوع عن أخطائهم وإلى أداء وظائفهم التي كلفهم الله تعالى بها، ولو استجاب المسلمون لهذه الدعوة لشكلوا منظمة فريدة تحت سقف منظمة واحدة»(٣).

وفي الحقيقة إنّ الإسلامَ لا يمنعُ الناس من تشكيل مثل هذه الكيانات ولكن دون وضع الصفة الدينية عليها. لأنه لا يوجد في الإسلام طبقة مميزة مثل الرهبانية في المسيحية. وذلك يفتح الإمكانية للجميع في شرح النصوص الدينية وفهمها. ولكن هذا الأمر قد يؤدي إلى استخدام النصوص لشد الناس إلى غايات بعض المجموعات ودعمِ النفس باقتباس بعض الآيات القرآنية وإخراجها عن سياقها.

إن أئمة المساجد والمشايخ في الدول الأوروبية وأمريكا لديهم مهام ومآرب أخرى بجانب مهامهم

(٢) Marranci, Gabriele, Jihad Beyond Islam, Oxford and New York: Berg Publishers, 2006, s.

(٣) Mevdûdî, Witnessesunto Mankind: The Purpose and Duty of the Muslim Ummah, trans. By Murad, Khurram, Leicester: The Islamic Foundation, 1986, s. 73-74.

الأساسية؛ مثل تعليم الإسلام ورئاسة الجماعات التي لا تدعم ثقافة الدولة التي يعيشون فيها وزيارة المشافي وأهالي المفقودين والاستماع إلى المشكلات العائلية. وكل هذه المهمات أتاحت للأئمة هناك مجال نشاطات واسعة. وهذه المجالات متروكة في الدول غير المسلمة للمساجد، فلذلك يضطر الأئمة أن يتحملوا هذه المسؤوليات دون أن يكون لديهم علم وخبرة بها. المساجد في أمريكا تحضن في بنيتها أموراً كثيرة مثل، المصلى والمركز التعليمي والمركز الاجتماعي والسياسي ومحكمة غير رسمية وعيادة صحية؛ فالإمام بهذه الحالة يكون إماماً وخطيباً وأستاذاً ومحاسباً يقوم بجمع الأموال الخيرية وخطيباً سياسياً ومستشاراً وقاضياً غير رسمي. وعندما نتأمل أن لكل مسجد إماماً واحداً فمن الخطأ أن ننتظر أن يقوم الإمام بكل هذه الأعمال على أكمل وجه.

تحويل المساجد إلى مراكز إسلامية قد سد بعض الحاجات، ولكن أنتج الضعف الديني في هذه المؤسسات، ولذلك فبعض المؤسسات الإسلامية في أمريكا تشبه النوادي والمحافل. ويقوى هذا المظهر عندما يجتمع فيها أناس من أصل واحد عرقاً وفكراً. ويلاحظ أيضاً أنه في بعض الأحيان توجد في هذه المؤسسات صالونات ومهرجانات للرقص[٤].

كان اختفاء الخلافة كقوة تحكم المسلمين من مركز واحد مؤثرًا أيضًا في تشكيل هذه الهياكل المتعددة. ولو كانت الخلافة قائمة، فلربما كان تنظيم المساجد مماثلاً لنظام البيروقراطية الرومانية الكاثوليكية، ولكان التحكم في العالم الإسلامي من خلال هذا التنظيم. وقد أدى عدم وجود مثل هذه السلطة المركزية إلى قيام المسلمين بإنشاء منظماتهم الخاصة[٥].

الإسلاموفوبيا ووجود المسلمين في الغرب:

إن وجود الإسلام والمسلمين في الغرب، وخاصة في أوروبا، هو موضوع يفتح النقاش بين الموضوعات المرتبطة وغير المرتبطة به. إن هذه الأفكار تعبر من خلال هؤلاء الذين يقومون بمقارنة كتاب الإسلام المقدس مع كتاب هتلر «كفاحي» هادفين إلى محاربة الدين، وصولاً إلى الذين يدعون ويهتفون لأوربا غير مسلمة في ألمانيا هتلر.

قبل التطهير العرقي ضد اليهود تم النشر في مجلة دير ستورمر (العدائية) كاريكاتور وعبارات مهينة تحمل الكراهية ضد اليهود. واليوم يتم تنفيذ مهمة مماثلة لها ضد المسلمين في أنحاء أوربا من خلال وسائل الإعلام. وهذا يعني أننا مررنا بفترة عصيبة كان يجب فيها أن نأخذ الأمر على محمل الجد، ونحارب ضد كل العبارات التي تحمل الكراهية للإسلام، وتسيء له بشكل أو بآخر.

(٤) Poston, Larry, Islamic Da'*wah in the West: Muslim Missionary Activity and the Dynamics of Conversion to Islam*, Oxford: Oxford University Press, 1992, s. 96.

(٥) Poston, Larry, *op.cit.*, s. 97.

القسم المهم من صراعنا هذا يجب أن يستند إلى المنطق، وأن يتم من خلال أدلة وكلمات مناسبة تتلاءم مع روح العصر؛ ونسمي هذا بحرب المنطق. يمكننا جميعاً أن نعرف قوة الكلمة وقدرتها على الإقناع خصوصاً فيما نراه من خلال الإسلام والمسلمين على المستوى العالمي.

نتيجة لجميع العمليات التصورية ووفقاً لتقرير المركز الأوربي لرصد العنصرية وكراهية الأجانب فإن المسلمين في دول مثل: إنكلترا وهولندا والسويد والدانمارك يتعرضون لهجمات جسدية بشكل مستمر بعد هجمات الحادي عشر من أيلول. وقد رد عن التقرير أن الاعتداء على الأجانب زاد ثلاثة عشر ضعفاً عن ذي قبل. ولربما الصراع بين الحضارات ما زال بإمكانه أن يستمر من خلال النقاش والحوار، وإذن يجب الأخذ بعين الاعتبار خلفية المسلمين عبر التاريخ وعرضه على البشرية في عالم الإسلام الحديث من خلال عبارات تخاطب العقل والمنطق.

فرنسا من أكثر الدول الأوربية التي يقطنها أكبر عدد من المسلمين في أوربا. وسيقوم وزير الشؤون الداخلية فيها بمنح هوية لمواطنيها المسلمين كما قام بتوطين المسيحيين واليهود بشكل يليق بمعتقداتهم.

تقدم صحيفة اللموند (Le Monde، Paris، 13.09.2005) أدلة على أن أوربا لديها مثل هذه التوقعات من المسلمين. ولكن يجب ألا ننسى أن هذا ليس بالأمر السهل. حتى إن تقديم المسلمين ملايين الضحايا للتخلص من الاستعمار ترك جرحاً عميقاً ما زال في أذهانهم. وإن ما قامت به أمريكا ودول الغرب من مجازر في فلسطين والعراق وأفغانستان والشيشان والبوسنة يضيف إلى تلك الذاكرة جروحاً جديدة. ولكن إلى جانب كل هذا يجب ألا ننسى وجود أوربيين أصحاب ضمير حي يضعون الأولوية في فهم المسلمين قبل معارضتهم وذمهم.

إن خطاب رئيس بلدية لندن السابق كين ليفينغ ستون وربطه هجوم جورج بوش على العراق بتطرف المسلمين وانتقاده للمحافظين الجدد بشدة هو بحد ذاته ترجمة وتمثيل لفكر المثقفين الأوربيين[٦]. لكن الفكر الغربي لا يقتصر على هذه العبارة فحسب بل يحتاج الى التفكير بطريقة مختلفة ومتشعبة أكثر.

الأكاديميون الغربيون، الذين ينظرون إلى المسلمين على أنهم أقلية على أرضهم، وينظرون إلى دينهم وثقافتهم من زاوية المستشرقين، يحاولون تحويل دراساتهم الى أبحاث أنثروبولوجية. ولا شك أنه يجب على «انديو حسين» ألا يستخدم أسلوب تقليل الشأن وإلقاء اللوم في كتابه الانتفاضة الفرنسية. إن محاولة «حسين» إعطاء قضية احتلال العرب واستغلالهم من قبل فرنسا، وكيف سيدخل العرب في موضوع المساءلة، إعطاء ذلك منحى إنسانياً، أو النظر إليه على أنه مشكلة إنسانية له أهمية بالغة. لكن الأسلوب الذي استخدمه كان فظاً ومستفزاً للغاية.

(٦) بي بي سي نيوز مباشر – لندن – ١٣ سبتمبر ٢٠٠٥.

يجب على المثقفين الغرب تقبل فكرة أن العمود الفقري للعلاقة هو فهم المسلمين بدلاً من الحكم عليهم. إنسانياً يجب أن نعرف أن دراسة المشكلات السياسية والاقتصادية الاجتماعية من منطلق الدين لن يعطي نتائج مجدية، فيجب تقبل أن تاريخ المسلمين منذ القدم كان من المكونات الأساسية لحضارة الغرب بدلاً من وصفهم أنهم يهود أجانب مسلمون. ويجب عدم نسيان أن وجود المسلمين في الأندلس لـ٨٠٠ عاماً، وفي صقلية ل ٢٥٠ عاماً، كان له تأثير كبير في طابع الحضارة الأوربية.

ليس عبثاً وصف دايفيد ليفرينغ لحضارة المسلمين بالموجة الأساسية والأولية لحضارة أوربا في كتابه المسمى: دور الإسلام في صنع أوربا ٥٧٠-١٢١٥.

النتيجة:

بسبب الغضب المتراكم ضد الإسلام والمسلمين دخل الإسلاموفوبيا في الغرب في مرحلة الكراهية والانتهاك لحقوق الإنسان. وأصبح هذا المفهوم شائعاً ومغطياً للحقيقة، إنهم يقيّمون الإسلام والمسلمين بشكل سطحي ومصطنع، ولا يربطون أي شيء حسن أو صحيح أو مفيد بالإسلام والمسلمين، وينسبون كل ما هو قبيح للمسلمين. وإن جاز التعبير فإنه يتم تنفيذ ما يسمى بـMcCarthyism ضد المسلمين.

وبعد تحليل كلمة الإسلاموفوبيا نسأل: هل هذا الرهاب ليس له مصدر أم إنه يحمل شيئاً من الحقيقة؟ يجب الإجابة عن هذا السؤال بكل صدق. نقول: يوجد مصدر لهذا الخوف مع الأسف. وهذا المقال لا ينوي مناقشة ما إذا كان هذا المصدر محقاً أم غير محق.

لكن من الواضح أن لدينا مشكلتين لهما أولوية: أولاهما: هو القضاء على جذور هذه المخاوف. وثانيهما: أنه يجب التركيز على تطوير استراتيجيات من أجل إضعاف القوى التي تتغذى على هذا الرهاب الذي يعمل على تطوير استراتيجيات لمحاربة الإسلام والمسلمين.

يبدو أن تحكيم أساس هذا النضال طويل المدى هو الأهم في هذه القضية. وتحكيم أساسه لا يتم إلا بإسناده إلى المفاهيم التالية: التعددية والتسامح مع الآخرين، وتنفيذ العلاقات على أساس الحق والحريات الأساسية، واحترام وجود الفرد أو بعبارة أخرى: يجب معاملة الفرد بشكل يحمي كرامته وكيانه بغض النظر عن دينه وأصله العرقي وثقافته وموطنه، ويجب احترام الإنسان بناء فقط على كونه إنساناً، وتوصيل القضايا الأساسية للحقوق إلى القواعد العامة الأساسية والعالمية مثل: إدامة حياة صادقة والمطالبة بذلك للجميع وعدم انتهاك حقوق الآخرين وإعطاء كل ذي حق حقه بشكل كامل.

عندما تعطي هذه المفاهيمُ الحياةَ لأجل العلاقات الإنسانية في الغرب والشرق سيكون هذا بدايةً جديدةً للقضاء على الإسلاموفوبيا.

المراجع:

- Kepel, G., The War for the Muslims, Islam and the West, Cambridge, MA: Melnap Harvard, 2004.
- Marranci, Gabriele, Jihad Beyond Islam, Oxford and New York: Berg Publishers, 2006.
- Mevdûdî, Witnessesunto Mankind: The Purpose and Duty of the Muslim Ummah, trans. By
- Murad, Khurram, Leicester: The Islamic Foundation, 1986.
- Poston, Larry, Islamic Da'wah in the West: Muslim Missionary Activity and the Dynamics of Conversion to Islam, Oxford: Oxford University Press, 1992.

فكرة الإسلاموفوبيا وعلاقة النبي ﷺ بها *

د. رجب توزجو

جامعة سلجوق – كلية الإلهيات؛ قسم الحديث: recep.tuzcu@selcuk.edu.tr

الخلاصة:

بعد انتهاء الحرب الباردة بدأت في السياسة الدولية تغيراتٌ مهمَّة جذرية، منها أنَّه قد تمّ استخدام مصطلح «صدام الحضارات» كواحدٍ من أهمِّ وسائل التعبير عن الصراع بين الغرب والشرق، وذلك بإقامة الإسلام كعدو مُحارَب مقام الشيوعية، إنَّ الخوف من الإسلام، والتركيز الذي تمّ إجراؤه اليوم عليه في الغرب وفي مناطق أخرى من العالم جعل هذه القضية أكثر أهميَّة، فالمستشرقون الغربيون يزعمون أنّ محمدًا ليس نبيًا ويصوّرونه كإرهابي عنيف وشهواني، ويدَّعون بأنّه نشر الإسلام بالسيف، وينتقدونه بالإشارة إلى بعض الآيات القرآنية والأحاديث المجتزأة من سياقها، فمن الواضح أنَّ الآيات والأحاديث التي يشيرون إليها تخضع للفهم اللّفظيّ للنصوص بطريقةٍ خاصّةٍ بغضِّ النّظر عن السياق التاريخيّ والقِيَم الثقافية التي وردت فيها.

الكلمات المفتاحية: الإسلاموفوبيا، الحديث، النبي، الإرهاب، المرأة

İslamofobi Oluşturmada Hz. Peygamber'e yapılan Atıflar

Özet

Soğuk Savaş'ın sona ermesi ile birlikte uluslararası politika önemli değişimlere sahne olurken İslam, komünizm yerine en önemli düşman olarak ikame edilerek, Medeniyetler Çatışması tezi, Batı ile Müslümanlar arasında çatışmayı savunan en önemli araçlardan biri olarak kullanıldı. Günümüzde Batı'da ve dünyanın diğer bölgelerinde oluşan İslamofobi ve yapılan analizler bu konuyu daha da önemli hale getirmiştir. Batılı müsteşrikler Hz. Muhammed'in peygamber olmadığı ve İslam'ı kılıçla yaydığını iddia etmekte onu terörist, şiddet yanlısı ve şehvet düşkünü olarak resmetmektedirler. Bu iddialarında bazı Kur'an ayetlerine ve hadislere atıfla onu eleştirmektedirler. Atıf yaptıkları ayet ve hadisleri, tikel yöntemle ve lafzi yoruma tabi tuttukları görülür. Ayrıca tarihi bağlam ve kültür kodları farkı dikkate alınmadan bu yorumlara dayanarak Hz. Peygamber'e eleştiriler yöneltildiği söylenebilir.

Anahtar Kelimeler: İslamofobia, Hadis, Peygamber, Terör, Kadın

Creation of Islamophobia References to the Prophet

Abstract

The end of the Cold War has included major changes in international politics and Islam has rapidly replaced "communism" in the role of principal enemy of the Western world. The Clash of Civilizations theory has been used as one of the main instruments of the conflict between Islam and Western world. Nowadays in the West and the other parts of the world, Islamophobic sentiments and analyses made the matter more important. The Western Orientalists alleged that Muhammad did not have as a prophet and that he had Islam with a sword. The West depicts Muhammad, terrorist, pro-violent and lustful. The verses and hadiths cited in this regard seem to have been subjected to specific methods and literal interpretations. In addiation to, it can be said that criticisms are directed towards the Prophet without regard to historical context and different of cultural code.

Keywords: Islamophobia, Hadith, Prophet, Terrorism, Women

* وهذه هي الترجمة العربية للدراسة بعنوان "İslamofobi Oluşturmada Hz. Peygamber'e Yapılan Atıflar" التي نشرت في العدد السّادس من مجلة الإلهيات الأكاديمية. (رجب توزجو، فكرة الإسلاموفوبيا وعلاقة النبي ﷺ بها، الإلهيات الأكاديمية، ٢٠١٧، العدد: ٦، ص ١١٣-١٥٦). من الواجب أن يستند في الإقتباس إلى المقالة التركية.

إسلاموفوبيا (الخوف من الإسلام):

إنَّ هذا التعبير [١] «إسلاموفوبيا» المؤلف من كلمتين هما «الإسلام» و«فوبيا» يدل على الخوف «المخترع» من الإسلام مع أنه لا ينشأ منه، ويمكن تعريف المصطلح بشكل عام على أنه: الكراهية والعداء تجاه الإسلام والمسلمين وعدم الوثوق بهم، والرعب منهم ومن دينهم، وعلى أساس هذا الرعب، الذي عادة ما تم اختراعه خارج الدائرة الإسلامية، ممّا سمع عن المسلمين، تكمن حقيقة «إخافة الآخر» لقد تمّ إنتاج هذا الخوف التقليدي القديم وإعادته تحت أشكال جديدة، وتَظهر هذه الفوبيا من الإسلام في مواقف غير المسلمين في المجتمعات الغربية مثل: الخوف والكراهية والإدانة والاحتقار لهذا الدين وأتباعه، وتستند هذه المشاعر إلى التحيّزات التاريخيّة والثقافية التي يتمّ نقلها وإعادة إنتاجها من خلال المؤسسات الاجتماعية والتعليمية والإعلامية، وفي هذه الحال يمكن التمييز بين بُعدَين في الإسلاموفوبيا: البعد «الآني» الذي يظهر في المواقف والآراء والسلوكيات الحالية خاصةً في المجتمعات الغربية، والبعد القديم المتمثل في الأسباب التاريخية والثقافية التي تُغذّي هذه الأحداث المرئية، ويمكن تسمية هذا البعد بالتحيّزات المُسبَقة والقوالب النمطية الجاهزة أيضاً[٢].

وقد تمّ استخدام هذا المصطلح أوّل مرّةٍ في الغرب سنة ١٩٧٩م بعد نجاح الثورة الإيرانية (بهدف التحذير منها)، عندما نظر الثائرون إلى الإيرانيات الرافضات للحجاب (بالمفهوم الخميني) نظرةَ ازدراءٍ واتّهام، فكان ردّ الفعل الغربي واسعًا باستخدام المصطلح. وقد أُعيد تدوير المصطلح نفسه في الأذهان سنة ١٩٨٩م مع أحداث إحراق كتاب سلمان رشدي «آيات شيطانية» في إيران التي رفضت قطعًا ذلك الكتاب وأفتى مرشدها «الخُميني» باستباحة دم الكاتب الهندي، ولم يتوقفِ الأمر عند إيران، بل صودر الكتاب في عدد من البلاد الإسلامية الأخرى، ووفقًا لتأكيدات «فورست» Fourest و«وننر» venner وجد المصطلح بيئةً خصبةً مرّةً أخرى مع هذه الأحداث [٣].

لقد كان لهذا الكتاب صدى مدوٍّ، حيث نُشر لأوّل مرة بإنجلترا في سبتمبر / أيلول ١٩٨٨م، وادّعى فيه كاتبه: أنّ القرآن الكريم قد أشاد بالمجتمع الوثنيّ ودعمه، واستحقّ كاتبه بسببه لقب Lord، الذي منحته إيّاه الملكة «إلزبيث» الثانية ملكة بريطانيا... ممّا شكّل ردَّ فعلٍ غاضبٍ وقويٍّ في الغرب ضدّ المجتمعات الإسلامية التي رفضت الكتاب ومؤلِّفَه عُبِّرَ عنه بوضوح بالإسلاموفوبيا [٤]، ممّا ساعد على نمو المصطلح واستقراره في الأذهان الغربية لعقودٍ طويلةٍ تالية.

---

(١) Bk. Orhan Öztürk, *Ruh Sağlığı ve Bozuklukları*, Ankara, Hekimler Yayın Birliği, 1. Baskı, 1992, s. 241.

(٢) Kadir Canatan ve Özcan Hıdır, (eds.), *Batı Dünyasında İslamofobi ve Anti-İslamizm*, Ankara, Eski Yeni Yayınları, 1. Basım, 2007, s. 42.

(٣) Caroline Fourest ve Fiametta Venner, İslamuphobie? prochoix, no:26-27paris,Automenna Hiver,2003,s.28christopher Allen,İsalomophobia,England Ashgate Publishing Limited, 2010,s.9.

(٤) By Lawrence Pollard *Satanic Verses' polarising untruths*. http://news.bbc.co.uk/2/hi/entertainment/7889974.stm (3.10.2017); bk. Hilal Barın, *Tedirgin Nefret İslamofobi*, İstanbul, Tezkire yayıncılık, 1. Baskı, 2016, s. 134.

تاريخ الإسلاموفوبيا:

كان المشركون في عهد النبي ﷺ يتهمونه بالسحر والكهانة؛ لأنّه يحوِّل الأبناء عن دين آبائهم[٥] ويقولون إنّه كاذبٌ في دعواه[٦] كل ذلك [٧] بهدف إبعاد الناس عن الإسلام، وكانوا يرفضون ما يُوحى إليه، فردّ الله عليهم بأنه قول رسول كريم[٨] وتحداهم القرآن حيث قال: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [البقرة] وقد اتّهم يوحنا الدمشقي المعادي للإسلام النبي محمدا بالكذب، وادّعى أنّ دينه مأخوذٌ من التوراة والإنجيل، وأنّه قدَّم القرآن الكريم للناس على أنّه وحيٌ من الله في حين أنه مقتبس من الكتاب المقدس مع وضعه بعض القواعد «السخيفة»، وأنه لَبَّسَ على الناس وخدعهم بدعوته وكسب ثقتهم باسم الدين. ويتناول نظرية الإسلام حول الإيمان بالله وحول المسيح، ويقول إن ألوهية المسيح مرفوضة في الإسلام، ويؤكد أنه لا يوجد دليلٌ يثبت نبوة محمد، وينتقد أيضاً طريقة وحي القرآن واعتبار المسلمين المسحيين عباد صليب، وينتقد تعظيم المسلمين الكعبة أيضاً ويعترض على سور من القرآن وهنا يشير إلى آية التعدد في سورة النساء وتمليك الرجل حق الطلاق، ويذكر في هذا الصدد مسألة زواج النبي بزينب ويتهمه بها[٩].

إنّ قضية «الغرب» بالنسبة للعالم الإسلامي قضية منذ قرنين من الزمن لأنه لم يكن شيء اسمه «الغرب» لمثقف أو عالم يعيش في العالم الإسلامي في القرن التاسع الهجري/ السادس عشر الميلادي. فاتهامات الدمشقي وما قاله «جري والول» Jrrry Falwell الأمريكي في حق النبي «إنّه إرهابيٌّ» تشير إلى الاستمرار في هذا المسلسل ضد الإسلام، فإننا نشاهد مشكلات مماثلة عندما ننظر إلى التصور الغربي للعالم الإسلامي[١٠]. وعندما وصلنا إلى القرنين التاسع عشر والعشرين أصبح مفهوم الإسلاموفوبيا ذا طابع أكاديمي ومؤسساتي خاصة مع ظهور الأنثروبولوجيا وعلم الاجتماع وغيرها من العلوم المماثلة، فأسرع المستشرقون يهمشون أقوال النبي التي تنظم الحياة الاجتماعية للمسلمين[١١]. يقول مؤسس نادي اللغة العربية بجامعة «كامبريدج» حول هدف

(٥) الطبراني، سليمان بن أحمد المعجم الكبير، تحقيق حمدي بن عبد المجيد السلفي، الموصل مكتبة العلوم والحكم، الطبعة الثانية،١٩٨٣،٥/ ٦١.

(٦) الأنبياء/ ٧- الزخرف/ ٩٠.

(٧) الطور/ ٢٩.

(٨) الحاقة/ ٦٩..

(٩) Harman, Ömer Faruk, "Yuhannâ Ed-Dımaşkī", DİA, İstanbul, İSAM, 2013, XXXXIII/581.

(١٠) Karen **Armstrong,** *İslam*, Modern Library, USA, 2000, s. 141; *İslam*, (Çev. Selim Yeniçeri), İstanbul: Koridor Yay., 2008, s. 161.

(١١) İslâm dininin köklü bir gelenek oluşturmasının hadislere dayandığını vurgulamaktadır. Bk. Wensinck, "*The importance of Tradition for the Study of Islam*"; Margoliouth, "*On Moslem Tradition*" makalelerine bakınız.

الاستشراق: هدفنا الرئيسي هو تقديم خدمة مفيدة للملك والدولة من خلال تجارتنا مع دول الشرق، وتوسيع حدود الكنيسة ودعوة الناس الذين يعيشون في الظلام إلى المسيحية [١٢] وفي القرنين الأخيرين قام الغرب بإجراء ٦٠ ألف دراسةٍ أكاديميةٍ في تاريخ الحديث وطرقه وعلم المصطلح، فكان من نتيجة ذلك أن طور «اغنازغولدزر» Egnaz Goldziher (١٩٢١م) «ورينهارت دوزي» Reinhart Dozy (١٨٨٣م) «وآلوايس سبرينغر» Alois Sprenger (١٨٩٣م) التشكيك في الأحاديث وجعلوا ينتقدون الروايات بشكلٍ فجٍّ ومكشوف، ويعترف «جون فول» بهذا قائلاً: كانت السُّنَّة، كما هو موضَّحٌ في مجموعات الحديث، أعظم قوة للمقاومة الإسلامية ضد التغيرات، فمن الطبيعي أن تهتم الحركات «المناضلة والأصولية» في الفترة الأخيرة بعلم الحديث لإعادة بناء القيم الأخلاقية الاجتماعية في العالم الإسلامي كله، مما دفع المستشرقين إلى إجراء دراسات حديثية مستقلة ووضعها في دائرة الاهتمام الاستشراقي[١٣].

ونتيجةً لتشكيكات المستشرقين حول صحة الأحاديث سنداً ومتناً بدأت حركة التشكيك من داخل المجتمع الإسلامي نفسه في الهند ومصر، حيث يعتبر «السيد أحمد خان Seyyid Ahmed Han» (ت 1898/ 1316) الذي لقبه الإنكليز في الهند بـ السير، و«السيد أمير علي Seyyid Emir Ali» (ت 1928/ 1347)، و«عبد الله شاكر علوي Abdullah Çakrâlevi» (ت 1914)، و«فضل الرحمن Fazlurrahman» (ت 1988/ 1409) في طليعة هذه الحركة. لقد تأثر «السيد أحمد خان» بمناهج المستشرقين لاسيما المبشر «وليام موير William Muir» و«الويس سبرنغر Alois Sprenge» وقد أحدثت مقالة «الإسلام هو القرآن وحده» لـ«محمد توفيق صدقي» (ت 1920) والتي نشرت في مجلة المنار المصرية لـ«رشيد رضا» (ت 1935/ 1354) في مصر صدى كبيراً فيما بعد، ويمكننا تلخيص ادعاءات وأقوال السيد أحمد خان وأحمد أمين (ت 1954) وطه حسين (ت: ١٩٦٥م) و منكري السنة في يومنا هذا ممن يدافعون عن إسلام القرآن على الشكل التالي:

١. الآيات التي تأمر بطاعة النبيّ مقيدة في القرآن.

٢. السنة تحمل خاصية التشريع الابتدائي المؤقت.

٣. اتباع سنّة النبيّ أمرٌ اختياريٌّ.

٤. هناك قدرٌ قليلٌ مِنَ الأحاديث الصحيحة المسندة للنبيّ ﷺ.

إنّ من ضمن أهداف جميع هذه الجهود هو الانتقاص من النبي ومن مدنية الإسلام، حيث إنّ ادعاءات المستشرقين هي عدم وصول معظم أقواله وأفعاله إلينا، أو أنها ابتدائية واختيارية في حال صحة وصولها. فلو

(١٢) Said, Edward, *Oryantalizm*, (çev. Nezih Uzel), İstanbul 1998, s. 280-306, 365-366.

(١٣) Oryantalistleri hadis araştırmalarına sevk eden faktörler hakkında geniş bilgi için bk. Mehmet Görmez, Klasik Oryantalizmi Hadis Araştırmalarına Sevk Eden Temel Faktörler", *İslamiyât* III (2000) sy. 1, s. 12-30.

أمكن تعطيل السنة التي تربط الحياة المشتركة بين النبي والمسلمين؛ لأدّى ذلك إلى فتح الباب أمام الاجتهاد غير المنضبط، وستصبح وحدة الإسلام شيئاً من الخيال إلى الأبد.

نرى أن التناقضات بين العالمين الشرقي والغربي أو الإسلامي والمسيحي تستمر لأسباب اقتصادية أكثر من كونها دينية بأيادي بعض القوى السياسية. إنّ أطروحة صراع الحضارات لعالم السياسة الأمريكي: صاموئيل هونتينغتون Samuel Huntington الذي جابه حضارات الغرب بالإسلام نالت قبولًا على نطاقٍ واسع. حيث تمّ استبدال المعسكر الشيوعي المنهار بالإسلام في مواجهة الحضارة الغربية وبدأ إنتاج أفكار تدعم ذلك. وبرأيه: إنّ حربًا بين الحضارات على وشك الحصول في المستقبل.

إن مبادئ التنوير، والثقافة المجتمعية، والديمقراطية، ودولة القانون، وحقوق الإنسان، وحاكمية الشعب، والعلمانية، كلها تعود إلى الحضارة الغربية[١٤]. فالأطروحات التي نادى بها صاموئيل هونتينغتون Samuel Huntington، حول صراع الحضارات، ونهاية العالم لفرانسيس فوكوياما Frangis Fukuyama كلها تعزز من الإسلاموفوبيا في الشعور الجمعي الغربي وتغذيه في الوقت ذاته[١٥]. وقد جاء تاريخ ١١ من أيلول ٢٠٠١م علامةً فارقةً في هذا المجال، حيث انتشر العداء للإسلام والذي بدأ بالتزايد في أمريكا ثم انتقل إلى بلدان أوربا مثل ألمانيا، والنمسا، وإنجلترا، وهولندا، وفرنسا، ويمكن القول إنّه بدأ ذيوع استعمال المصطلح بعد قيام الرئيس الأسبق لأمريكا «جورج بوش» بتقسيم العالم إلى قسمين: قسم موالٍ لأمريكا، وقسم معادٍ لها عند حديثه المشهور عن حملة صليبية جديدة، ألم يكن هذا التقسيم أيضاً هو بمثابة قبولٍ وإعلانٍ غير رسميٍّ من قِبَلِ رئيس أكبر دولة لأطروحة صراع الحضارات؟

فعندما ضُربت أمريكا بالإرهاب في ١١ أيلول ٢٠٠١م قام الإنجليز والعديد من دول العالم بالقبول السريع لإعلان الحرب ضد الإرهاب الكوني ودعم ذلك[١٦]. وضمن مخاوف ١١ من أيلول تم تصدير فكرة ربط الإسلام بالإرهاب وأنهما كل متكامل لا يتجزأ أحدهما عن الآخر، كما لوحظ إقبالٌ متزايدٌ على تشويه صورة النبي ﷺ، وفي الحقيقة كانت محاولات الرسومات الكاريكاتورية للنبي على أنّه إرهابي انتحاري في صورة «أسامة بن لادن» من جهة، وتصويره بأنّه يسعى لتلبية رغباته الجنسية من جهةٍ أخرى تصب في مصلحة الإسلاموفوبيا، حيث تمّ استهدافه بحملة تشويهٍ قويّةٍ ومُنْهجةٍ تحمل أسوأ الافتراءات بحقِّه باعتباره عدواً للنساء وعبداً لشهوته في الوقت ذاته.

(١٤) Zbigniew Berzezinski, *Tercih, Küresel Hâkimiyet mi? Küresel Liderlik mi?*, çev. Cem Küçük, İstanbul, İnkılâp Yayınevi, 2. Baskı, 2005, s.14; Samuel Huntington, *Medeniyetler Çatışması ve Yeni Dünya Düzeninin Yeniden Kurulması*, çev. Mehmet Turhan ve Cem Soydemir, İstanbul, Okyanus Yayınları, 2006, s. 237-268.

(١٥) Fulya Atacan, "Radikal İslam'ın Küresel Bir Tehdit'e Dönüşüm Süreci: Afganistan Deneyimi", *YDU Sosyal Bilimler Dergisi*, Cilt/Volume I Sayı/Number 1 Nisan/April 2008, s. 35-52.

(١٦) Berzezinski, "Tercih, Küresel Hâkimiyet mi? Küresel Liderlik mi?", s. 13-14, 178.

أمّا في ألمانيا فكان ضخّ وسائل الإعلام لهذه الأفكار يمثل نسبة ٨٠٪. خاصة مجلة دير شبيجيل Der Spiegel، فلقد وضعت القادمين من بلدان مسلمة ممن يحترمون القانون ويعيشون بمستوى معيشة جيد في ذات الكفة مع الإرهابيين وبدون تمييز بينهم، نتيجة للاستخدام المستمر لمصطلح الإرهاب الإسلامي في الإعلام(١٧). حيث تصدَّر تقرير صادرعام١٩٩٧م على ثلاثة عناوين تشرح تمثيل الإسلام للهيمنة (١٨) وهي: التمييز بين الجنسين، عصابات الشوارع، والمجموعات المتطرفة الإرهابية. كما يتم باستمرار طرح أفكار مثل «الثقافات الإسلامية ذات النمط الواحد والشكل الواحد، وبالتالي فهي منغلقة تجاه التغيير» و«الإسلام خطير وذو تهديد»(١٩) فتلك الأفكار مازالت مستمرة حتى الآن، على الرغم من تأكيدهم أن هذه الأقوال ليست عنصرية ضد المسلمين(٢٠)!

وتمّ استخدام الألعاب الرقمية في عصرنا كطريقة مهمة أخرى لإبعاد المسلمين عن الإسلام والنبي، وإظهارهم بشكل مرعب ومقزز وتمثل لعبة: Resident Evi، ذات الانتشار الواسع بين ملايين الشباب قمة هذا، حيث يتمُّ فيها تقديم باب الحجرة الشريفة لقبر النبيّ على أنّه مصدر حالة الفوضى والشر القادم من قبل جيوش الأعداء. وفي لعبة القناص المشهورة Counter Strike يصيح الإرهابيون عند إصابتهم أو موتهم: «الله أكبر» و«لا إله إلا الله». ولقد تمّت إزالة المؤثرات الصوتية من اللعبة عبر تحديثها بناءً على ردّة فعلٍ كبيرةٍ من العالم الإسلامي. أمّا في آخر مرحلة من لعبة Muslim Massacre المبنية على قتل النساء المنتقبات والرجال الملتحين، يُطلب من اللاعب قتلُ سيدنا محمد(٢١)!

ومن الواضح قيام هذه الألعاب بإشاعة الخوف والحقد والكراهية كأحكامٍ مسبَقةٍ تجاه النبيّ والإسلام، ومن الظاهر أنّ هذه الأفعال تهدف إلى منع انتشار الإسلام بسرعة بين المسيحين في أوروبا وأمريكا والإساءة المتعمدة للنبي، وفي الفترات الأخيرة كان دعم بلادٍ كبرى كدول الاتحاد الأوروبي وأمريكا للمجموعات الإرهابية التي تدعم هذا المفهوم مثل داعش التي ظهرت باسم الإسلام دعما لأجل أهداف خفية، والدليل على ذلك تلك الحملة الإعلامية الكبيرة التي نالتها حادثة قتل الصحفي الأمريكي جيمس فولي James Foley بفصل رأسه عن بدنه، والتي انتشرت ونُقلت للعالم كله بالصوت والصورة، مما أدّى إلى تحول منتمي تنظيم داعش من مجموعة صغيرة نشأت في العراق بعد الاحتلال الأمريكي لها إلى أشهر وأكبر مجموعة إرهابية في العالم(٢٢).

(١٧) Cihan haber Ajansı "Medya İslamofobiyi Körüklüyor" https://www.uhim.org/medya-islamofobiyi-korukluyor.html (2.10.2017).

(١٨) Runnymede Trust, *The New Muslims*, London, 2013, s. 6. https://www.runnymedetrust.org/uploads/publications/Runnymede_The_New_Muslims_Perspective.pdf (6.10.2017).

(١٩) Runnymede Trust, *Islamafobia: a challenge for us all*, Great Britain, 1997, s. 4.

(٢٠) Runnymede Trust, *The New Muslıms*, London, s.6; Runnymede Trust, *Islamafobia: a challenge for us all*, s. 4.

(٢١) Dijital oyunlarda "İslamofobi" tehlikesi -infografik- Anadolu Ajansı, http://aa.com.tr/tr/turkiye/dijital-oyunlarda-islamofobi-tehlikesi/660381. (5.102017).

(٢٢) Barın, Tedirgin Nefret, s. 225.

من الواضح أنّ هذه الصور أدّت إلى ازدياد العداء للإسلام والمسلمين، ففي تاريخ:١٣/ ١١/ ٢٠١٥م أدّى مقتل ١٣٠ شخصاً في هجمات باريس و١٢ شخصاً آخر بعدها بشهرين تقريباً في هجمات شارلي هابدو Charlie Hebdo إلى استخدام رئيس الوزراء الفرنسي مانويل فالس Manuel Valls لغة التهديد في برنامج تلفازيٍّ عندما قال نصًّا: «نحن في حربٍ، وسنتحرك لضرب أعدائنا الجهاديين حتى القضاء عليهم في فرنسا وأروبا وسوريا والعراق...وسيكون النصر حليفنا» الشيء الذي أدّى إلى انعكاس هذا الطور العنيف على مجرى الحياة اليومية الفرنسية، حيث تمّ إعلان حالة الطوارئ في كافة البلاد وكثر انتشار الدوريات الأمنية في الطرقات وارتفعت أنظمة المراقبة إلى أعلى مستوى، كما نُظِّمت اقتحاماتٌ من قِبَل الشرطة على المنظمات والجمعيات الإسلامية هناك، وأظهر المسلمون بشكل غير مباشر على أنهم الهدف[٢٣]. وقد قام العنصري سالفوج سيزك Slavoj Zizek بعد هذه الهجمات في أوروبا بتوجيه نداءٍ للأوربيين بربط أزمة اللاجئين السوريين بداعش، كما صرّح: «إنّه من المستحيل أن نبقى صامتين أمام الهجوم على الهوية الفرنسية من امرأة منقبة، ويجب قيامنا كمواطنين فرنسيين بشيءٍ ما من أجل التصدي لهذه الهجمات، ويجب وضع مجموعة من القوانين وتطبيقها بشكل عادل من أجل حماية الحرية الفردية تجاه الضغط العام»[٢٤].

ولقد لوحظ ازدياد الهجمات العدائية ضد المسلمين هناك كما ورد في التقرير الذي صدر عام ٢٠١٣م بأوروبا[٢٥] ومفاده: أنَّ ٥٨٪ من هجمات العنف الجسدية ضدّ النساء كانت ضد المسلمات، من تأثير ما انتشر من أفكار الإسلاموفوبيا، وأصبح النبي هدف الكثير من الحملات والهجمات التي شنت عليه من الغرب، كما أنهم ادعوا أنّه ﷺ كاذب يدعو للعنف واتباع الشهوات[٢٦]. وأنَّ العنف والجنس في الدين هما من الأساسيات التي خلق من أجلها محمد، وأن المؤمنين بهذا الدين يفكرون بالضرورة بنفس الشكل أيضاً. حيث تمّ تصوير الإسلام على أنه مبنيٌّ أساساً على الحرب والاعتداء، وأنه يعطي الإذن بتعدد الزوجات، والمثلية الجنسية والتلذذ بشكل عام. كما يدعون أن الإسلام يخلق فكرة الحروب المقدسة حيث يقتلون ويسبون من خلالها كل من هو غير مسلم وبشكل وحشي، وأن الإسلام يصوِّر الجنة على أنها حديقة تحوي كل أنواع الشغف الجنسي والملذات[٢٧]. واستنادا إلى بيان دانيال أعلاه، يمكننا التعبير عن ادعاءاته المنسوبة إلى النبي في ثلاثة محاور:

١. يدّعي أنّ سيدنا محمدًا نبي كاذب، والإسلام مذهبٌ منحرفٌ عن الديانة المسيحية.

٢. يدّعي أنّ الإسلام دين العنف والإرهاب.

٣. يدعي أنّ سيدنا محمدًا مدمنٌ للشهوات والملذات.

(٢٣) Bk. Sümeyye Gedikoğlu, "*İslamafobia*", Kamuda Sosyal Politika, sayı: 34, Ocak-Şubat Mart-2016, s. 72.

(٢٤) Slavoj Zizek, *İn the wake of Paris Attacs The left Must Embarce Its Radical Western Roots*, http://inthesetimes.com/article/18605/breaking-the-taboos-in-the-wake-of-paris-attacks-the-left-must-embrace-its (2.10.2017).

(٢٥) Trust, *The New Muslıms*, London, s. 15.

(٢٦) Norman Daniel, *The Arabs and Medieval Europe*, London: Longman, 1975, s. 109, 220, 229, 314-17.

(٢٧) Norman Daniel, *Islam and the West,: The Making of the Image*, Edinburgh: Edınburg Unıversity Press, 1960, s. 123-125,136-154.

ب. إدّعاء كذب النبي:

على رأس ذلك تأتي الانتقادات الموجَّهة إلى النبي ﷺ بأنه دجال يدعي النبوة، تماماً كما ادّعى يوحنا الدمشقي السالف ذكره، وأنه ﷺ صاحب فكرٍ محدودٍ وجزئيٍّ، تعلَّمَ القرآن على يد الراهب الأريوسي فقدّمه للناس على أنّه كتابٌ مقدّسٌ كما يردِّد توما الأكويني Thomas Aquinas [٢٨]، وقريبٌ من هذا ما ادعاه مستشرقون آخرون من أمثال: ليون كايتاني Leone Caetani (ت١٩٣٥)[٢٩]، وكاردیني فرانكو Cardini Franko [٣٠] وأميل درمنغهام Emile Dermanghem (ت ١٩٧١).

إنَّ صدق نبوته ﷺ جاءت من بين سطور الكتاب المقدس ذاته، فلقد ذُكر في الأناجيل وخاصةً إنجيل يوحنا في أربعة أماكن مختلفةٍ أنّه سيأتي براكليت (Paraklit)[٣١] حيث يتفق المعنى المذكورة في إنجيل يوحنا في الإصحاح ١٦ آية ١٣ تماماً مع سورة النجم الآية الثالثة والرابعة ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾. وإنّ معنى اسم أحمد المذكور في القرآن هو الحمد والفخر. حيث ذُكر كذلك اسم براقليطوس (Parakletos) في إنجيل يوحنا بمعنى أحمد[٣٢]. في حين أن عيسى عليه السلام في إنجيل برنابا قد ذَكَرَ أنه ولد قبله وسيبعث بعده، وسيأتي بالحق والقرآن وليس لي مقام أن أعقد له حذاءه[٣٣] ويتابع أنه لن يأتي من نسل إسحاق، وإنما من نسل إسماعيل عليهما السلام، وسيكون اسمه محمد[٣٤].

فلقد ورد في القرآن الكريم أنّ سيدنا عيسى عليه السلام بشَّر بمجيء سيدنا محمد ﷺ وأن عدم قبول اليهود لسيدنا عيسى وادعاءهم أنه ساحر هو دليل بحد ذاته على نبوة عيسى[٣٥]. لقد طلب مشركو مكة من الرسول معجزاتٍ فلم يقبل مطالبهم؛ لأنّ اليهود والأقوام السابقين كانوا ينكرون المعجزات بعد حدوثها، واكتفى بالمعجزة الكبرى حيث طلب من مشككي الوحي والنبوة أن يأتوا بمثله ولو بمساعدة الجن فلم يستطيعوا. والخلاصة أنّ هؤلاء الأقوام من أهل الكتاب ومع وجود هذه الدلائل[٣٦] فإنهم لم يؤمنوا بل أعرضوا بدليل أنّ مسيحيي نجران لم يقبلوا المباهلة (الملاعنة)؛ لأنّهم يعلمون علم اليقين حقيقة النبوة[٣٧].

---

(٢٨) Montgomery Watt, *İslam'ın Avrupaya Tesiri*, (Çev. Hilmi Yavuz), İstanbul, Boğaziçi yayınları, 1986, s. 82.

(٢٩) Leone Caetanı, *Maometa profeta d'Arabia*, Roma 1910, , I, 7, 156-157, II, 61, 76, 77; *İslâm Tarihi* (trc. Hüseyin Cahid), İstanbul 1924-27, I, 310-322, 374-379bk. Mahmut H. Şakiroğlu, "Caetanı, Leon" *DİA*, VI, 545.

(٣٠) Cardini, Franko, *Avrupa ve İslam*, (Çev. Gürol Koca) İstanbul, Literatür Yayınları, 2004, s. 175.

(٣١) İncil (Müjde) Türkçe Tercümesi, İstanbul, Yei Yaşam Yayınları, 1996, Yuhanna, Bab: 14: Ayet 16,26 Bab: 15, Âyet, 26-27 Bab: 16, Âyet, 7-13.

(٣٢) Elmalılı Hamdi Yazır, *Hak Dini Kuran Dili*, İstanbul, Eser, 1971,VIII/12-17.

(٣٣) Barnabas, Bab: 42: 13 Ayet. (Çev. Halil, Saade) by., Matbatı Menar, ts., s.41-2.

(٣٤) Barnabas, Bab:43-44.

(٣٥) Saf 61/6.

(٣٦) Bakara 2/146.

(٣٧) Ali İmran 3/61.

إنّ ادّعاء أهل الكتاب أنّ النبي قد حرَّف أدلة التوراة والإنجيل، كان على عكس قول المسلمين فيهم، حيث يراهم قوماً محرِّفين عابثين في نصوص العهدين القديم والجديد[٣٨]. وكلّ طرفٍ من الطرفين سعيدٌ بما لديه من أدلة[٣٩]. وكأنّه وصل إلى الحقيقة بنفسه. وادعَوا أنّ الإسلام مذهبٌ منحرفٌ عن الديانة المسيحية، وأنَّ المسلمين يسجدون للكعبة. لكنَّ هذه الادعاءات فارغةٌ وباطلة؛ لأنّه لو كنا نسجد للكعبة كما ادعَوا فإنَّ أتباع أهل الكتاب يسجدون كذلك للمسجد الأقصى الموجود في القدس. ولو أردنا النظر بهذه الطريقة لوجدنا جميع الأديان هي أديانٌ وثنيةٌ؛ لأنَّ كلَّ دينٍ يمتلك أشياء مقدّسةً يسجد لها. كما الحال عندما أمر الله الملائكة أن تسجد لآدم عليه السلام[٤٠]. وإنّ علة سجودنا باتجاه الكعبة هو ليس للكعبة بذاتها وإنما هو سجود لله تعالى[٤١]. ولا يوجد دليلٌ على أنّ سيدنا محمدًا أخذ تعاليم الإسلام من مذهب الراهب أريوس، كما أنّ ادعاء أخذ النبي تعاليم الإسلام من الراهب بحيرا عندما مرّ بسوريا حين كان مسافرًا وهو صبيٌّ صغيرٌ هي ادعاءاتٌ واهيةٌ ومتناقضةٌ أيضاً. فإنّ الراهب بحيرا[٤٢] عندما رأى الغيمة تظلِّل النبي والأشجار تنحني له، دعا رجال قريش لوليمة، مما أثار فضول وتعجب رجالات قريشٍ من دعوته لهم، فأوقفوا النبي عند متاعهم بالقافلة كونه صبيًا صغيرًا، مما زاد من إصرار الراهب على حضوره والإصرار عليه ثم سأله بعضًا من الأسئلة ونزع ملابسه عن كتفه ليرى خاتم النبوة، وعندما رآه على ظهره توجه مسرعًا إلى أبي طالب عمِّ رسول الله وسأله عن والد هذا الطفل، وفور علمه أنه يتيم أوصى به أبا طالب وطلب منه الاعتناء به كثيرًا وأن يحميه من اليهود، الشيء الذي أدّى إلى إنهاء أبي طالب أعماله هناك وعودته مسرعًا إلى مكة. وفي آخر هذه الرواية يذكر أنَّ الراهب بحيرا صدَّ ثلاث محاولات اعتداء صدرت من أهل الكتاب كادت أن تودي بحياة سيدنا محمد ﷺ[٤٣].

وقد اختلف بعض العلماء حول صحة هذه الرواية حيث أكّدوا عدم صحتها بسبب سندها المرسل خصوصًا وأنّ هذه الحادثة لم يرها أحدٌ ممن رووها على الإطلاق[٤٤]. وعلى الرغم من كون هذه الرواية غير صحيحة فلو افترضنا صحتها، وأنّ النبي محمداً التقى الراهب وأخذ عنه تعاليم الإسلام الذي هو مذهبٌ

(٣٨) Nisa 4/46.

(٣٩) Mü'min 23/53.

(٤٠) Sad 38/73.

(٤١) Necm 53/62.

(٤٢) İbnü'n-Nedîm, *el-Fihrist*, s. 24.

(٤٣) Tirmizî, Muhammed b. İsa, *el-Camiu's-Sahih Sunen et-Tirmizî*, (Tahk. Ahmed Muhammed Şakir) Beyrut, Daru ihyau turasilarabi, ts., "Menakıb" 3; Beyhâkī, *Delâilü'n-nübüvve* (nşr. Abdülmu'tî Kal'acî), Beyrut 1405/1985, II, 24-29; Suyûtî, *el-Hasâisü'l-kübrâ*, (nşr. M. Halil Herrâs), Kahire 1386-87/1967, I, 206-213; Nebhânî, *Huccetüllâh ale'l-âlemîn*, Beyrut 1316, s. 157-160; Mevlânâ Şiblî, *İslâm Tarihi, Asr-ı Saâdet: Peygamberimizin Sîreti*, (trc. Ömer Rıza [Doğrul]), İstanbul 1346/1921, I, 198-202.

(٤٤) Ebû Nuaym, Ahmed b. Abdullah, *Duafa*, Tahk. Faruk Hamede, by., Daru's-Sakafe, 1984, I, 144; Darekutnî, Ali b. Ömer, *Sualatu'l-Hakim*, Thak. Muhammed b. Abdullah, Riyad, Mektebetu'l-Marif, 1.bs. 1984, I, 123.

منحرفٌ عن الديانة المسيحية على حدّ زعمهم، فلن يستطيع أن يتعلم ويحفظ كل هذه التعاليم والمعلومات الهائلة الموجودة في الإسلام؛ ولهذا فإنَّ رواية الراهب بحيرا على افتراض قبولها أو ردّها لا تزيد ولا تنقص من جوهر الدين الإسلامي شيئاً[٤٥].

ب- شبهة تأييد الإسلام للإرهاب والعنف:

أدّى غزو الولايات المتحدة للعراق، وإساءة استغلال إيران الوضع هناك إلى عدم الاستقرار في المنطقة، إضافةً إلى اعتداءات الدكتاتور بشار الأسد في سوريا وما ترتّب على ذلك من انعدام الأمن كل ذلك أدّى إلى ظهور منظمة مثل داعش وغيرها من المنظمات الإرهابية ولو اتخذت لها أسماء تُشعر بالإسلام إلا أنَّها بما فعلت من أفعالٍ تتعارض مع الإسلام. وفي البدء أعلن البابا «أورانوس» الثاني الحرب الصليبية الأولى في عام ١٠٩٥م وقال إنّ «المسلمين خُدّام الشياطين؛ ولذا فإنّ الحرب معهم في الواقع معركة بين أعداء الله وأوليائه»[٤٦]. وقال «لوتر لا نو وآبرو كومبي و فراجيس باجون»: «المسلمون متوحشون وبربريون وطغاة وقساة القلوب»[٤٧] وقال: «ولتري إنّهم قطاع الرؤوس»[٤٨]. وقال «مونتسكيو وبترو ولاويس» مصدر العنف هو الإسلام نفسه، ووفقًا للمعايير الغربية فكلّ من على دين محمد يُعد من المستبدين والظالمين. وفي ٣٠ سبتمبر ٢٠٠٥، قامت صحيفة «جيلاندس بوستن» بنشر صورةٍ كاريكاتورية رسمها أحد الرسّامين الساخرين الدنماركيين يرسم فيها النبي محمداً عليه السلام في صورة قنبلة مفخخة ويرسم صورة أسامة بن لادن كشخص يَعِدُ الإرهابيين بالجنة[٤٩]. فأدَّى هذا إلى ردود فعلٍ في البلدان الإسلامية، وتسبّب في فقدان مئات الأشخاص حياتهم نتيجة للأحداث؛ لأنَّه ووفقاً لمعتقدات المسلمين يحظر تصوير أنبيائهم ولو بطريقة طبيعية[٥٠]. وأوضحت الدول الإسلامية بما في ذلك تركيا والمسلمون الذين يعيشون في الدنمارك، والبعثات الدنماركية أنّ هذا ليس له أيُّ مصلحة في العلاقات بين الشعوب، وطُلِبَ من رئيس الوزراء الدنماركي «أندرس فوغ راسموسين» موعد لكن الطلب رُفض، وبعد ردود فعل شديدة من المسلمين بدأ يعترف بأنه يحترم المعتقدات الدينية ولا يوافق على تصوير شخصياتٍ دينية

(٤٥) Bkz.Mustafa Fayda, "Bahîrâ" *DİA*, İstanbul, İSAM, 1993, IV/487.

(٤٦) Dominique Schnapper, *Sosyoloji Düşüncesinin Özünde Öteki ile İlişki*, (çev., Aşegül Sönmezay), İstanbul, İstanbul Bilgi Üniversitesi Yayınları, 2005, s. 45.

(٤٧) Francis Bacon, *Denemeler*, (Çev. Elif Günçe), İstanbul, Morpa Kültür Yayınları, 2004, s. 45111.

(٤٨) Voltaire, *Candide ya da İyimserlik*, (Çev. Server Tanilli), İstanbul, Cem Yayınları, 1994, s.242.

(٤٩) Francis Bacon, *Denemeler*, (Çev. Elif Günçe), İstanbul, Morpa Kültür Yayınları, 2004, s. 45111. Galen Voltaire, *Candide ya da İyimserlik*, (Çev. Server Tanilli), İstanbul, Cem Yayınları, 1994, s.242.

(٥٠) Johnson, "Muhammad and Ideology in Medieval Christian Literature", *Islam and Christian-Muslim Relations*, XI-, 2000, s. 336-338; Albert Hourani, *Avrupa ve Orta Doğu*, (Çev: Ahmet Aydoğan, Fahrettin Altun), İstanbul 2001, s.60;Alain Servante, "Batılıların Gözünde Türk İmajının Geçirdiği Değişimler", (Ed. Özlem Kumrullar), *Dünyada Türk İmgesi*, İstanbul, Kitap Yayınevi, 2. Basım, 2008, s.59Aslı Çarkman, "*Avrupa ve Öteki: Avrupa İmgesinin Osmanlı Aydınlanmasından Yansıması*", (Der.E. Fuat Keyman), Türkiye'nin Yeniden İnşası, İstanbul, İstanbul Bilgi Üniversitesi Yayınları, 2013, s. 55-58. Barın, *Tedirğin Nefret İslamofobi*, s. 137;Canatan, *Batı Dünyasında İslamofobi*, s.422.

بطريقة تؤدي إلى تحقيرها[٥١]. وفي النرويج، التي تُعتبر واحدةً من أكثر بلدان العالم أمانًا، عاش الناس أفظع مذبحةٍ هزَّت أوروبا منذ الحرب العالمية الثانية بعد مذبحة أوسلو مباشرة، شُبّهت في وكالات الأنباء بهجمات ١١ من سبتمبر، زاعمين أنّ إحدى المنظمات الإرهابية الإسلامية قامت بذلك، على الرغم من أنّ المذبحة كانت مخططةً من قبل النرويجي «Bereivik Anders»، حيث قُتل ثمانية أشخاص بقنبلة مفخخةٍ في وسط أوسلو وبعده شُنَّ الهجوم في جزيرة «Utoya» مما أسفر عن مقتل تسعة وستين شخصًا[٥٢]. ويعترف «Bereivik» بأنّه «فارس المعبد» ويحارب باسم الصليبية والمسيحية ومن أجل الخير، فلو كان القاتل مسلمًا، فسيتم وضع الهوية الدينية في مقدمة وسائل الإعلام على الفور وسيتم إطلاق الإرهاب على الإسلام، لكن عندما يُفهم أنّ القاتل ليس مسلماً، فإنّ الخلل العقلي يتصدّر الأسباب، والأمر ذاته في ولاية تكساس الأمريكية، حيث أطلق أحد الأشخاص النّار على من في الكنيسة، ووفقًا للمعلومات الأوّلية قتل ٢٦ شخصًا في الهجوم وأصيب ٣٠ آخرون[٥٣]. وبعد أن تبيّن أنَّ القاتل «Devin Patrick» الذي أغار على الكنيسة مسيحيٌّ أوضح «Trump» أنّ هناك الكثير من الناس الذين يعانون من مرضٍ عقليٍّ[٥٤]. فلو كان هذا مسلمًا لاهتز العالم برمته، إنَّ كلَّ نشاطٍ إرهابيٍّ بعد هجمات سبتمبر أُلصق بالإسلام وذلك للتأكيد على التخويف منه[٥٥] إنَّ هذه المحاولات جعلت الاشتباه والتمييز الذي يتعرض له مسلمو أوروبا أمرًا روتينيًّا عاديًّا مما يضاعف الصعوبات التي يواجهونها باعتبارهم محل شك وريبة في هذه المجتمعات.

إنّ ١,٧ مليار شخص يؤمنون بالرسول والإسلام فالمشكلة إذًا ليست في معتقدات الإسلام أو تعاليمه، فهو مثل باقي الأديان السماويّة يقترح السلام والعدال والأخوة والحب والمساعدة بين البشر، لكن هناك من يلجؤون إلى العنف من بين منتسبيه كما هو الحال في كلِّ الأديان، فعلى سبيل المثال اليوم تُعتبر الهجمات الإسرائيلية والعنف ضد الشعب الفلسطيني أكثر الأمثلة الحية على إرهاب الدولة في نظر الرأي العام الدولي، وفي بورما هناك أعمال إرهابٍ بوذية وحشية ضدَّ المسلمين الأركانيين، وكذا ما تقوم به منظمة كريستيان أنتي بالاكا في جمهورية أفريقيا الوسطى ضدّ المسلمين، والصراعات العنيفة بين الكاثوليكية والبروتستانتية، والأعمال الإرهابية التي ترتكبها الدولة في أيرلندا وبريطانيا، فلا يُنسب أيٌّ منها إلى معتقدات دينية أو مذهبية، مثل المسيحية أو الكاثوليك أو البوذية، ولا ينبغي نسبتها. فيجب حينئذٍ معاملة ما يقوم به بعض المنتسبين إلى الإسلام

(٥١) Vinocur, J., ve Bilefsky D., "Dane Sees Greed and Politics İn The crisis", *Newyork Times*, 10.02.2006. http://www.nytimes.com/2006/02/10/world/europe/dane-sees-greed-and-politics-in-the-crisis.html. (3.10.2017).

(٥٢) Küçükcan, T. (2009). Avrupa İslamofobiye teslim mi?, Ankara, SETA Vakfı Yayınları, 2009. https://www.setav.org/avrupa-islamofobiye-teslim-mi/ (3.10.2017).

(٥٣) 05 Kasım 2017, Pazar 22:18.http://www.posta.com.tr/abd-de-kiliseye-saldiri-cok-sayida-olu-ve-yarali-var-haberi-1349257. (6.11.2017).

(٥٤) http://edition.cnn.com/2017/11/05/politics/trump-texas-shooting-act-evil/index.html.

(٥٥) Barın, *Tedirgin Nefret İslamofobi ve DAEŞ*, s., 119.

بالمثل، حيث لا تنسب أفعالهم إلى الإسلام، بل تنسب لذوات من قام بها. ومن المفهوم أنَّ الغرب وأمريكا هما من تسبّبا في ولادة منظمات مثل طالبان وحزب الله وداعش، وهما من خطّطا ونفّذا هجمات ١١ من سبتمبر مع الجماعات المتطرفة من أجل تأكيد ادعاء صدام الحضارات وفي خلفية تلك المخططات إعاقة متعمدة لأولئك الذين يختارون الإسلام ديناً، والحفاظ على مصالحهم في العالم الإسلامي في جو من هذا الاضطراب، وللقيام بذلك يَسِمون النبي والمسلمين بالإرهاب.

لقد قضت محاكم العديد من الدول الأوروبية بأنّ المطبوعات الصحفية المسيئة تستهدف المسلمين الذين يدعمون الإرهاب فقط وليس كلَّ المسلمين، وبالتالي فهي تدخل في إطار حرية الفكر والنقد. لكنّ محمداً الذي يُصوَّر كشخصٍ إرهابيٍّ شهواني، ليس رمزًا للذين يشنّون الهجمات المزعومة فقط، بل هو رمزٌ دينيٌّ لجميع المسلمين بلا استثناء، وهذه الأحكام القضائية لا تُغيّر من الأمر الواقع شيئاً، فهناك انتهاك واضح ومتعمد لقاعدة احترام الحساسيات الدينية، وهو حقٌّ أساسيٌّ من حقوق الإنسان في المقتضيات القانونية الأوروبية.

«الإسلام» يعني «السلام» في اللغة، وقد ورد في القرآن أنّه من المحظور قتلُ رجلٍ عمدًا بغير حقٍّ، وأنّ عقابه هو البقاء في الجحيم إلى الأبد. لقد ذُكر في القرآن أنّ قتل شخصٍ يساوي قتل جميع الناس، وأنّ إنقاذ حياته يعادل إنقاذ حياة الجميع. قال تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ۝٩٣﴾ [النساء ٤/ ٩٣، المائدة ٥/ ٣٢، البقرة ٢/ ٢٠٨).

لقد حارب النبيُّ ﷺ عند الضرورة ومع ذلك منع من قتل الأطفال الذين لا يقاتلون المسلمين أثناء الحرب، والنساء[٥٦] والمسنين والمتعبدين ومنع من تدمير المعابد، وقتل الحيوانات وقطع الأشجار[٥٧]. عندما تؤخذ هذه المبادئ الإلهية في الدين الإسلامي بعين الاعتبار فإنّ الإرهاب والعنف والاكتئاب والفوضى لن يكون له أيُّ صلةٍ بالإسلام. كما أنَّ الذين يقولون إنّهم «فرسان المعبد» في الغرب لا ينبغي القول بأنّهم فعلوا ذلك باسم المسيحية، فكذلك نسبة ما تفعله بعض الجماعات الإرهابية في العالم الإسلامي من الهجمات باسم الإسلام لا يصح نسبتها إلى النبي أو لجميع المسلمين. ويلخّص «Watt» النتائج التي توصَّل إليها في هذا الصدد على النحو التالي: «معظم المفكرين المسيحيين يعتقدون أنَّ محمداً نشر الإسلام بالقوة العسكرية الدينية، وأنّه كان يعتقد أنَّ الإسلام يأمره أن يحارب أعداء الله ويعتدي عليهم ويقتلهم. فالتصوير الأوروبي للإسلام بعيدٌ عن الحقيقة كل البعد. لقد استخدم المسلمون الأنشطة العسكرية للنمو سياسياً فقط. فتصميم صورة الإسلام كدين العنف مع تقديم المسيحية كدين السلام ينتشر عن طريق الإقناع بصورةٍ مغلوطة. يعتقد المشاركون في الحروب الصليبية أنَّ دينهم دينُ السلام وأنَّ دين المعارض هو دين العنف[٥٨]. على الرغم من أنّ حركات الغزو التي قدّمها المسلمون قد ثبت أنّ لها أسساً شرعية ومبررة للمسلمين، إلا أنها اعتُبرت تهديدًا للطرف الآخر وأدّى ذلك إلى

(٥٦) البخاري، الجهاد والسير، ١٤٥: أبو داود الجهاد، ١٢١.
(٥٧) السمعاني عبد الرزاق بن همام، المصنف، مكتبة الإسلامي،١٤٠٣، ٤، ٤٥٣.
(٥٨) Montgomery, *İslamın Avrupaya Tesiri*, s.82.

مشاعر «معاداة الإسلام» و«الرعب من الإسلام» -إسلاموفوبيا-[٥٩]. وما أوضحه «Watt» من هذه التصريحات يشير إلى أنَّ هناك تصوراتٍ متعمدة حول الإسلام والمسلمين. ومع ذلك، فإنّ النقطة المهمة هنا هي أنّ كلمة «الجهاد» في القرآن والأحاديث لا تعني القتال دائماً. فكلمة «جهاد» كما تعني «القتال» كذلك تعني بذل الجهد والسعي أيضًا. فمن الواضح أنّ الجماعات الإرهابية التي تعبِّر عن نفسها في الإسلام قد أخذت أدلةً من الآيات والأحاديث في هذا السياق، ولكنّ تفسير كلمة الجهاد في كلِّ الآيات بالقتال مشكلةٌ لابدَّ من اجتنابها، وبالأخصّ آية سورة النساء: ﴿ لَّا يَسْتَوِي ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ ﴾ [النساء] وآية سورة العنكبوت: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾ [العنكبوت] حيث تدّعي المنظمات الإرهابية كداعش أنَّ الآيتين تأمران بالقتال حتّى تؤسَّس دولة الإسلام فتعتبر هذه المنظمة كلَّ المسلمين الذين ليسوا منهم ضالين ويجب قتلهم حتى الأبرياء الذين لم يهاجموهم يعذبونهم مستدلين ببعض الآيات الجهادية بقطعها عن السياق[٦٠]. فالآية من سورة العنكبوت نزلت قبل تشريع القتال، يقول المفسرون إنها مكيةٌ فلا تُفسَّر بالحرب، بل بالكفاح بأنواعه ضد الكفر. يقول ابن الجوزي (٧٥١هـ-١٣٥٠م) معنى الآية: جهاد النفس والصبر عند أذى الكفار والشدائد، والثبات في الهجرة، وقيل القتال، وهذا ضعيف لأنَّ القتال لم يكن مشروعاًعند نزول الآية[٦١]. ويقول القرطبي (٦٥٦-١٢٥٨) إنّ معنى الآية : ارغبوا في الوصول إلى رضا الله، وأفاد السدي وغيره من المفسرين أنَّ الآية نزلت قبل تشريع القتال[٦٢]. وقال ابن القَيِّم الجوزية معنى الآية: قد وجه الله سبحانه وتعالى الناس إلى الهداية بجهاد النفس والشيطان والدنيا، فمن جاهد في الله مع هذه المعوِّقات هداه الله إلى رضاه ومن ترك الجهاد بسبب هذه المفاسد حرم من الهداية[٦٣]. وقال الجنيد البغدادي (٢٩٧هـ-٩٠٩م) في تفسير الآية: توبوا إليَّ وخالفوا النفس بترك المعاصي أهدكم إلى رضاي وجنتي[٦٤]. ولو كان هناك بعض المجموعات التي تفسِّر القرآن بطريقةٍ جزئيّةٍ منفصلةٍ عن سياقها، فإنَّ هناك آياتٍ تنُصُّ بوضوحٍ على أنّ القرآن لا يأمر بمعاداة أيِّ شخصٍ لا يحارب الإسلام، يقول بعض غير المسلمين إنَّ الجهاد عنصر مهم يهددهم، وبالتالي يجب منع المسلمين من الانتشار إلى دول أخرى، وهذا وهمٌ خاطئ.

(٥٩) Canatan, *Batı Dünyasında İslamofobi ve Anti-İslamizm*, s. 83,70.

(٦٠) Imadüddin Haytî, *şübehât tazimi 'd-devleti'l-İslâmî ve'r-red aleyha*, yy., Heyetü'ş-Şami'l-İslamiyye, 1. bs. 2015, s. 70, 71.

(٦١) ابن الجوزي، محمد بن أحمد، التسهيل لعلوم التنزيل، دار الكتب العلمية ١٩٩٥، ٢، ١٢٩.

(٦٢) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ١٣، ٥- ٢٦٤.

(٦٣) ابن القيم، الفوائد، ١، ٥٩.

(٦٤) ابن تيمية، جامع التحصيل، ٦، ٨٢.

ج-التصوُّر الغربي عنِ المرأة في الإسلام:

إنّ السائد في أوروبا في العصور الوسطى بحسب «وات» تصوير رجال الدين النصارى النبيَّ عليه السلام بأنّه رجل شهوانيٌّ يدعو لدين شهواني، حيث فُسِّرت آيات القرآن عمدًا وبشكلٍ غير صحيح في مجال التعدُّد بأنه يسمح للمسلم بسبع نساءٍ أو عشرة، وأنَّ القرآن يسمح للرجال بالشذوذ الجنسي! على الرغم من أنهم كانوا يعلمون أنه لم يُسمح بأكثر من أربعة. فهم يعتمدون على الادعاءات الكاذبة والمبالغة، وفي سبيل ذلك انتقدوا حياة النبي الأسرية أقصى انتقاد؛ كي يخرج الإسلام من منظور القرون الوسطى بصورة سخيفة في كثير من النواحي[٦٥]. أما في ذلك العصر، فقد زعم بعض المستشرقين الحداثيين مثل «Leone Caetani (1935)» «Emile Dermanghem (١٩٧١)» وآخرون أنّ نجاح محمد كان بسبب إعلانه للحرية الجنسية في الزواج، ووجّهوا اتهاماتٍ كثيرةً حول زواج النبي بزينب بنت جحش مع تعليقات مشوهة للغاية، حيث افتروا عليه كثيراً من الافتراءات[٦٦]. وفي مقدمة هذه الانتقادات يأتي زواجه بعائشة، حيث صوّروه برجلٍ في سن الرابعة والخمسين تزوّج من طفلةٍ كانت تلعب مع البنات[٦٧]. لقد وصفوا هذا الزواج بأنّه زواجٌ شهواني، وقالوا: رجلٌ مسِنٌّ يتزوج فتاة عذراء! «زواج غريب!»[٦٨] فقد ادَّعوا أنه كان مولعًا بالنساء برغم ما لديه من الزوجات.

١- الادّعاءات الكاذبة حول الشهوانية:

شرع النبي عليه السلام في موضوع عقد الزواج تغيرات هامَّة، لكن لم يتدخل في موضوع سنّ الزواج وحفله حتى إنَّه كان تابعاً للتقاليد في هذا المجال وبعض التصرفات التي قام بها كعضو في المجتمع العربي في القرن السابع كانت محل انتقادات، ومن بينها تعدُّد الزيجات، وزواجه بزينب بنت جحش وعائشة، على وجه الخصوص، فقد بالغ بعض المستشرقين في انتقاداتهم من خلال مقارنة العادات والتقاليد العربية لتلك الفترة بثقافتهم وتصورات العصر الذي يعيشون فيه.

ا- **تعدُّد الزوجات**: كانت في الفترة التي عاش فيها النبي عليه السلام أسبابٌ اجتماعيّةٌ وسياسيّةٌ لتعدُّد الزوجات خاصة للملوك والرؤساء، وتزوّج النبي باثنتي عشرة امرأة من مختلف القبائل والأمم، من هؤلاء خمسة من قريش، وزوجات النبي عليه السلام هنَّ:عائشة بنت أبي بكر، وخديجة بنت خويلد، وسودة بنت زمعة، وحفصة بنت عمر، وزينب بنت خزيمة، وأمُّ سلمة بنت أبي أميَّة، وزينب بنت جحش، وجويرية بنت الحارث، وصفية بنت حُيَي، وأم حبيبة بنت أبي سفيان، ومارية القبطية، وميمونة بنت الحارث[٦٩]. وكانت معظم

(٦٥) Montgomery, *İslamın Avrupaya Tesiri*, s.83.

(٦٦) Caetanı, *Maometa profeta d'Arabia,* II, 61, 76, 77.

(٦٧) Reinhart Dozy, *Tarihte İslamiyet*, (çev: Abdullah Cevdet -Osmanlıca metin-), İstanbul 1908, I, 105.

(٦٨) Aişe Abdurrahman, *Rasulullahın Annesi ve Hanımları*, çev: İsmail Kaya, Konya 1987, II, 72.

(٦٩) Hamidullah, Muhammed, *İslam Peygamberi*, (Çev. Salih Tuğ), İstanbul, İrfan Yayımcılık, 1990, II, 676–691; Ziya Kazıcı, *Hz.Muhammed'in Eşleri ve Aile Hayatı*, İstanbul, Çağ Yayınları, 1991, s. 73–331; Aişe, Abdurrahman, *age.*, s. 399–400.

زوجاته ثَيِّباتٍ ولهن أطفال وكان زواجه بعد وفاة خديجة في المدينة المنورة وبصفته رئيسًا للدولة. تمّ انتقاد زواج النبي بأكثر من امرأةٍ من قِبَل المستشرقين الغربيين لعدم ملاحظتهم تعدد الزوجات كجزء من النظام الاجتماعي في تلك الفترة، ولعدم اعتبارهم تلك القضية ضرورةً في حلّ العديد من المشكلات الاجتماعية والاقتصادية والأخلاقية(٧٠). لم يتناول العلماء الغربيون الذين قدَّموا هذه الانتقادات موضوع تعدد الزواجات لداود عليه السلام مما يشير إلى أنَّهم غير محايدين في انتقاداتهم(٧١). تزوّج النبي عليه السلام بخديجة وهو في الخامسة والعشرين من عمره وهي كانت في الأربعين من عمرها، حيث كانت تكبره بخمسة عشر عاماً ولم يتزوّج بغيرها مدة حياتها، وتزوج بعد وفاتها وهو رجلٌ مسِنٌّ في سن الخمسين، وكان معظم زوجاته في المدينة المنورة عندما كان في الثالثة والخمسين من عمره وهو رئيسٌ للدولة الإسلامية، ومع ذلك فإنَّ جميع نسائه كنّ ثيِّبات ولديهن أطفال من زواجهن السابق، وهذا يدلّ على أنّ الدافع الرئيسي لزواجه ليس «شهوة»، بل السبب الرئيسي هو الهدف السياسي، مثلا زاوج النبي بعائشة وحفصة كان سببًا لتعزيز العلاقة بأبي بكر وعمر، وزواجه بأمِّ سلمة المخزومية منع العداء مع قبيلة أبي جهلٍ المخزومي، وهوأعظم عدو للإسلام، وتزوَّج من أمِّ حبيبة فحاول من خلاله أن يخفِّف من عداوته لأبي سفيان والدها وهو زعيم مكة، وجعله لا يواجهه في المعركة. وتزوّج صفية بنت بني النضير فخفَّف من عداء اليهود، وتزوَّج جويرية ابنة زعيم بني المصطلق، وكان هذا وسيلةً لدخولهم الإسلام، وتزوّج ميمونة فحقَّقَ القرابة من تسعة زعماء قبائل مشهورين كانوا متزوجين من تسع شقيقات لميمونة، وأصبحوا قريبين منه، وزواجه من زينب كان بأمرٍ من الله بهدف إلغاء عادة جاهلية وبشأنها نزلت الآيات من القرآن، وزوجته زينب بنت خزيمة كانت من قبيلة هوازن وكانت قبيلةً قويةً جدًّا وبهذا عزز العلاقة معهم أيضاً(٧٢). ومع ذلك فإن هذا الزواج من النبي كان في سن الشيخوخة وليس الشباب، بالإضافة إلى ذلك كان المشركون في مكة وهو شاب قد عرضوا عليه الزواج بأجمل البنات من كل قبيلة والرئاسة والمال فلم يقبل منهم ورفضه(٧٣). وهذا دليلٌ واضح على أنَّ زواجه كان لأسبابٍ سياسيةٍ واقتصاديةٍ وثقافيةٍ وليس لأسبابٍ شهوانيةٍ خاصةٍ.

ب- زواج النبيِّ بعائشة: يختلف سنّ الزواج ونوع الزواج والتقاليد والممارسات باختلاف الثقافات والمجتمعات والأديان. فزواج النبي عليه السلام بعائشة، قد تعرَّض لانتقاداتٍ لصِغَر سنِّها وخاصة في يومنا هذا. في حين كان عُمْر النبي فوق الخمسين، وعلى الرغم من تخريجات بعض العلماء حول سنّ السيدة عائشة عند زواجها بالنبي أنها قد بلغت ١٧ أو ١٨ إلا أنّ مصادر الفترة الأولى توافق على أنّ خطبتها كانت في السادسة

(٧٠) Bu konudaki iddialar için Bkz: Abdülaziz Hatip, *Kuran ve Hz. Peygamber Aleyhindeki İddialara Cevaplar*, İstanbul 1997, 164 vdg.

(٧١) Fazlurrahman, *Siret Ansiklopedisi*, (çev: Heyet), İstanbul 1990, II, 197 vd.

(٧٢) Mehmet Azimli, "Hz. Aişe'nin evlilik yaşı tartışmaları ya da savunmacı tarihçiliğin çıkmazı", *İslami Araştırmalar*, Ankara, 2003, XVI. cilt, 1. sayı, 28, s. 2-3.

(٧٣) الماوردي، أبوالحسن علي بن محمد، عالم النبوة، بيروت، دار الكتب العربي ١٩٨٧، ١، ١٠٠.

وأنّ الزواج كان في التاسعة. هؤلاء العلماء أخطؤوا في تقييم سنِّ الزواج، حيث حاولوا تحديد سن الزواج بين ١٥-٢٠ سنة وهو ما في ثقافهم، وقاسوا سنَّ زواج عائشة على ذلك، حيث قالوا إنَّه لا يمكن للنبي عليه السلام أن يتزوَّج بطفلةٍ لها تسع سنوات، وإنّ ذلك «من الافتراء والخطأ الذي يجب تصحيحه وقالوا إنّها تزوّجت ولها ١٧-١٨ سنة من العمر»(٧٤) في إطار الحملة ضد الإسلام، قال الملحد، «على حرسي أعيان»، «إنَّ هذا الزواج نموذج للانحراف الجنسي حسب المعايير الغربية» وقال عندما أراد محمد الزفاف كانت عائشة تلعب بلعبتها، هذه الطفلة التي كانت تحبّ اللعب صارت زوجةً لنبيٍّ بلغ حد الشيخوخة! ولم تكن زوجة النبي مستعدةً لترك الطفولة والألعاب الطفولية، لقد فهم محمد هذا الأمر وتركها على سجيتها(٧٥). ويقول إلهان آرسلان: «الفتيات المتزوجات في سنّ مبكِّرةٍ من الرجال المسنين يرَيْن أزواجهن كآباء ويطعنهم على الإطلاق، مما يؤدّي إلى استعبادهن مدى الحياة؛ لأنّ الفتاة المتزوجة في سن مبكرة، والمحبوسة في المنزل، تُحرَم من أشياء كثيرة، ويؤدي ذلك إلى ضغطها وتدمير شخصيتها وهي ضرورة للنظام الاجتماعي وفقاً للشريعة الإسلامية، وهي من أسباب تخلُّف المجتمعات الإسلامية. فالزواج المبكِّر للبنات ينتج استعبادهنَّ لأزواجهن ويكون سبباً لاضطرابات اجتماعية ومن العقبات التي تتعرض لتقدم المجتمع»، ويقول «آرسلان»: «إنَّ النبي عليه السلام كان مثالاً للمجتمع من خلال هذا الزواج وأوصى به أيضاً»(٧٦). قبل أن نبدأ بشرح سنِّ زواج عائشة، يجب أن نوضح بإيجازٍ عمر زواج المرأة في عرب الجاهلية واليهودية والمسيحية وفي بعض المجتمعات الأخرى.

تختلف مراسم الزواج للأسرة التي تشكّل أساس كلّ مجتمع من ثقافة إلى أخرى، حتى من طبقة إلى أخرى. مثل سنّ الزواج وواجبات الزوجين وغيرها من العلاقات بينهما، حتى بين طبقات المجتمع نفسه. فيتمُّ تشكيل عادات وتقاليد كلّ مجتمعٍ حول الأسرة في اتجاه هيكله الثقافي الخاص به. وانطلاقاً من هذه الحقيقة يجبّ تقييم المجتمع العربي الذي يعيش فيه النبي عليه السلام في سياق طريقته الخاصة بالزواج من خلال التقاليد والعادات الحاكمة. كان أهل مكة يقومون بإلباس ملابس الزواج للبنات في دار الندوة مما يعني أنَّهنَّ وصلن إلى سنِّ الزواج(٧٧). والفتيات في هذه المنطقة عادة يتزوجن في سن الثانية عشرة، ولكن بعد ولادة الطفل يتم ضَمُّهُنَّ في الأسرة، وإذا متن دون ولادة لا يعزى أزواجهنَّ(٧٨). وفي الغالب كان والدها يمنحها الرجل الذي يريده، سواءٌ أرادت هذا الزواج أم لا، وسواء أكان الرجل مسنّاً أم لا(٧٩). أمّا بالنسبة إلى أهل الكتاب في اليهودية فلكي يكون الزواج صحيحاً فمن

(٧٤) العقاد، عباس الصديقة بنت الصديق، القاهرة، دار المعارف، ١٩٦٣،٣٩.

(٧٥) Toker, "Kadınların Peygamber Algısı Müslüman Kadınlar ve Hz. Muhammed", s. 139.

(٧٦) İlhan Arsel, *Şeriat ve Kadın*, İstanbul, Kaynak Yayınları, 1995, s. 145,151.

(٧٧) M. Şemseddin Günaltay, *İslam Öncesi Araplar ve Dinleri*, Ankara, Ankara Okulu Yayınları, 1997, s. 56; Ramazan Altıntaş, *Bütün Yönleriyle Cahiliye*, Konya, Ribat Yayınları, ts., s.37.

(٧٨) Abdülkerim Özaydın, "Arap", *DİA*, İstanbul, İSAM,1991, III, 321.

(٧٩) Ateş, Ali Osman, *İslam'a Göre Cahiliyye ve Ehli Kitap Örf ve Adetleri,* İstanbul, Beyan Yayınları, 1996, s. 281; Neşet Çağatay, *İslam Dönemine Dek Arap Tarihi*, Ankara, Türk Tarih Kurumu Yayınları, 1989, s. 35–36.

الضروري أن تبلغ البنت ١٢ سنة وأن يبلغ الرجال ١٣ سنة، فهذا سنّ البلوغ عند اليهود[٨٠]. وفي المسيحية، يختلف عمر الزواج باختلاف الوقت والبلدان، في روما وقانون الكنيسة القديم، كان سن الزواج ١٢ سنة للفتاة و ١٤ للصبي، في حين صار ١٤ للفتاة و ١٦ للصبي في القانون الجديد[٨١]. ويمكن اعتبار زواج ابنة الإمبراطور يوانيس البيزنطية البالغة من العمر ١٠ سنوات بـ«خليل بن أورهان»، دليلاً على زواج المرأة عبر التاريخ في المجتمعات والثقافات مختلفة[٨٢]. ومع ذلك، فإنّ الزواج المبكر للبنات ليس في الماضي فقط، بل لا يزال جارياً في آسيا وأوروبا، وخاصة في البرتغال وإسبانيا، وحتى في المناطق الجبلية النائية في الولايات المتحدة في يومنا هذا[٨٣]. وتشير المصادر الإسلامية القديمة إلى أنّ النبي قد عقد على عائشة في السادسة من عمرها ودخل بها في التاسعة[٨٤]. وهذا الأمر كان بعد وفاة خديجة حيث اقترحت خولة بنت حكيم على النبي عليه السلام أن يتزوج من الثيبات بسودة ومن الأبكار بعائشة، فيوافق النبي على هذا الاقتراح ويرسلها كرسول يتكلم باسمه[٨٥]. ولما تكلمت خولة مع أبي بكر في أمر الزواج تردد في «كيفية زواج الرسول من ابنة أخيه؟» ثم علم أن هذه الأخوة هي «أخوة الدين» وأنّ هذا الزواج ليس ممنوعاً، فأنكحه على خمسمئة درهم[٨٦]. فهذا النكاح الذي جرى قبل عامين من الهجرة، سيتم إنجازه بعد الهجرة بسبعة أشهر، فعندها سأل أبو بكر النبي عليه السلام لماذا لم يأخذ معه عائشة؟ فأجابه بأنَّه ليس لديه ما يعطيه من المهر فأقرضه ما يحتاج إليه ودفع النبي المهر لعائشة وتزوج بها[٨٧]. كان والدها أوّل من دخل الإسلام؛ ولذا نشأت عائشة منذ صغرها نشأةً إسلامية، وكانت طفلة تحب اللعب بالألعاب، وروي عن عائشة: «بينما كنت ألعب اجتمع في بيتنا أناسٌ من الأنصار، فأخذتني أمي، فغسلت شعري، ومشطته ثم قالت الآن يأخذونك إلى النبي وتكونين زوجة له. وانطلاقاً من هذه الروايات يمكننا القول: إنَّ عائشة كانت فتاة صغيرة تستمتع باللعب كثيراً، حيث كانت بعد زواجها من النبي تلعب مع صديقاتها أيضاً»[٨٨]. وكان النبي يتفهّم ذلك؛ فتارة يسابقها في الركض، وتارة يحملها لترى عبيد الحبشة وهم يلعبون بالحراب في مسجده[٨٩].

(٨٠) Asife Ünal, *Yahudilikte, Hıristiyanlıkta ve İslam'da Evlilik*, Ankara, Kültür Bakanlığı Yayınları, 1998, s. 22. Ünal, *age*.,s. 80-81.

(٨١) Ünal, *age*.,s. 80-81.

(٨٢) İsmail Hakkı Uzun Çarşılı, *Büyük Osmanlı Tarihi*, Ankara, Atatürk Kültür Dil ve Tarih Yüksek Kurumu Yayınları, ts, I, 139.

(٨٣) Aişe Abdurrahman, Rasülullah'ın Annesi ve Hanımları, s. 240.

(٨٤) Muhammed İbn İshak, es-Siretu'n-Nebeviyye, (tahk. Muhammed Hamidullah), Konya, Hayra Hizmet Vakfı Yayınları,1981, s. 239 :البخاري، النكاح، ٣٩-٤٠ :مسلم، النكاح، ٦٩-٧٢ البلازوري، أحمد بن يحيى، بن جابر، الأنساب،بيروت، دارالفكر، ١٩٩٦، ٨، ٥٨- ٦٠. ابن سعد، الطبقات الكبرى، تونس، ١٩٩٦، ٥، ٢٠٥. ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن، أسد الغابة، ٢٠٠٩، ٢، ٣٨.

(٨٥) Aişe Abdurrahman,*age*, s. 235.

(٨٦) İbn Sa'd, *age*, VIII, 59.

(٨٧) İbn Sa'd, *age*,VIII, 63.

(٨٨) İbn Sa'd, *age*,VIII, 61-62.

(٨٩) Fayda, Mustafa, "Aişe", *DİA*., İstanbul, İSAM,1989, II, 20.

يقول بعض العلماء: في المناطق الحارة، تتطلب الظروف المناخية أن تبلغ البنت في سنٍّ مبكّرة، ومن ثم تتطور بيولوجيًا بما يخدم عملية الإنجاب بسرعة، وإذا أخذنا بهذا الرأي؛ فيمكننا حينئذٍ التسليم بقبول الروايات التي بين أيدينا؛ حيث لا توجد أيُّ مشكلة على الإطلاق عندما يعقد على الفتاة في سن السادسة وينبى بها في سن التاسعة، وأنّ الزواج في هذه السن مناسبٌ وطبيعي في ذلك المجتمع. بل ويزعمون أنَّ هذه الروايات هي نفسها دليل على ذلك. وتعضيدًا لهذا الرأي أنّه لو كان في زواج النبي بعائشة أية مخالفة اجتماعية، إذن لشنَّع المشركون واليهود والمنافقون عليه أيَّما تشنيع، أما وقد مرّ الأمر دون هجوم، أو تجريح من قبل هذا المعسكر، فإنّ ذلك يؤكّد طبيعية الأمر حيث لا مخالفة اجتماعية أو عرفية من أي نوع[٩٠].

بينما هناك من يزعمون أنّ الروايات القائلة بأنَّ عائشة كان عمرها ست سنواتٍ عند العقد وتزوجت في التاسعة من عمرها ليست صحيحةً وتتعارض تمامًا مع الحقائق التاريخية، ويدَّعون أنَّها تزوجت وهي في السابعة عشرة أو الثامنة عشرة من عمرها[٩١]. فهؤلاء العلماء يحاولون إثبات ادعاءاتهم استنادًا إلى رواياتٍ أخرى. ويقولون إنّها كانت مخطوبة لمطعم بن عدي قبل أن يخطبها النبي، فعندما تخلّى أهل مطعم عن خطبة ابنة أبي بكرٍ لإسلامه خطبها النبي.

يقول ياشار نوري أوزتورك في هذا الصدد: لو كانت عائشة في سن السادسة عندما تزوج النبي بها، فيجب أن تكون قد وُلدت بعد النبوة بأربع سنوات؛ لأنه كيف يمكن لأبي بكر، الذي أصبح مسلماً في الأيام الأولى من ظهور الإسلام، أن يُسلِّم ابنته لعائلة وثنية؟ فإنَّ عائشة قد خُطبت من قبل عائلة وثنية قبل الإسلام بفترة طويلة وأجابهم أبو بكر في تلك الخطبة، فهذا يعني أنَّ عائشة قد ولدت قبل النبوة على الأقل بخمس أو ست سنوات وبلغت سن الزواج فطلبتها عائلة وثنية ولم يكن أبوها مسلماً حينئذ؛ لأنّه لو كانت هذه الرغبة بعد قبول أبي بكر الإسلام فكيف يقبل عائلةً وثنيّةً وهو صديق النبي؟ وكيف يعطي ابنته لعائلة وثنية؟ فلابدَّ أن يكون عمرها من ١٤ إلى ١٥ سنة على الأقل عندما خطبها النبي[٩٢]. ويستدل هؤلاء بأنَّ أسماء أخت عائشة الكبيرة قد توفِّيت عند مقتل ابنها في الثالثة والسبعين للهجرة ولها مئة سنة، فإذا توفيت أسماء عن عمر يناهز ١٠٠ عام سنة ٧٣ هجري كما هو ثابت، فلا بدَّ أن يكون عمرها ٢٧-٢٨ سنة عند الهجرة، ولما كانت عائشة أصغر من أسماء بعشر سنوات، فيجب أن يكون عمر عائشة ١٧ عامًا في الهجرة، وتزوّج بها النبي بعد ثمانية أشهر من الهجرة، فتكون عائشة قد بلغت من العمر ١٨ عامًا عندما تزوّج بها النبي عليه السلام. ومن المدافعين عن هذا الرأي «رضا ساواش» يقول: «لما اشتدَّ المشركون على المسلمين هاجر أبو بكر إلى الحبشة، فلو كانت عائشة عند الهجرة إلى المدينة في التاسعة من عمرها، فلابدّ ألّا تكون مولودةً عند الهجرة إلى الحبشة؛ لأنَّها قالت: «إنِّي تربيت في عائلةٍ متدينةٍ منذ طفولتي، وكان النبي يأتينا كل يوم»، فلما كانت عائشة تتذكر هذا كلَّه فلابدَّ أن تكون

(٩٠) Aişe Abdurrahman, *age*, s. 239.

(٩١) Konrapa, Zekai, *Peygamberimiz İslam Dini ve Aşere-i Mübeşşere*, , İstanbul, Fatih Yayınevi, ts, s.478.

(٩٢) Öztürk, *age*, s. 3.

قد وُلدت قبل الهجرة إلى الحبشة، وهذا يدلّ على أنَّ عائشة كان عمرها أكثر من تسع سنوات عند الزواج»[٩٣]. وخلاصة القول إنّ زواج عائشة كان في وقت مبكر. ومع ذلك فإنّ هذا الزواج ليس مخالفاً لثقافة الزواج في ذلك المجتمع. فلو كان زواج عائشة يتعارض مع تقاليد وعادات المجتمع العربي لتعرَّضّ النبي لانتقاداتٍ شديدةٍ من قِبَل أعدائه من اليهود والمنافقين في المدينة، كما انتقدوا زواج النبي بزينب، وتغيير القبلة. ويمكن الاستنتاج من هنا أنّ سن الزواج بعائشة هو تطبيق يقبله المجتمع العربيُّ[٩٤]. فيكون مولد عائشة بعد البعثة بأربع سنوات حسب من يقولون إنّ عمرها عند الزواج كان في التاسعة[٩٥]، وأما باعتبار من يقولون بأنّ عمرها كان في ال١٧ أو ١٨ عند الزواج فسيكون مولدها قبل البعثة بأربع سنوات[٩٦]. وخلاصة القول إنَّه كان في المجتمع العربي الفتيات يتزوجن مباشرة بعد المراهقة؛ لأنهن كن في منطقة حارة والبلوغ مبكر في مثل تلك المناطق، فسنّ زواج عائشة هو كما يقول المستشرقون ولكن المشكلة هي انتقاد قيم تلك الفترة بالنظر إلى معايير اليوم.

ج-زينب بنت جحش: من الانتقادات الموجهة للنبي عليه السلام زواجه «بزينب بنت جحش» حيث كان في المجتمع العربي الجاهلي الابن من الصلب والمتبنى في نفس المكانة، فلا يتزوّج المتبنِّي بزوجة المتبنَّى وفقاً لتقاليد المجتمع، حيث يُعدّ هذا الزواج زنا، ومع ذلك قرر الإسلام أنّ تلك العادات خطأ يجب أن تتغير، وبأمرٍ واضحٍ من الله سبحانه وتعالى[٩٧] تزوّج النبي زينب، ولكن مع استمرار الانتقادات وعدم الرضا من المجتمع نزل الوحي بالرد على كل الانتقادات، ومن المستشرقين مثل «لاون جتاني، وأميلة درمنغه» من افترى على النبي من خلال تشويهه لهذه الظاهرة التي لها جانب تاريخي واجتماعي بأنَّه طمع في زينب زوجة ربيبه زيد بن حارثة، حيث اعتنق بعض الروايات التي كتبها بعض المؤرخين المسلمين مثل ابن إسحاق (ت: ١٥١هـ) وابن سعد (ت: ٢٣٠هـ) والطبري (ت: ٣١٠هـ) وابن أبي حاتم (ت: ٣٢٧هـ) فوجَّه أعداء الإسلام من المشركين، واليهود، والمنافقين، سهام النقد للنبي مستندين لتلك الروايات، وما قاله «Caetani» في هذا الصدد يحتوي على سوء قصدٍ كبيرٍ، حيث قال: «إنَّ محمدًا طمع في زوجة ربيبه وعشقها، فلما اطَّلع زيد علي ذلك فارقها»[٩٨] وما نقله «Caetani» ذكره ابن إسحاق فيما رواه يونس وأبو سلمة الهمداني عن الشعبي مولاه أنَّه قال: «مرض زيد فزاره النبي عليه السلام وكانت زينب بنت جحش جالسةً عند زيد فلما حضر النبي قامت وانصرفت، فنظر إليها النبي وقال: سبحان من يقلِّب القلوب، فقال زيد: أطلقها لك يا رسول الله؟ فنزلت الآية في سورة الأحزاب[٩٩]. هذه الرواية

(٩٣) Rıza Savaş, "Hz.Aişe'nin Evlenme Yaşı ile İlgili Farklı Bir Yaklaşım", *Dokuz Eylül Üniversitesi İlahiyat Fakültesi Dergisi*, İzmir, 1995, sayı IX, s. 140–141.

(٩٤) Suzan Yıldırım, Hz.Aişe'nin Evlilik Yaşı Etrafındaki Tartışmalar, *İstem*, Yıl:2, Sayı:4, 2004, s. 237 – 245.

(٩٥) Kasım Şulul, *Hz. Peygamber Devri Kronolojisi*, İstanbul, İnsan Yayınları, 2003, s. 138.

(٩٦) Öztürk, *age*, s. 33.

(٩٧) الأحزاب،٣٣/ ٣٧.

(٩٨) Leon Caetani, *İslam tarihi*, (Çev. Hüseyin Cahid), İstanbul 1924-1927, IV, 169-171; Emile Dermenghem, *Muhammed'in Hayatı*, (Çev. Reşat Nuri), İstanbul 1930, s. 367-370, 402; Savary, *Mahomet Le Koran*, Paris, ts.,46-47.

(٩٩) ابن إسحاق، السيرة، ٢٢٤.

ضعيفة؛ لأنَّ الصحابي سقط من الإسناد ويسمى حديثاً منقطعاً، ويقول علماء الحديث إنّ أبا سلمة الهمداني، الذي تلقّى الحديث من الشعبي، كان «مجهولاً» وأن يونس الراوي الآخر كان أيضاً «منكر الحديث»[١٠٠]. فهذا الحديث ضعيفٌ جداً ولا يعوَّل عليه بسبب نقد راويين في إسناده. وما نقله ابن سعد أيضاً فيه انقطاع ولهذا فهو ضعيف. ولا يوجد سندٌ لهذا الحديث ولم ينقله أحد من الصحابة. وإضافةً لذلك فإنَّ بعض علماء الحديث مثل الإمام الشافعيّ وأحمد بن حنبل ويحيى بن معين وعلي بن المديني وأبي حاتم والبخاري والنسائي حكموا على الواقدي الراوي في رواية ابن سعد بالكذب وقالوا إنَّه كان مشهورًا بهذا الوصف؛ ولذا كانت رواياته متروكة. وكذا قال أبو زرعة العقيلي وأبو بشر الدولابي إنَّ العلماء تركوا مرويات الواقدي.و قال الذهبي: لا يوجد في الكتب الستة أيَّةُ رواية عن الواقديِّ غير رواية في ابن ماجه.فكلُّ هذا يدل على أنَّ الواقديَّ اعتُبر ضعيفاً لا يعتبر بما رواه[١٠١]. وعلماء الحديث اتفقوا على ضعف الراوي الثاني في رواية ابن سعد، والراوي الثالث في هذا السند وهو محمد بن يحي بن حبان اشتهرت رواياته بالانقطاع[١٠٢]. وما نقلناه من العلماء يدل على أنَّ رواية ابن سعد ضعيفة، فليس من الصواب الاعتماد على مضمون الروايات الضعيفة في مثل هذه القضية المهمة. ونقل الطبري (ت: ٣١٠هـ) ما رواه ابن سعد عن شيخه الواقدي هذه الرواية بنفس الطريق[١٠٣]. فكما لا يمكن الاعتماد على ما سبق من الروايات فكذلك لا يُعتمد على ما نقله الطبريُّ أيضاً، ولم ينقل أحد تلك الروايات الضعيفة غير الطبريِّ، ولا توجد تلك الروايات في كتب أئمَّة الحديث مثل البخاريِّ ومسلم، فكل هذا يفيد بأنَّه لا أصل لتلك الروايات، والعقل يحكم بأنَّها من الموضوعات أيضاً؛ لأنه لا يوجد أي احتمال أن يكون رجل قد رأى فتاة ذات قرابة نشأ معها ولم يطلبها بكراً، ولكن بعد ما تزوجت وانتقلت لبيت زوجها يطلبها[١٠٤]. وكما يُفهم من الآية في هذا الصدد يمكن أن يكون الرسول قد فكَّر في نفسه كإنسانٍ بأنَّ عدم التوافق بين زيد وزينب ربما يؤدي إلى الطلاق ولو حصل ذلك فأنا أحقُّ بزواجها[١٠٥]؛ لأنَّ زيداً كان يشكو من زوجته للنبي مرارًا قبل الطلاق، واعتبر النبي هذا الاضطراب بينهما قد يؤدي إلى الطلاق والانفصال. ولاسيما بعدما طلَّقها زيد وأخبرت بأنَّ النبي يريد الزواج بها خرَّتْ ساجدةً من الفرح ونذرت أن تصوم شهرين[١٠٦]. وتجدر الإشارة إلى أنّ بعض الباحثين الغربيين قد اقتربوا من المسألة منصفين مثل: « John Davenport, Montgomery Watt, Maxime Rodinson».

(١٠٠) الذهبي، ميزان الاعتدال، مصر، ١٣٨٢، IV، ٥٣- ٤٨١.

(١٠١) ٢١: أبو عبد الله شمس الدين الذهبي، تذكرة الحفاظ، حيدر آباد، ١٣٧٥، VIII، ١٣٧٢. حيدرآباد، حليم أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حليم الرازي، الجرح والتعديل: ابن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب، بيروت، بلا تاريخ، ٩، ٤٥٧، ٤٦٢- ٤٦٤. سير الأعلام النبوي، ١٤٠٢، ٦٦٢، ٣، ٣٤٨. ميزان، ٩، ٣٦٤، ٣٦٦-٣٦٧.

(١٠٢) الذهبي، تذكرة الحفاظ، ٤، ٥٩٠.

(١٠٣) الطبريِّ جامع البيان، ٢٢، ١٣.

(١٠٤) Yazır, Hak Dini Kur'an Dili, VI 3901.: VI, 420، أبو الفداء إسمعيل بن كثير، تفسير القرآن العظيم، تحقيق إبراهيم البنا، إسطنبول، ١٩٨٥.

(١٠٥) الأحزاب، ٣/ ٣٧.

(١٠٦) ابن سعد، ٨، ١٠٢- ١٠٣. ابن الأثير، ٦، ١٢٥.

ومن الواضح أنَّ ما قامت به زينب بسبب أنها لم تر زيدًا مكافئاً لها، وكانت ترى النبي أحقَّ بزواجها منه، ولم تكن في سنٍّ مبكرة يسمح لها بتعدّد فرص الزواج، فقد كانت في الخامسة والثلاثين من عمرها مما يضيِّق الفرص أمامها وفقاً للعادات والأعراف[١٠٧]. كان المجتمع الجاهلي عند نزول الوحي يعتزّ بالأعراف والتقاليد البالية في السلوك الاجتماعي والديني: ﴿حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ [المائدة: ١٠٤، الأعراف: ٢٨، يونس: ٧٨، الأنبياء: ٥٣، الشعراء: ٧٤، لقمان: ٤٣، الزخرف: ٢٢].

لقد أراد الله عز وجل أن يغيِّر ممارسة تقليدية قد استقرَّت في المجتمع الجاهلي من تحريم الزواج بزوجات المتبنين، فكلَّف نبيه بإلغاء هذه العادة التي من الصعب عليهم أن يخالفوها، فزوَّجه بزينب بنت جحش التي أخلاها زيد.حيث قال تبارك وتعالى: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ ۖ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾﴾ [الأحزاب] روي عن قتادة وابن عباس ومجاهد أنَّ النبي حينما خطب زينب ابنة عمّته لزيد بن حارثة ظنّت زينب أنَّ النبي يخطبها لنفسه ولماعرفت أنَّه يخطبها لزيدٍ كرهت وقالت إنَّه ليس كفؤاً لي ولم ترد زواجه، وقال أخوها عبد الله بن جحش نحن من قريش وزيد من الموالي ولهذا لم يوافق على زواج أخته بزيد. فأنزل الله عز وجلَّ: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾﴾ [الأحزاب] وامتثالاً لأمر الله كان على المؤمنين أن يختاروا أمر الله على اختيارهم. وبعد نزول الآية قالت زينب أمتثل أمر النبي عليه السلام فكنت أريد الزواج به[١٠٨]. وعلى هذا القبول زوَّجها النبي ﷺ. ومن جهة أخرى هذه الآية التي نزلت بشأنها مهمة جدًّا؛ لأنها تهدف إلى الغاء التميُّز بين طبقات المجتمع، وتشير إلى أنَّ أكرم الناس عند الله هو أتقاهم.

وبالنسبة لهذه القضية قال «جميل سنا» و«جتاني» Cemil Sena ve Caetani كان النبي مفتوناً بزينب ولم ير بأساً بزواج الرجل بزوجة متبنيه فشرع هذا الأمر بالزواج بزينب وهذا يوافق القوانين المدنية المعاصرة[١٠٩]. ويقول «John Davenport» إنَّ زواج محمد بزينب أثار جدلاً حول الإسلام وكان سبباً لافتراءاتٍ على محمد والسبب الوحيد لهذا الأمر أنَّه كان في الجاهلية تقاليد حيث كان الرجل إذا قال لولد أنت ابني كان ابنا له،وإذا قال الرجل لامرأة «أنت كظهر أمي» صارت المرأة أما له، ولايتزوج بها فجاء الإسلام وألغي تلك التقاليد وفي هذه القصة كان محمد يحب زينب ويوقرها فزوجها بزيد ولما لم يتفق الزوجان وطلقها زيد فكر محمد بأنَّه كان سبباً في هذا الزواج، وأراد أن يحلّ هذه المشكلة بالزواج بها، وكان يعلم أنه سيهاجم من العرب ويطعنونه بسبب

(١٠٧) ابن سعد، ٨، ١١.
(١٠٨) القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري، الجامع لأحكام القرآن، القاهرة،١٩٨٧، ١٤، ١٨٦ – ١٨٧.
(١٠٩) Cemil Sena, *Muhammedin Felsefesi*, İstanbul 1975, s. 23.

هذا الزواج ولكنه كان بأمر من الله فأطاعه[١١٠]. وأما «Watt» فيقترح الآراء الواقعية التالية حول هذه المسألة: من بين كل زيجات محمد، كان أكثر الجدل حول زواجه بزينب بنت جحش. وقد أُدين هذا الحادث من قبل المعاصرين لمحمد وكان له دور فعال في الهجوم السام من العلماء الأوروبيين، فكان تزويج زينب بزيد بغير رضا منها في سنة ٦٢٦ م، ولقد ذهب محمد إلى منزل زيد للتحدُّث معه، ولم يكن زيد في البيت، لكن محمدا يرى زينب بثياب رقاق فيقع في قلبه حبها، لا يمكن التشكيك في جوهر هذه القصة القصيرة، لكنّ العديد من التفاصيل ليست أشياء جديرة بالثقة، والأمر كله موضوع للنقاش، كان لمحمد مصلحةٌ سياسيةٌ في الزواج منها كما كان في جميع زيجاته من قريباته الأخريات، كانت زينب بنت عمته، ولهذا ربما فكر النبي أنه مسؤول عنها.

فقصة مصادفة محمد زينب في البيت وحبِّه لها لا وجود لها في المصادر الأولى. ومع ذلك، كانت زينب في الخامسة والثلاثين أو الثامنة والثلاثين من عمرها عندما تزوجت من النبي، وتعد هذه السن متقدمة بالنسبة للمرأة العربية. في حين أنّ أكثر الزوجات الأخريات اللاتي كنَّ متزوجات بمحمد غير خديجة كنَّ أصغر سنًّا من زينب آنذاك. حتى لو كانت لهذه القصة أساسًا حقيقيًّا، لا شك في أنها قد وضعت فيها بعض الإضافات في وقت لاحق، فليس من المعقول أن يحصل لرجل يبلغ من العمر ٥٦ عاماً هذا الشغف بامرأة لها ستة وثلاثون عاماً، فالجانب المرفوض في هذا الزواج هو الجانب الاجتماعي المتمثل في الزواج بين المحارم؛ لأنَّه كان يعتبر المتبنى ابناً من الصلب ولهذا استغرب ورُفض من قبل المنافقين في المدينة، كانت هذه النقطة من الإصلاح الاجتماعي مرغوبة، ولكن هل كان هذا أمرًا مستعجلاً؟ لا يمكننا القطع بأيّ شيء، ولكن يمكننا القول بأنَّ كلَّ القضايا من هذا النوع كانت موجهةً إلى الإصلاحات السياسية والاجتماعية، ولا يحتمل توجيهها إلى الحب الرومانسي إلا بشكل طفيف جداً[١١١].

وافق «Radinson» على ما ذكره «Watt» وأصرَّ على الجانب الاجتماعي غير العاطفيِّ، وقال إنَّ زينب كانت في الخامسة والثلاثين من عمرها ولم تكن في سن مرغوبة، كان الزواج يقوم على هدف توفير المزيد من الإجماع السياسي[١١٢]؛ لأنّ محمدًا كان على صلةٍ بحلفاء أبي سفيان في هذه النقطة. بالإضافة إلى ذلك، فإنه بهذا الزواج قد ألغي التقليد السيىء المتعلق بالتبني وأدّى إلى تصحيح هذا الجانب بأن كان مثالًا صالحًا.

ومن العلماء المتأخرين «Kamil Miras» كامل ميراث يقول: كانت زينب من بني أسد وتعدُّ نفسها غير كفء لزيد وتعانده، وفي النهاية تخلّى زيد عنها وتزوجها الرسول، فبدأ اليهود والمنافقون يقولون: «محمد تزوج من زوجة ابنه». ثم نزلت الآيات من سورة الأحزاب وأفادت بأنَّ تلك من تقاليد الجاهلية وأزالتها. وأمرت بدعوة المتبنين بأسماء آبائهم، في نفس الوقت تمّت إزالة العلاقات الجاهلية التقليدية وأقيمت بدلاً منها الأخوة الدينية[١١٣].

من بين الروايات حول أنبياء بني إسرائيل في الكتاب المقدس، بعض الروايات التي تجعل الأنبياء في

(١١٠) J.Davenport'Hz.Muhamed ve kuran(çev.Ömer Riza Doğrul) Ankara1969;s25-26.
(١١١) Montgomery Watt, *Hz. Muhammed*, (Çev. Hayrollah Örs), Istanbul 1963, s. 64.
(١١٢) Maxsime Rodinson, *Hz. Muhammed*, (Çev. Atilla Tokatlı), İstanbul 1968. s. 209-210.
(١١٣) Kamil Miras, *Sahih-i Buhari Muhtasan Tecrid-i Sarih Tercümesi*, Ankara, ts., XI, 261.

موقف ذِلّةٍ وضعف وشهوة، من بين تلك الحكايات حكاية داود أنَّه أحبّ زوجة قائدٍ من قادته «أوريا» فأرسله إلى الحرب وقُتل، ثم تزوج بزوجته «بات شفا»[١١٤].

ونتيجةً لذلك، فإنّ هذه القصص التي نُقلت عن «Caetani» و«Emile Dermenghem» لا أساس لها من الصحة وغير متعمدة. وما في بعض مصادر التاريخ الإسلامي من الروايات في هذا الموضوع أيضاً لا أساس له. فكلها ملاحظاتٌ وهميةٌ مثل قصص الغرام الغربية، وللأسف فإن بعض الروايات التي لا أصل لها في بعض المصادر الإسلامية هي التي تشكل الأساس لادِّعاءات المستشرقين في هذه القضية.

٢- محاولة إشاعة إهانة النساء:

تحاول بعض الناشطات في المجال النسائي تقديم النبيّ على أنّه معارضٌ لحرية الفكر والمرأة بشكل عام، فهو النموذج الأوّل لكل أشكال الإهانة والتعصب ضد المرأة في الشرق الأوسط في هذا العصر[١١٥]. وفي هذا الصدد يروى بأنَّ محمداً قال: بأنه مرَّ على جهنم ليلة المعراج ورأى أكثر أهلها من النساء، فقيل له لماذا كان أكثر أهلها من النساء؟ فأجاب بأنهن ناقصات العقل والدين. فيقول «بارلاس» مُعتمدًا على «غرونباموما» بأن مثل تلك الأحاديث تُشكل التأثيرات الثقافية القديمة، وفي هذا السياق تجسَّدت اليهودية والمسيحية، بالإضافة إلى العديد من الأفكار والعادات المتعلقة بثقافة البحر الأبيض المتوسط والثقافة العربية حيث أثارت عداوة عميقة للمرأة[١١٦]. ويقول (Tuksal) إنَّ روايات الأحاديث النبوية ما هي إلا عملياتٌ بشريةٌ ناشئة عن أفكار تقليدية تمتد لآلاف السنين، ولا علاقة لها بالدين من قريبٍ أو بعيد. ويرجع ذلك إلى حبِّ التملُّك والسيطرة والهيمنة التي مارسها الرجال لقرون طويلة ضد النساء، إضافةً إلى ثقافة المجتمع الذكوري الغالبة آنذاك. ومع أنّ هناك عديدًا من الأسباب فإن في تلك الروايات «تحقيرًا لشأن المرأة تجاه شخصية الرجل» وهذا اعتداء على شخصية المرأة وتضييع لحقوقها[١١٧].

ويمكن أنْ نُقدِّم الأحاديث المتعلقة بالمرأة والواقعة تحت مجهر النقد الغربي كالتالي: «ما تركت بعدي فتنة أضرّ على الرجال من النساء»[١١٨]، «لن يفلح قوم ولَّوا أمرهم امرأة»[١١٩]، «إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فأبت فبات غضبان عليها لعنتها الملائكة حتى تصبح»[١٢٠]، «اطَّلعت في النار فرأيت أكثر أهلها النساء»[١٢١]، ويروى

(١١٤) .Tevrat, Yaratılış, ll: 1-27; hikayenin devamında bu çocuğun Süleyman olduğu kaydedilmektedir

(١١٥) Bk. Ali İhsan Toker, "Kadınların Peygamber Algısı Müslüman Kadınlar ve Hz. Muhammed", *Usul*, Usûl, 7 (2007/1), s. 139.

(١١٦) A. Barlas, "Beliveing Women" *In Islam. Unreading Patriarchal Interpretations of the Qur'an*, Austin: University of Texas Press, 2002, s.45.

(١١٧) .Toker,*age*, s. 144-152

(١١٨) مسلم، الذكر، ٩٧،٩٨ الترمذي، الأدب، ٣١، ابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني، السنن، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، القاهرة،١٩٥٢-٥٣ الفتنة، ١٩، ابن حنبل، أحمد، المسند، تحقيق أحمد محمد شاكر، القاهرة، دار الحديث، الطبعة الأولى، ١٩٤٩، خ، ١٠٠-٢١٠. البخاري، النكاح، ١٧.

(١١٩) البخاري، المغازي٨٢، الفتن، ١٨، ابن حنبل، المسند،٤٣،٤٧٥.

(١٢٠) البخاري، بدأ الخلق،٧، أبو داود، النكاح،٤١، الترمذي، الرضاع،١.

(١٢١) البخاري، الإيمان،٢١، مسلم الذكر، ٩٥.

من طريق ابن عمر أنَّ امرأة أتت رسول الله فقالت ما حقّ الزوج على امرأته؟ فقال: لا تمنعه نفسها وإن كانت على ظهر قتب، ولا تعطي من بيته شيئاً إلا بإذنه، فإن فعلت ذلك كان له الأجر وعليها الوزر ولا تصوم تطوعاً إلا بإذنه، فإن فعلت أثمَّتْ ولم تُؤجر، وألّا تخرج من بيته إلا بإذنه، فإن فعلت لعنتها الملائكة: ملائكة الغضب وملائكة الرحمة حتى تتوب أو ترجع. قيل: وإن كان ظالماً؟ قال: وإن كان ظالماً[١٢٢]. فنحن نريد تقييم الروايات الواردة في الموضوع ونحاول فهمها في سياق ما وردت فيه وفي إطارعلم الحديث.

١- الرواية الأولى: «ما تركت بعدي فتنة أضرَّ على الرجال من النساء» حديث صحيح ورد في البخاري، وقد شرحه العلماء بالضعف العام لطبيعة الرجال تجاه المرأة، وبالتالي فإنّ كون المرأة موضوع إغراء ملاحظة عامة، وهذه الملاحظة تدلُّ على ضرورة وجود قواعد وأنظمةٍ في العلاقة بين الذكور والإناث للتغلُّب على نقاط الضعف هذه. كما يُرى أن فهم كلمة «فتنة» مرتبطٌ بالسياق الثقافي، سواء كان ذلك إغراءً أم اختباراً، فمن المفهوم أنَّ كلمة «فتنة» تفيد معنى التجربة والاختبار من وجهة النظر التاريخية، وإذا كان معظم المسلمين من العرب الآن يميلون إلى تفسير كلمة «فتنة» من الناحية الجنسية، وبهذا يؤكدون جانب الإغراء للمصطلح، مما يتماشى مع قراءته في النموذج الثقافي الغربي، إلا أن ذلك يتناقض مع ما يسمى «بالنموذج الثقافي العربي الأساسي» من معاني التجربة والاختبار.

٢- الرواية الثانية: «لن يُفلح قوم ولَّوْا أمرهم امرأة» فهذا الحديث عند البخاري وغيره من المحدِّثين، ومن المعروف أن النبي عليه السلام قال هذا عندما جلست ابنة كسرى إلى العرش، وقد وُجِّهت انتقاداتٌ كثيرة لهذا الحديث خاصةً في مجال شجب النساء من الحياة السياسية العامة، لكنّ الفقهاء لم يتفقوا على مسألة تطبيقه وحده في هذا المجال، قال الطبريُّ: «هذا الحديث لا يكفي أن يكون دليلاً برأسه لحرمان النساء من صلاحيات اتخاذ القرار واستبعادهن من السياسة، ويقال في مجال نقد الرواية: إنّ راويه غير ثقة قد أُدين وجلد بسبب شهادته الكاذبة». وقال «Cihan Aktaş'a»: «إنَّ المرأة قد لعبت دورًا نشطاً في المجالات العسكرية والثقافية في عصر النبي وفي التاريخ الإسلامي، وكان لها أيضاً مكانة في السياسة والثقافة وكثير من جوانب الحياة»[١٢٣].

٣- الرواية الثالثة: «إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فأبَتْ فبات غضبان عليها لعنتها الملائكة حتى تصبح» وحديث ابن عمر: «أنَّ امرأةً أتت رسول الله فقالت ما حق الزوج على امرأته، فقال لا تمنعه نفسها وإن كانت على ظهر قتب ولا تُعطي من بيته شيئاً إلا بإذنه، فإن فعلت ذلك كان له الأجر وعليها الوزر ولا تصوم تطوعاً إلا بإذنه فإن فعلت أثمّت، ولم تُؤجر وألّا تخرج من بيته إلا بإذنه، فإن فعلت لعنتها الملائكة ملائكة الغضب وملائكة الرحمة حتى تتوب أو ترجع. قيل: وإن كان ظالماً؟ قال: وإن كان ظالماً»[١٢٤]. يميل «Roald» إلى أنّه قد تأثر إلى حدّ كبير بـ«النموذج الثقافي العربي الكلاسيكي»، حيث «يجب على الزوجات ألّا يغادرن المنزل دون إذن»[١٢٥].

٤- الرواية الرابعة: «اطَّلعت في النار فرأيت أكثر أهلها النساء» قد ثبت أنَّه أشير إلى هذا الحديث في جدال

(١٢٢) الطيالسي، المسند،١٩٥١،١، ابن أبي شيبة، المصنف،١٧١٢٤،٥٥٧،٣.
(١٢٣) Cihan Aktaş, *Sistem İçinde Kadın*, İstanbul: Beyan Yayınları, 3.bs., 1991, s.128.
(١٢٤) الطيالسي، المسند،١٩٥١،١، ابن أبي شيبة، المصنف،١٧١٢٤،٥٥٧،٣.
(١٢٥) A. S. Roald, *Women in Islam*. The Western Experience, London and New York: Routledge, 2001,s.14.

بين الجنسين في جالية صومالية تعيش في الدول الإسكندنافية؛ ولهذا فإنَّ الاختلافات الجغرافية والثقافية يمكن أن تؤثر على فهم الأحاديث وتداولها ودورها، وإكسابها معانٍ إضافية غير التي قصدها النبي ﷺ. فالثابت عنه ﷺ أنه أوصى بالرفق بالنساء في أكثرَ من حديثٍ من مثل قوله عليه السلام: «**يا أنجشة رفقاً بالقوارير**...»[١٢٦].

يقول «Tuksal» إنَّ المفهوم الذي يسيطر عليه الذكور قد تحكّم ومنذ زمن طويل في تاريخ الإنسان، ويؤكد أنَّ الروايات المزعومة المنسوبة للنبي في هذا المجال فيها تداخلٌ مقصودٌ وكبير، فليس من قبيل المصادفة استغلال العقلية التقليدية القديمة الدين لتطبيق الأحكام الثابتة أو لتبريرها، وقد أدّى ذلك إلى وجود تعارض مع الإطار الديني الصحيح الذي تمثِّله أفعال الرسول، وبين الإطار المشكوك فيه الذي تمثله بضعة أحاديث هنا أو هناك[١٢٧]. فيروى عن النبي في حق المرأة التي هي نصف الجنس البشري أنها هي الفتنة للمجتمع، وأنَّها سلعةٌ جنسية لزوجها، وعليها اللعنة عندما ترفض رغبات زوجها الجنسية، وأنّ المجتمع الذي تكون المرأة حاكمةً فيه لن يفلح، وأنّها لا تستطيع الخروج من منزلها بغير إذن زوجها. إذا اعتُمد على تلك الروايات التي تسند إلى النبي فسيؤدي ذلك إلى وصف النبي كشخصٍ قاس ومعارض للمرأة خصوصًا عند من يدافع عن المساواة بين الرجل والمرأة اليوم، ومن ثم يجب التعامل مع هذه الروايات في السياق الذي وردت فيه. وقال «Barlas» إنَّ النبي هو مثال يُحتذى لكلٍّ من الرجال والنساء. وأضاف: «هناك مجموعة من سبعين ألف حديث موصوفة بالصحة، ولا يوجد سوى ستة أحاديث تعبِّر عن عداء المرأة، فموقف الرجال ضدّ المساواة بين الجنسين متمسكين بتلك الروايات يعد من السخرية في حين أنّ العديد من الأحاديث الإيجابية لا تزال قائمة»[١٢٨]. يقول «Roald»: «في صدد نقد الروايات، في عديد من الرويات تجد الحث على معاشرة الرجال للنساء على أساس المودة والرحمة، بينما تجد في أماكن أخرى روايات مناقضة»[١٢٩]. يمكننا أن نقول إنّ «Roald» أعرب في الواقع عن تصوره في فهم الكلام بشكل مختلف عند اختلاف السياق، فمن الضروري ألا نتجاهل الروايات التي تعبر عن أسلوب النبي تجاه المرأة بلطف ووقار، لكن موضوع خَلق المرأة، ووضعها الخاص، والتفسيرات حول تلك الروايات تؤدي إلى التشويه والفهم الخاطئ.

تصف الروايات التالية مسئولية الرسول ﷺ وكونه قدوةً للأمة: خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي[١٣٠]. استوصوا بالنساء خيرًا فإنّهن عندكم عوانٌ، ليس تملكون منهن شيئاً غير ذلك، إلّا أن يأتين بفاحشة مبيّنة، فإن فعلن فاهجروهن في المضاجع واضربوهن ضرباً غير مبرّح، فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهنّ سبيلاً، إنّ لكم من نسائكم حقًّا ولنسائكم عليكم حقاً، فأما حقكم على نسائكم فلا يوطئن فرشكم من تكرهون، ولا يأذن في بيوتكم لمن تكرهون، ألا وحقهن عليكم أن تحسنوا إليهن في كسوتهن وطعامهن[١٣١]. عَنْ حَكِيمِ بْنِ مُعَاوِيَةَ الْقُشَيْرِيِّ عَنْ

(١٢٦) البخاري، الأنبياء،٥، مسلم، الرضاع، ٦٥، الترمذي، الطلاق واللعان، ١٢.

(١٢٧) Hidayet Şefkatli Tuksal, *Kadın Karşıtı Söylemin İslam Geleneğindeki İzdüşümleri*, Ankara: Kitabiyat: 2000,s.236-237.

(١٢٨) A. Barlas, "Beliveing Women" *In Islam. Unreading Patriarchal Interpretations of the Qur'an*, Austin: University of Texas Press, 2002, s.45.

(١٢٩) Roald, *Women in Islam*, s. 146.

(١٣٠) ابن ماجه، النكاح ٥٠.

(١٣١) الترمذي، الرضاعة،١١، ابن ماجه، النكاح، ٣.

أَبِيهِ قَالَ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللهَّ مَا حَقُّ زَوْجَةِ أَحَدِنَا عَلَيْهِ قَالَ: «أَنْ تُطْعِمَهَا إِذَا طَعِمْتَ وَتَكْسُوَهَا إِذَا اكْتَسَيْتَ – أَوِ اكْتَسَبْتَ – وَلاَ تَضْرِبِ الْوَجْهَ وَلاَ تُقَبِّحْ»(١٣٢) قالت عائشة ما ضرب رسول الله ﷺ خادماً له ولا امرأة ولا ضرب بيده شيئاً(١٣٣). ويشير «Mernissi» إلى وجود مشروعٍ للنبيّ ﷺ حول المساواة بين الجنسين في المدينة المنوَّرة(١٣٤). وهناك كثيرٌ من الأحاديث تعبِّر بوضوحٍ عن المرأة بشكل إيجابي. يقول ابن سعد: إنَّ النبي لم يضرب زوجاته ولا عبده أو أيّ شخصٍ آخر قطُّ. حتى إنّ النبي ترك منزله وانتقل إلى غرفة مجاورة للمسجد لمدة شهر عند مواجهته.

تمرّد بعض زوجاته ولم يستخدم العنف ضدهنَّ(١٣٥). وتؤكد «فاطمة أونصال» أيضا أنّ هناك محاولةً لعزلة النساء اليوم عن المجتمع، مع أنَّهنَّ كنَّ يشاركن الرجال في مسجد النبي، وهو آنذاك كان كالجامعة والبرلمان، فكان يحلم محمد بمجتمع تستطيع فيه النساء التنقل بحرية، ووصيته في عصره بسفر النساء مع أقاربهنَّ تدلُّ على التأكيد على إنشاء بيئةٍ ستسافر فيها النساء بحرية في المستقبل(١٣٦). ومع أنَّ النبيّ كان واضحاً وغير خاضعٍ لأحد لكن في الوقت نفسه كان حليماً ومتواضعاً، لا يحبُّ العنف والكبر(١٣٧). والحاصل أنَّه لا يمكن الادِّعاء بأنَّ النبي كان عدواً للمرأة، من خلال بعض الروايات، لأنَّ سلوكه الاجتماعي وأحاديثه الكثيرة تشير إلى أنَّه كان يوقِّر المرأة ويوصي بذلك أصحابه. فمن الضروري تقييم النبي وفق معايير عصره، وقراءة الروايات في إطار المبادئ الأساسية للإسلام بدلاً من التفسيرات الحرفية المشوهة.

الخاتمة:

في مواجهة الاتجاهات الثقافية التي تجلبها العولمة أو تعبر عنها، يواصل الإسلام وجوده الاجتماعي والثقافي كمنافسٍ قويٍّ، وفي هذا السياق ذاته تأتي الهجمات مباشرةً على الإسلام ونبيه. فإنَّ معاداة الإسلام التي يُراد إنشاؤها بالإشارة إلى النبي لا تقتصر على تقييم أحداث اليوم بسوء الظنّ فحسب، بل إنّها تعكس التاريخ عن طريق تشويهه بمعايير الحاضر. فالعقل الغربيّ الذي يصوِّر الرسول عليه السلام كأنَّه مصدرٌ للإرهاب ورجل شهوانيٌّ ليس مخلصًا. وتفسير المستشرقين الآيات والأحاديث مشوهة تساعد على تلك التقييمات والتفسيرات. والأسوأ هو أنّ الصحافة والسياسة الغربية بدأت تستغلّ ذلك الأمر، وتكمن الأسباب الاقتصادية والسياسية قبل الأسباب الدينية وراء الادّعاء بأنَّ الإسلام مذهب مسيحي منحرف مأخوذ عن كاهن. والأهم أن هذه المحاولات تهدف إلى صد المسيحيين عن دخولهم الإسلام ومنعهم من تعلمه. إنَّ الادِّعاءات بأنَّ النبي والمسلمين نشروا الإسلام بالسيف ومارسوا الإرهاب، قد اختلقها الغرب للتغطية على الفساد والافتراءات وامتصاص دماء الشعوب المسلمة.

(١٣٢) أبو داود، النكاح،٤٢، ابن ماجة، النكاح، ٣.

(١٣٣) مسلم، الفضائل،٧٩، ابن ماجه، النكاح، ٥١، الدارمي، عبد الله بن عبد الرحمن السنن، تحقيق، فؤاد أحمد، بيروت، دار الكتاب العربي،١٤٠٧: ابن حنبل، المسند، ٢٢٩،٥-٢٣٢.

(١٣٤) Mernissi, *age*., s.184.

(١٣٥) Mernissi, Fatima, *The Veil and Male Elite. A Feminist Interpretation of Women's Rights in Islam*, (transl. Mary Jo Lakeland, Reading), Mass.: Addison-Wesley Publishing Company, 1991, s.156 vd.

(١٣٦) Fatma Ünsal, 'Türkiye'de Kadın Hareketinin Parçalı Yapısı', konuşma kaydı,'Kadın Sorunları Bağlamında Örnek Bir Eş ve Baba Modeli Olarak Hz. Peygamber (s) Paneli, *İran İslam Cumhuriyeti Büyükelçiliği Kültür Müsteşarlığı,* Ankara: 17 Mart 2007.

(١٣٧) Toker, *agm*, 145.

والهدف الرئيس من خلال هذ الغرض إبعاد الناس عامّةً والمسيحيين واليهود خاصةً عن الإسلام؛ فاتّهام النبي بالشهوانية بسبب تعدد الزوجات، وزواجه بعائشة وزينب بنت جحش ليس صحيحاً. فمن الضروري النظر إلى النبي وأحاديثه في ظروف الفترة التي عاش فيها. على أنه من الإنصاف أن نذكر أن من الغربيين من يرون تلك الادِّعاءات عبثاً ويرفضونها كما ذكرنا من قبل.

فبدلًا من نشر الروايات المذكورة في إهانة المرأة وفهمها بهذه الصورة، ينبغي فهم سياق حياة النبيّ وأحاديث الباب كلّه بالمعنى الشامل، إنّ تجزئة الروايات عن سياقاتها التاريخية، ومحاكمتها بأحكام القرن الحادي والعشرين تنتهي بالضرورة إلى اعتبار النبيّ عدوًّا للمرأة. إنَّ النساء المسلمات من لدُن زوجات النبيِّ إلى يومنا الحاضر لَسْنَ مستعبداتٍ للرجال، فهنَّ لا يرين أيّ مضايقاتٍ دينيّةٍ في المجتمع الذي يعِشن فيه، إنَّ كلَّ ما يحدّ من حريّة المرأة أو يُهينها أعرافٌ باليةٌ ليس لها كبير مستندٍ من الدين.

والنقطة الأخيرة التي وصلنا إليها في هذا البحث هي أنَّ النبي كان منحازًا للمرأة. وفي نتيجة البحث يمكننا القول إنّ سوء فهم الإسلام ونبيّه منشؤه تشويه الروايات وقطعها عن سياقها، والنظر إليها بالمفهوم الغربيّ الحديث.

المراجع العربية:

- الذهبي، ميزان الاعتدال، مصر، ١٣٨٢،
- ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن، أسد الغابة، ١٩٩٦.
- ابن الجوزي، محمد بن أحمد، التسهيل لعلوم التنزيل، دار الكتب العلمية ١٩٩٥م.
- ابن سعد، الطبقات الكبرى، تونس ٢٠٠٩.
- أبو عبد الله شمس الدين الذهبي، تذكرة الحفاظ، حيدر آباد، ١٣٧٥هـ.
- أحمد بن يحيى، بن جابر، الأنساب، بيروت، دارالفكر، ١٩٩٦.
- السمعاني عبد الرزاق بن همام، المصنف، مكتبة الإسلامي،١٤٠٣
- الطبراني، سليمان بن أحمد، المعجم الكبير، تحقيق حمدي بن عبد المجيد السلفي، الموصل، مكتبة العلوم والحكم، الطبعة الثانية،٥،١٩٨٣.
- العقاد، عباس الصديقة بنت الصديق، القاهرة، دار المعارف، ١٩٦٣.
- القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري، الجامع لأحكام القرآن، القاهرة، ١٩٨٧م.
- الماوردي، أبوالحسن على بن محمد، عصمة النبوة، بيروت، دار الكتب العربي ١٩٨٧م.

المراجع التركية:

- A. Barlas, "Beliveing Women" In Islam. Unreading Patriarchal Interpretations of the Qur'an, Austin: University of Texas Press, 2002.
- A. S. Roald, Women in Islam. The Western Experience, London and New York: Routledge, 2001.
- Abdülaziz Hatip, Kuran ve Hz. Peygamber Aleyhindeki İddialara Cevaplar, İstanbul 1997.
- Abdülkerim Özaydın, "Arap", DİA, İstanbul, İSAM,1991
- Aişe Abdurrahman, Rasulullahın Annesi ve Hanımları, çev: İsmail Kaya, Konya 1987
- Asife Ünal, Yahudilikte, Hıristiyanlıkta ve İslam'da Evlilik, Ankara, Kültür Bakanlığı Yayınları, 1998.
- Aşık, Nevzat, Hz.Aişe'nin Hadisçiliği, İzmir, Öğrenci Basımevi, 1987.
- Ateş, Ali Osman, İslam'a Göre Cahiliyye ve Ehli Kitap Örf ve Adetleri, İstanbul, Beyan Yayınları, 1996.
- Barin Hilal, Tedirgin Nefret İslamofobi, İstanbul, Tezkire yayıncılık, 1. Baskı, 2016

- Canatan Kadir ve Özcan Hıdır, (eds.), Batı Dünyasında İslamofobi ve Anti-İslamizm, Ankara, Eski Yeni Yayınları, 1. Basım, 2007
- Caroline Fourest ve Fiametta Venner, İslamuphobie? prochoix, no:26-27paris,Automenna Hiver,2003
- Cemil Sena, Muhammedin Felsefesi, İstanbul 1975.
- Christopher Allen, İsalomophobia, England Ashgate Publishing Limited, 2010
- Cihan Aktaş, Sistem İçinde Kadın, İstanbul: Beyan Yayınları, 3.bs., 1991.
- Çarkman Aslı, "Avrupa ve Öteki: Avrupa İmgesinin Osmanlı Aydınlanmasından Yansıması", (Der.E. Fuat Keyman), Türkiye'nin Yeniden İnşası, İstanbul Bilgi Üniversitesi Yayınları, 2013
- Edward, Said, Oryantalizm, (çev. Nezih Uzel), İstanbul 1998
- Emile Dermenghem, Muhammed'in Hayatı, (Çev. Reşat Nuri), İstanbul 1930.
- Fatma Ünsal, 'Türkiye'de Kadın Hareketinin Parçalı Yapısı', Örnek Bir Eş ve Baba Modeli Olarak Hz. Peygamber (s) Paneli, İran İslam Cumhuriyeti Büyükelçiliği Kültür Müsteşarlığı, Ankara: 17 Mart 2007.
- Fayda, Mustafa, "Aişe", DİA., İstanbul, İSAM,1989, II, 20.
- Fazlurrahman, Siret Ansiklopedisi, (çev: Heyet), İstanbul 1990, II, 197.
- Francis Bacon, Denemeler, (Çev. Elif Günçe), İstanbul, Morpa Kültür Yayınları, 2004
- Galen Johnson, "Muhammad and Ideology in Medieval Christian Literature", Islam and Christian-Muslim Relations, XI-, 2000
- Görmez, Mehmet Klasik Oryantalizmi Hadis Araştırmalarına Sevk Eden Temel Faktörler", İslamiyât III (2000)
- Hamidullah, Muhammed, İslam Peygamberi, (Çev. Salih Tuğ), İstanbul, İrfan Yayımcılık, 1990, II, 676–691; Ziya Kazıcı, Hz.Muhammed'in Eşleri ve Aile Hayatı, İstanbul, Çağ Yayınları, 1991, S. 73–331;
- Harman, Ömer Faruk, "Yuhannâ Ed-Dımaşkī", DİA, İstanbul, İSAM, 2013
- Haytî, Imadüddin şübehât tazimi 'd-devleti'l-İslâmî ve'r-red aleyha, yy., Heyetü'ş-Şami'l-İslamiyye, 1. bs. 2015
- Hidayet Şefkatli Tuksal, Kadın Karşıtı Söylemin İslam Geleneğindeki İzdüşümleri, Ankara: Kitabiyat: 2000.
- Hourani, Albert Avrupa ve Orta Doğu, (Çev: Ahmet Aydoğan, Fahrettin Altun), İstanbul 2001
- İlhan Arsel, Şeriat ve Kadın, İstanbul, Kaynak Yayınları, 1995.
- İsmail Hakkı Uzun Çarşılı, Büyük Osmanlı Tarihi, Ankara, Atatürk Kültür Dil ve Tarih Yüksek Kurumu Yayınları, ts.
- Kamil Miras, Sahih-i Buhari Muhtasan Tecrid-i Sarih Tercümesi, Ankara, ts.
- Karen Armstrong, İslam, Modern Library, USA, 2000, s. 141; İslam, (Çev. Selim Yeniçeri), İstanbul: Koridor Yay., 2008
- Kasım Şulul, Hz. Peygamber Devri Kronolojisi, İstanbul, İnsan Yayınları, 2003.
- Kecia Ali, "A Beatiful Example": The Prophet Muhammad as a Model for Muslim Husbands', Islamic Studies, 43:2 2004.
- Konrapa, Zekai, Peygamberimiz İslam Dini ve Aşere-i Mübeşşere, , İstanbul, Fatih Yayınevi, ts.
- M. Şemseddin Günaltay, İslam Öncesi Araplar ve Dinleri, Ankara, Ankara Okulu Yayınları, 1997.
- Maxsime Rodinson, Hz. Muhammed, (Çev. Atilla Tokatlı), İstanbul 1968.
- Mehmet Azimli, "Hz. Aişe'nin evlilik yaşı tartışmaları ya da savunmacı tarihçiliğin çıkmazı", İslami Araştırmalar, Ankara, 2003, XVI.
- Mernissi, Fatima, The Veil and Male Elite. A Feminist Interpretation of Women's Rights in Islam, (transl. Mary Jo Lakeland, Reading), Mass.: Addison-Wesley Publishing Company, 1991.
- Montgomery Watt, Hz. Muhammed, (Çev. Hayrollah Örs), Istanbul 1963.
- Muhammed İbn İshak, es-Siretu'n-Nebeviyye, (tahk. Muhammed Hamidullah), Konya, Hayra Hizmet Vakfı Yayınları,1981
- Neşet Çağatay, İslam Dönemine Dek Arap Tarihi, Ankara, Türk Tarih Kurumu Yayınları, 1989.
- Öztürk Orhan, Ruh Sağlığı ve Bozuklukları, Ankara, Hekimler Yayın Birliği, 1. Baskı, 1992
- Ramazan Altıntaş, Bütün Yönleriyle Cahiliye, Konya, Ribat Yayınları, ts.
- Reinhart Dozy, Tarihte İslamiyet, (çev: Abdullah Cevdet -Osmanlıca metin-), İstanbul 1908, I, 105
- Rıza Savaş, "Hz.Aişe'nin Evlenme Yaşı ile İlgili Farklı Bir Yaklaşım", Dokuz Eylül Üniversitesi İlahiyat Fakültesi Dergisi, İzmir, 1995.
- Servante Alain, "Batılıların Gözünde Türk İmajının Geçirdiği Değişimler", (Ed. Özlem Kumrullar), Dünyada Türk İmgesi, İstanbul, Kitap Yayınevi, 2. Basım, 2008
- Suzan Yıldırım, Hz.Aişe'nin Evlilik Yaşı Etrafındaki Tartışmalar, İstem, Yıl:2, Sayı:4, 2004.
- Voltaire, Candide ya da İyimserlik, (Çev. Server Tanilli), İstanbul, Cem Yayınları, 1994.

الرعب اللامنطقي «هوس الرعب من الإسلام» *

د. محمد صبري گنج

جامعة غازي عنتاب – كلية الآداب؛ قسم الفلسفة: msgench@gmail.com

الخلاصة:

الإسلاموفوبيا هو المصطلح الذي تروج له القوى العالمية والرأسمالية ضد الإسلام والمسلمين، مستخدمة جميع وسائل الإعلام والعلاقات العامة والتعليم والسياسة وما شابه ذلك من وسائل لخلق مثل هذا التصور، كونها ترى في المسلمين المنافس الوحيد لها. حيث يقوم المروجون لهذا التصور بوضع المصطلح أولاً ثم يقومون بالتلاعب على هذه الألفاظ كما يشاؤون. ففي هذه المقالة، تمت دراسة موضوع الخوف من الإسلام ضمن إطار نظرية توجيه العقول التي ظهرت في القرن التاسع عشر والتي أثرت بعمق في علم النفس الحديث. كما تم السعي لتحليل مظاهر الخوف لدى الناس وكيفية التلاعب على المصطلحات من خلال دراسة هذهِ النظرية دراسة دقيقة.

الكلمات المفتاحية: التوجيه، التلاعب، التحكم بالمفاهيم، الخوف، الظواهر النفسية

Akıl Dışı Bir Korku Olarak 'Phobia'nın İslâm'a İlintilenme Obsesifliği

Özet

İslâmofobi, küresel güçlerin ve sermayeciliğin tek rakip olarak gördüğü İslâm'a ve Müslümanlara karşı, tüm dünyada; medya, halkla ilişkiler, eğitim-öğretim, siyaset vb. gibi unsurları kullanarak; oluşturmaya çalıştığı bir algının kavramıdır. Algı yöneticileri, evvela ad koymakta ve daha sonra da bu adın ya da kavramın altını türlü manipülasyonlarla doldurmaktadırlar. Bu makalede, İslâmofobi meselesi, 19. Yüzyılda ortaya çıkmış ve modern psikolojiyi derinden etkilemiş olan Yönelmişlik Teorisi çerçevesinde ele alınmış, insanların korku fenomenlerinin mevzubahis teorinin tersyüz edilmesiyle nasıl manipüle edildiği analiz edilmeye çalışılmıştır.

Anahtar Kelimeler: Yönelmişlik, Manipülasyon, Algı Yönetimi, Korku, Psişik Fenomenler

The Obsession of Linking Phobiato Islamas an Irrational Fear

Abstract

Islamophobia is the concept of perception which through by using media, public relations, education etc. Managing by global Powers and Capitalism. Perception managers are first giving a name or devising a Word and afterwards they replace the meaning of the Word, by manipulatings. In this article, the issue of Islamophobia was examined in the framework of the Intentionality Theory, which emerged in the 19th century and deeply influenced on modern psychology, and attempted to analyze how people's fear phenomen a manipulated by inverting this theory.

Keywords: Intentionality, Manipulation, Perception Management, Fear, Psychological Phenomena

* وهذه هي الترجمة العربية للدراسة بعنوان "Akıl Dışı Bir Korku Olarak 'Phobıa'nın İslâma İlintilenme Obsesifliği" التي نشرت في العدد السّادس من مجلة الإلهيات الأكاديمية. (محمد صبري گنج، الرعب اللامنطقي «هوس الرعب من الإسلام»، الإلهيات الأكاديمية، ٢٠١٧، العدد: ٦، ص ١٥٧-١٧٠). من الواجب أن يستند في الإقتباس إلى المقالة التركية.

ولكي تكون قادرًا على فهم أي مسألة فلسفية أو اجتماعية، يجب أولاً معالجة المفاهيم المثيرة للجدل، حيث لا يمكن فهم أي موضوع بشكلٍ صحيح دون معرفة معاني المصطلحات أو المعنى الذي تم اختراعه. ولهذا السبب، فإننا نحتاج إلى توضيح المشكلة من خلال التركيز على أصل كلمة «فوبيا» حتى نتمكن من فهم ماهية الخوف من الإسلام أو طبيعة المشكلات المرتبطة بهذا الاسم. كما سنتناول الموضوع من جوانب عديدة بعد شرح المعنى الحقيقي للمصطلح والذي يقابل كلمة «etymos» في اللغة اليونانية القديمة. وتعني مصطلح «الفوبيا» الرعب اللامنطقي، أو الخوف والكراهية لأسباب غير منطقية[١]. حيث انتقل مصطلح «Phobos» من اللغة اليونانية إلى اللغة اللاتينية ومنها إلى الفرنسية ثم إلى اللغات الأوروبية الأخرى، والتي تعني «الذعر أو القلق الناتج عن الرعب» أو «الإحساس بالرعب». وأيضاً من الناحية الاجتماعية والثقافية؛ يستخدم مصطلح الفوبيا بمعنى الرعب بلا سبب. كما تم العثور على هذا المصطلح في بعض النصوص التي ظهرت في نهاية القرن الثامن عشر وفي بداية القرن التاسع عشر الميلاديين للتعبير عن بعض الوقائع[٢]. ومن أجل فهم الخلفية النظرية لمصطلح الفوبيا في فلسفة علم النفس بشكلٍ أفضل، لا بدّ من البحث في الأسس النظرية للظواهر النفسية. فالظواهر الموجودة لدى الإنسان مثل الخوف والحب والإيمان والكراهية، هي ظواهر نفسية موجودة في الطبيعة البشرية، حيث يجب أن تتوجه كل واحدة من هذه الظواهر النفسية نحو حدث أو شيء ما. كما يطلق الفيلسوف فرانز برينتانو (١٨٣٨م-١٩١٧م) على هذه العملية اسم «النية»[٣]. ويحتل الفيلسوف النمساوي برينتانو الذي ينحدر من أصول إيطالية والمولود في ألمانيا، موقعاً متميزاً في بنية الفلسفة المعاصرة. ولم يؤثر الفيلسوف برينتانو على مجال علم النفس فحسب، بل أثر أيضًا على الفلسفة وعلم الاجتماع والأدب الغربي المعاصر. فبالرغم من تأثر الكثير من الشخصيات بآراء الفيلسوف «برينتانو» أمثال الأدباء: «فرانز كافكا» و«روبرت موسيل» والفلاسفة أمثال: «إدموند هوسيرل» و«مارتن هايدجر» و«ألكسيوس مينونغ»، بالإضافة إلى من قاموا بتأسيس البنية النفسية للنظام الرأسمالي مثل «سيغموند فرويد»، إلاَّ أنه لم يكن فيلسوفا مشهوراً لدرجة كبيرة[٤].

ومنذ إنطلاقة الثورة الصناعية حتى يومنا هذا؛ فإن النماذج الأدبية والاقتصادية والاجتماعية، وحركات التغيير لا تزال تدور حول دائرة علم النفس الذي ظهر نتيجة التطورات الفلسفية في الغرب. وهذا يعني أن التغيرات النفسية أو الحركية للبشر هي التي تحدد عالمنا اليوم بكل عناصره. ولا يمكن اعتبار علم النفس بمثابة علم الروح، بل هو علم مرتبط بالنفس فقط[٥]. وحتى إنه لا يعد علماً من أنواع العلوم وفقاً للرؤية العلمية

(١) Bkz: William Collins Sons & Co. Ltd., *The New Dictionary of CulturalLiteracy*, Boston, 2005, Phobia Maddesi.

(٢) Bkz: Editör: John McHardySinclair, *Collins English Dictionary* - Complete & Unabridged 3rd Edition, 1994, Phobia Maddesi.

(٣) Bkz: Franz Brentano, *PsychologievomempirischenStandpunktBand I*, Hamburg, FelixMeinerVerlag, 1973, s. 111.

(٤) Bkz: Mehmet Sabri Genç, "Franz Brentano'nunÇağdaş Batı Felsefesine Etkileri",İstanbul, *Kutadgubilig Felsefe Bilim Araştırmaları Dergisi*, Sayı 12, Dergâh Yay.,Ekim 2007, s. 109-119.

(٥) Bkz: Ahmet Yüksel Özemre, *Türkçe Kur'ân Çevirilerinde "Nefs – Rûh", "Resûl – Nebî", "Yakıyn – Mevt" Kelime Çiftlerindeki Kavram Kargaşası*, ozemre.com, 31.12.2006.

الموجودة لدينا اليوم[٦]. كما أن تجاهل حقيقة أن للإنسان جانباً روحانياً، واعتباره مجرد جسم مادي يتناقض مع فهمنا للعلم. ونظرًا لأهمية علم النفس الذي يدور العالم حول فلكه؛ لابد من السيطرة على هذا المجال بالشكل المطلوب ومكافحة أي شوائب خارجية تهدد وجوده. كما يشار إلى أن أمريكا قدمت لجنودها ملخصًا عن كتاب «رأس المال» للمؤلف «كارل ماركس» في نضالها ضد الشيوعية، قائلةً لهم: «تعرفوا على عدوكم!» لأنه ليس من المنطق أن يعادي شخص ما أو مجتمع ما عنصراً لا يعرفه. أما عندنا نحن، فإن مؤيدي ماركس ومعارضيه على حد سواء لا يعرفون ماركس حق المعرفة. وكذلك الأمر بالنسبة للمتخصصين لدينا في علم اللاهوت المسيحي فإنهم نادرون جداً. لكن بالمقابل ليس من الصدفة أن يقوم أصحاب الحضارات الأخرى الذين يحاولون فهمنا جيداً، ثم تفريقنا وتشتيتنا، باستضافة الأبحاث الإسلامية الأكثر شمولاً في العديد من المجالات، ووضع المصطلحات، ثم تقديم التعريفات الفاسدة التي توجهنا كما توجه الرأي العام العالمي. فبعد انهيار الشيوعية أمام القوى الرأسمالية، اتخذوا الإسلام والمسلمين أعداء لهم. حيث أشار جاناتان إلى نتائج هذا الموقف على النحو التالي:

إن إختراع فكرة «عدو جديد» بعد انهيار الشيوعية مباشرةً تتوافق مع نظرية المؤامرة هذهِ. حيث تم اختراع أسطورة الخطر الإسلامي استجابة للاحتياجات الاجتماعية والنفسية والسياسية للغرب في العصر الحديث. وتؤثر هذه الأسطورة سلبًا على المسلمين الذين يعيشون في الغرب، كما تعيق اندماجهم في المجتمعات الغربية. لأن الخطر الإسلامي يتسبب بقلق المجتمعات الأصلية من وجود المسلمين بينهم، بالإضافة إلى عزل المسلمين عن المجتمع أيضاً. فهذه الأفكار لا تساهم إلَّا في دعم هذه الأسطورة وتثبيتها في أذهان الناس[٧]. وحتى نكون على معرفة بما يشير إليه مصطلح الإسلاموفوبيا بالضبط، ونكون قادرين على تحديد ودراسة خلفيته الاجتماعية والثقافية والنفسية، لابدّ لنا من معرفة النظرية التوجيهية للفيلسوف برينتانو كشرط أساسي لذلك[٨]. وتعود هذه النظرية لابن شقيق سيغموند فرويد (١٨٥٦-١٩٣٩) وهو إدوارد بيرنايس (١٨٩١-١٩٩٥) الذي يعتبر مؤسس مجال العلاقات العامة ونظرية «فن التلاعب بالرأي العام»[٩] من أجل إظهار الوجه الآخر للنظام الرأسمالي من خلال نظرية التلاعب في المستوى النفسي للبشر. كما يعتبر بيرنايس مؤسس الدعاية الحديثة تحت اسم العلاقات العامة، كأحد أكبر شياطين القرن العشرين، حيث نجح في إبعاد المجتمعات عن الطريق الصحيح وإيقاعها في فخ الاستهلاك. وكان قد انتقل برنايس مع عائلته من النمسا إلى نيويورك عندما كان طفلاً لا يتجاوز عمره السنة. كما أنه لم يفضل مصطلح الدعاية كونه كان يستخدمه هتلر من قبل، وبدلاً من هذا المصطلح قام باستخدام تسمية «العلاقات العامة»، حيث شارك في أكثر أنشطة الدعاية بشاعة في القرن العشرين تحت مسمى العلاقات العامة. كما قام بترجمة مؤلفات سيغموند فرويد إلى اللغة الإنجليزية، مما ساعد

(٦) Bkz: Ş. Teoman Duralı, *Sorun Nedir?*, İstanbul, Dergâh Yay., 2006, s. 37.

(٧) Kadir Canatan, Özcan Hıdır, *Batı Dünyasında İslâmofobi ve Anti-İslâmizm*, Ankara, Eskiyeni Yay., 2007, s. 22.

(٨) *Thorie der Intentionalität* Alm.

(٩) *The Art of PublicManipulation* Ing.

فرويد في نيل الشهرة في جميع أنحاء العالم. ومن خلال تبنيه أفكار فرويد أو تلاعبه فيها في المقام الأول، تسبب في سحق عقول الناس تحت وحشية الرأسمالية من خلال السياسة ووسائل الإعلام (التلفزيون والسينما والإذاعة والصحف وإلخ..). كما أسهم في نقل الثقافة الرأسمالية[١٠] من الولايات المتحدة إلى العالم من خلال وسائل الإعلام. بالإضافة إلى إستخدام ثقافة السينما في هوليود كأداة للدعاية. وعلى سبيل المثال، بناءً على شكوى من شركة سجائر عن خسارة أكثر من نصف زبائنها بسبب عدم استهلاك السجائر من قبل شريحة كبيرة من النساء، قام فرويد بإيجاد حل لهذا الأمر من خلال الاتصال بأحد تلامذته السابقين في أمريكا ممن لديهم الخبرة في التحليل النفسي. حيث تم جلب مجموعة من النساء الفاتنات للمشاركة في إحدى المسيرات في مدينة نيويورك، والتي رتبت لها مسبقًا، وهن يمسكن بعلب السجائر ويطلقن هتافات تدعو إلى الحرية والمساواة مع الرجل بهذا الخصوص. وكذلك أيضاً تم إحضار عدد من الصحفيين الذين تم الإتفاق معهم مسبقاً من أجل تصوير المشهد ونشره. ففي اليوم التالي، قامت جميع الصحف بنشر هذا الخبر مقابل مبلغ مالي معين. وهذا ما ساهم في انتشار التدخين بين النساء باسم الحرية والمساواة بين الرجال والنساء، مما أكسبه الملايين بسبب نجاحه في هذهِ المهمة. وهو أيضاً من قام باختراع مصطلح «المستهلك»، ما جعل الناس يستهلكون أكثر من احتياجاتهم. كما قام بإيجاد مصطلح «الديمقراطية» التي تم استخدامها في السياسة الأمريكية ضد البلدان الأخرى بأسلوب شيطاني عجيب[١١]. كما حاول العبث بالبنية النفسية والعقلية للناس، وتحويلهم إلى كائنات بيولوجية بحتة، فقد خلق وحشًا لا يعرف سوى الاستهلاك وفقاً للحس الأخلاقي الخاص به. حيث تم استغلال السينما، والأدب، والسياسة، والموسيقا، والنساء، والرجال، والأطفال، والتقانة، وما شابه ذلك، في سبيل هذا الغرض. كما تم تأليف كتب التنمية الشخصية بما يتوافق مع هذه الغاية. وقد استغل الأدب والشعر أيضاً كأدوات في خدمة هذا الهدف. حيث تم تطوير كل طرق المعالجة هذه بناءً على «نظرية التوجيه» للفيلسوف برينتانو. وهنا ليس لدى برينتانو أي ذنب، لأن سبب المشكلة هو فرويد الذي كان يحضر دروسه في قسم الفلسفة بجامعة فيينا، حيث قام بترجمة نظرياته وتحريف مسارها نحو منحى مختلف. فكل واحدة من الظواهر النفسية الموجودة لدى الإنسان بالفطرة مثل الخوف والحب والإيمان والكراهية يجب أن تتجه نحو سبب ما. فعلى سبيل المثال عندما يقول أحدهم: أنا خائف، نسأله: ممن تخاف؟ فيمكنه أن يجيب قائلاً: أخاف من الثعبان، أو أخاف من مديري، أو أخاف من الله. هنا تم توجيه ظاهرة «الخوف» نحو الأسباب وهي «الثعبان» أو «المدير» أو «الله». بمعنى آخر، يجب أن تتجه كل ظاهرة من الظواهر النفسية الخاصة بنا نحو سبب معين. فلا يوجد خوف بلا سبب. وبعبارة أخرى، لا يمكن لأحد أن يقول أنا خائف من دون وجود شيء يخيفه. ومن المثير للاستغراب أن مفهوم الفوبيا يعني أيضًا «الرعب من دون سبب». كما أن ظهور مثل هذه الظاهرة النفسية بلا أي سبب؛ ما هي إلا ظاهرة من ظواهر المرض النفسي والعقلي. وهذا ما ينطبق أيضاً على ظواهر «الحب»، و«الكراهية»، و«الإيمان». وابتداءً من القرن التاسع عشر الميلادي، وبعد انطلاق الثورة الصناعية في أوروبا،

(١٠) بدءاً من ثقافة الوجبات السريعة انتهاءً باللباس والعائلة والهوايات والرياضة وثقافة الاستهلاك.

(١١) Bkz: Mücahit Gültekin, *Algı Yönetimi ve Manipülasyon*, İstanbul, Pınar Yay., 2016, s. 23-25.

ظهرت الإختلافات الكبيرة في الرؤى، حيث تمكن الغربيون من اللعب على الوتر النفسي لدى الأشخاص وتوجيههم، كونهم على معرفة جيدة بحالاتهم النفسية، فسلبوا حريتهم الحقيقية مقابل خداعهم بشعارات الحرية الزائفة. ومن خلال الإعلانات والتلاعب بالألفاظ وفرض أنماط حياة معينة عليهم قيل لهم: أخشوا فلاناً ولا تخشوا فلاناً، وأحبوا فلاناً ولا تحبوا فلاناً[١٢]. فإذا أردنا توضيح هذه المسألة من خلال المخطط تكون كالتالي:

الشخص	الرعب	السبب
الإنسان	.....	الأفعى
الإنسان	.....	المدير
الإنسان	.....	الله

المخطط الأول: مخطط نظرية التوجيه:

ولكي يتم فهم المشكلة التي جاءت في المخطط أعلاه بشكل أفضل، قمنا باختيار ظاهرة الرعب من ضمن مجموعة من الظواهر النفسية كما أسماها برينتانو والتي هي موجودة في الإنسان بالفطرة مثل الخوف والحب والكراهية والإيمان. فيجب أن تكون ظاهرة الرعب موجهة أيضًا نحو سبب ما، مثلها مثل الظواهر النفسية الأخرى الموجودة لدينا. وبمعنى آخر، عندما أقول إنني أخاف من الثعبان، فإن ظاهرة «الخوف» تتجه نحو سبب ما ألا وهو الثعبان. وعندما أقول إنني خائف من «المدير» هنا يتم توجيه ظاهرة «الخوف» نحو «المدير»، وعندما أقول «أخاف الله»، فإن ظاهرة «الخوف» تتجه نحو «الله». فهذه هي نظرية برينتانو التي يطلق عليها اسم «نظرية التوجيه». أي أن كل ظاهرة نفسية يجب أن تتجه نحو سبب معين[١٣].

كما أنه لا توجد هناك أية مشكلة بخصوص هذا المخطط الذي توصل إليه برينتانو. لكن المشكلة تكمن في طريقة التلاعب بالمعلومات الموجودة في هذا المخطط الذي من شأنه القيام بتوجيه الناس والمجتمعات. ومن المثير للاستغراب هو وضع كلمة «الخوف» وكلمة «فوبيا» هنا في نفس الكفة من حيث المعنى.

ولعل أضعف ظاهرة نفسية لدى الإنسان هي ظاهرة «الخوف». حيث تتم معظم عمليات التلاعب بالعقول من خلال ظاهرة «الخوف»؛ لأن الشخص الخائف يستسلم بكل سهولة. ولقد قام النظام العالمي بفرض هيمنته من خلال جو يسوده الخوف عبر وسائل كثيرة سواءً كانت ملموسة أم مجردة. وهنا يمكن الإشارة إلى الكتاب الذي ألفه (ناثان لين) الذي يحمل عنوان «صناعة الإسلاموفوبيا» وهو بمثابة إيحاء مبسط عن هذهِ الحالة[١٤]. كما يبين لنا لين من خلال هذا الكتاب كيفية صناعة ظاهرة «الرعب» التي تحدثنا عنها ومن ثم كيفية تسويقها فيما بعد. وهكذا فإنه يتم توجيه ظاهرة الخوف نحو «الإسلام» تحت اسم «الإسلاموفوبيا». لكن كيف يتم التلاعب بالظواهر النفسية التي حاولنا ذكرها أعلاه؟ الإجابة على هذا السؤال بسيطة للغاية: إنه

(١٢) Ayrıntılı bkz: Mehmet Sabri Genç, "Modern Batı Edebiyatı'nın Felsefî ve Psikolojik Arka Planı", İstanbul,*Karabatak Dergisi*, Mayıs-Haziran 2016, Sayı 26, s. 6.

(١٣) Bkz: Franz Brentano, *PsychologievomempirischenStandpunktBand I*, Hamburg, FelixMeinerVerlag, 1973, s. 111-112.

(١٤) NathanLean, *İslâmofobi Endüstrisi*, Diyanet Yay., Ankara, 2013.

يتم التلاعب بالحالة الاضطرارية للظواهر العقلية والنفسية في التوجه نحو سبب معين. إذن ماذا يعني التلاعب؟ يتم تعريف التلاعب على النحو التالي: إن توجيه المسار يكون عن طريق تحريف المعلومات وذلك من خلال الانتقاء والزيادة والنقصان وما شابه ذلك من أمور. أما استخدام المعلومات من أجل المصلحة الشخصية الخاصة، فهذا يكون من خلال تغيير طريقة التوجيه التي يريدها الشخص عن طريق الغش للتأثير على الأشخاص الذين لا يتوافق معهم فكرياً وتوجيههم كما يتوافق مع وجهة نظره(١٥).

فهذا النوع من الخداع وجد لنفسه طريقاً يسير ويتطور من خلاله. حيث أطلق عليه الأمريكيون اسم «توجيه العقول» أي التحكم بالإدراك. وحسب ما يرى گولتكين فإنه يعتبر الغش جزءًا لا يتجزأ من عمليات توجيه العقول. ومثلما أن توجيه العقول يتطلب معلومات محرفة، كذلك أيضاً يمكن للحقائق أن تكون جزءًا من العملية التوجيهية. أي أن توجيه العقول لم تكن فقط من خلال عملية تشويه المعلومات والأخبار ووجهات النظر أو إخفائها أو تعريضها للتحريف؛ بل يتطلب الأمر تنظيمًا أكثر تعقيدًا وبشكل تدريجي من خلال وضع خطة شاملة وطويلة الأمد(١٦).

لذا، يجب البحث عن الأسس النظرية لمسألة التلاعب هذه ضمن محتوى نظرية التوجيه. كما يعتبر مصطلح «التصور» واحداً من أهم مصطلحات نظرية التوجيه. حتى أن برينتانو يقسم التصور إلى قسمين وهما: التصور الداخلي، والتصور الخارجي(١٧). والتصور يعتبر أحد أهم مصطلحات وموضوعات علم النفس والنظرية المعلوماتية. فعندما نتحدث عن مجال الإدراك باللغة التركية، فإننا غالباً ما نقصد به العالم المرئي فحسب، أي المجال الذي يمكننا الشعور به من خلال حواسنا وتجاربنا. فالمجال الحسي الذي تدركه حواسنا والذي يمكن إثباته من خلال العملية التجريبية فهذا يمكن إدراكه بسهولة. لكن المجال الذي لا يمكن أن تدركه حواسنا، ولا يمكن تصوره، ولا يخضع للعملية التجريبية، فهذا المجال يقع خارج نطاق الحقائق، والمعرفة بهذا المجال تسمى «الإدراك». ولذلك نقول بأن الواقع يعرف، والحقيقة تدرك. ففي هذه الحالة، ومن خلال التحكم بالعقول يتم إغلاق جميع المسارات المؤدية إلى «الإدراك» وحصر الناس ضمن إطار معرفة الواقع فقط ومنعهم من إدراك الحقيقة الأصلية. بل إنهم لا يكتفون بحصرهم ضمن إطار الواقع فحسب، بل يقومون بتغيير الأسباب التي تتجه نحوها ظواهرهم النفسية أيضاً.

ويمكننا شرح التلاعب في التوجيه من خلال المخطط السابق على النحو التالي:

الشخص	الرعب	السبب
الإنسان	يمكن أن يتم تغيير سبب الرعب من خلال الخداع	الأفعى
الإنسان	يمكن أن يتم تغيير سبب الرعب من خلال الخداع	المدير
الإنسان	يمكن أن يتم تغيير سبب الرعب من خلال الخداع	الله

(١٥) (Özer, 2011)'den aktaran Mücahit Gültekin, *Algı Yönetimi ve Manipülasyon*, İstanbul, Pınar Yay., 2016, s. 16.

(١٦) A.g.e.: s. 16.

(١٧) Bkz: Mehmet Sabri Genç, "Franz Brentano'da İç Algı ve İç Gözlem Arasındaki Fark",İstanbul,*Kutadgubilig Felsefe-BilimAraştırmaları Dergisi*, Sayı 11, Dergâh Yay., Mart 2007, s. 109–119.

المخطط الثاني: ملخص الرسم البياني للتلاعب بطريقة التوجيه:

ما نحتاج إلى فهمه من المخطط أعلاه هو مسألة تغيير السبب الذي يتم توجيه كل ظاهرة نفسية نحوه. فمن خلال وسائل الإعلام والإنترنت[١٨] والموضة والعلاقات العامة والسياسة والتربية والتعليم والاستخبارات يتم تطعيم المجتمعات بأفكار خيالية عن طريق مجموعات معينة أو حتى بعض الكتب التي تتحدث حول الشيء الذي يجب الخوف منه أو لا، والشيء الذي يجب أن يكنوا له المحبة أو لا، والشيء الذي يجب أن يعتقدوا به أو لا. وعلى سبيل المثال، في حين أن الظاهرة التي كانت تخشى ولا تحظى بشعبية قبل وأثناء الحرب العالمية الثانية كانت «اليهودية» و«اليهود»، نراها قد تحولت نحو «الإسلام» و«المسلمين» في وقتنا الحاضر. وكما كانت معاداة اليهود في ذلك الوقت يطلق عليها «معاداة السامية» فقد أطلق على الرعب من الإسلام والمسلمين اسم «إسلاموفوبيا»[١٩]. إلاّ أن مصطلح «معاداة السامية» كانت موجهة ضد عرق معين أو مجموعة أعراق، في حين يشير مصطلح «معاداة الإسلام» إلى معتقد سياسي[٢٠]. ولذلك تحول «الإسلام» و«المسلمين» إلى مصدر الرعب بسبب توجيه مخاوف الجماهير عبر وسائل الإعلام العالمية والعناصر المذكورة أعلاه نحو الخوف من «الإسلام» و«المسلمين» بدلاً من الخوف من شيء آخر.

الشخص	الرعب (فوبيا)	السبب
الإنسان	يمكن أن يتم تغيير سبب الرعب من خلال الخداع	الإسلام
الإنسان	يمكن أن يتم تغيير سبب الرعب من خلال الخداع	المسلمين

المخطط الثالث: خلق «الإسلاموفوبيا» عن طريق التلاعب في التوجيه:

إن أحد الأهداف الرئيسية من كل هذا، أي من التحكم في توجيه العقول هو تغيير المواقف والتصورات لدى الإنسان على المدى البعيد، وليس فقط تحويل العاطفة وتغيير الشخصية على المدى القريب[٢١]. فيقومون بإحداث أضرار جسيمة ودائمة بالآخرين وبأقل التكاليف المالية من خلال التأثير في الأذهان والعقول، وليس كما كانت في العصور القديمة من خلال المعارك التي تستخدم فيها الأسلحة النارية. في الواقع، لقد بين گولتكين هذه النقطة على الشكل التالي:

إن مما جاء في الكتب التي تتحدث عن الحرب والاستراتيجيات العسكرية أنه ينبغي أن يتم تنفيذ الحرب الكلاسيكية والحرب النفسية في آن معاً. فالحرب الكلاسيكية تستهدف الأجسام والجبهات والذخائر والأماكن والمواقع الإستراتيجية، في حين تستهدف الحرب النفسية العقول والأفكار والتصورات والآراء والعواطف. كما أن التكلفة المالية للحرب النفسية أقل من الحرب الكلاسيكية، ولكن عواقبها أكثر ديمومة. وقد يتمكن أي مجتمع ما قد انهزم في الحرب الكلاسيكية أن يستعيد عافيته، لكن ليس من الممكن تحرير الناس والجماهير الذين تم غسل أدمغتهم من خلال الحرب النفسية[٢٢].

(١٨) NathanLean,*İslâmofobi Endüstrisi*, s. 79-119.
(١٩) A.g.e.: s.38.
(٢٠) Bkz: KadirCanatan,ÖzcanHıdır,*Batı Dünyasında İslâmofobi ve Anti-İslâmizm*, s. 95.
(٢١) Bkz: Gültekin,*Algı Yönetimi ve Manipülasyon*, s. 17.
(٢٢) A.g.e.: s. 16.

الفوبيا يعني الرعب لأسباب لامنطقية وهو مرض عقلي. ووفقًا لنظرية التوجيه، فإنه يجب أن تتأثر كل ظاهرة نفسية بسبب معين؛ لكن عندما لا نجد هناك سبباً للخوف، فهذا ليس إلاّ نوعاً من أنواع المرض العقلي والنفسي. وفيما يتعلق بالإسلاموفوبيا فإنه تم توجيه ظاهرة الرعب نحو الإسلام، لأنه وفقًا لنظرية التوجيه، يجب أن تتجه كل ظاهرة نفسية نحو سبب معين كما هو معروف. فكلمة فوبيا تعني الرعب اللامنطقي، وتوجيهها نحو سبب ما يجعلها تتنافي مع المنطق أكثر فأكثر. أي لا يتم الاكتفاء بالتلاعب في ماهية أسباب الرعب فحسب، بل يتم استهداف عقول الناس، حتى يتم إنشاء ظاهرة نفسية لا مبرر لها. وفيما يخص الإسلاموفوبيا، فإنه تم تحويل هذا التلاعب ثنائي القطب إلى هاجس عالمي. كما تعد عملية التحكم بالتصورات عملية معقدة وطويلة الأمد، حيث تهدف إلى استبدال الأفكار غير المرغوب فيها من وجهة نظرهم بأفكار جديدة لدى الفئة المستهدفة[٢٣]. لذا فإن الرعب الذي ينتشر عبر الدعاية لظاهرة «الإسلاموفوبيا»، هو رعب مصطنع. حيث تم إنتاج ظاهرة الرعب أولاً ثم بعد ذلك تم إنتاج سبب لهذه الظاهرة التي ستتجه نحوه؛ لأن أي شخص يتمتع بصحة عقلية لا يمكن أن يخاف دون سبب. أي يجب أن تتجه ظاهرة الخوف نحو سبب معين. ولا يمكن لأحد يتمتع بكامل قواه العقلية أن يقول «أنا خائف» بدون سبب، وإلا يعتبر مصاباً بمرض عقلي. لذلك، فإن كلّاً من ظاهرة الخوف وفرض السبب الذي تتجه نحوه قسراً بطرق مختلفة، تزيد من عدم منطقية هذهِ العملية. وفي هذا الصدد أشار أوكوموش إلى أن هذا الخوف عبارة عن خوف مصطنع وملفق، حيث ينطبق عليه المثل الذي يقول إن «الخوف لا يؤثر على الأجل». كما عرف كريشناموتي الخوف بأنه الشيء الذي لا مبرر له قبل أن يشعر به الشخص، وبعد الشعور به عندئذ يعتبر خوفاً لا قيمة له. فالخوف الحقيقي والطبيعي من النوع الأول يمكن أن يؤدي إلى نتائج مفيدة. وربما يكون ذلك عاملاً يدفعك إلى معرفة الشيء الذي تخشاه، وفي حال كان هذا الشيء ضارًا فعليًا، قد يدفعك هذا الخوف إلى اتخاذ التدابير اللازمة ضده. أما الخوف من النوع الثاني هو خوف مرضي قد يؤدي إلى هواجس وأحكام لا معنى لها وغير واقعية لدى الإنسان[٢٤].

فالإسلاموفوبيا لم يتحول إلى صناعة، بل تحول إلى حالة مرضية عالمية. كما أن خبراء التحكم بعقول الأشخاص وصناعة التصورات؛ يديرون مجال علم النفس الاجتماعي منذ ما يقرب من مائتي عام من خلال استغلال خبرتهم في علم النفس وعلم الاجتماع. وهناك أربعة عناصر لعملية الخداع. حيث يصنف گولتكين هذه العناصر الأربعة على النحو التالي[٢٥]:

١- المخادع.
٢- المخدوع.
٣- موضوع الخداع.
٤- السياق.

(٢٣) A.g.e.: s.17.
(٢٤) Kadir Canatan, Özcan Hıdır, *Batı Dünyasında İslâmofobi ve Anti-İslâmizm*, s. 125.
(٢٥) Gültekin, *Algı Yönetimi ve Manipülasyon*, s.21.

فيقول گولتكين: إن العنصر الأهم بين هذه المكونات الأربعة والأكثر أهمية بالنسبة لخبراء التحكم بالعقول هو العنصر المخدوع أي الطرف الذي يمارس عليه الخداع. وقد تنتج عن عملية الخداع بعض الأخطاء، وهذا ما يؤدي إلى احتمالية اكتشاف هذه الأخطاء من قِبل الطرف المخدوع، وهذا الأمر ربما يلعب دورًا مهمًا في عكس النتيجة أو تغييرها. ولهذا السبب يتعين على خبراء توجيه العقول على المستوى العالمي إخفاء أهدافهم دائماً. حيث يعتبر إخفاء الغرض من الخداع هو أحد الشروط الرئيسة لعملية الخداع. لهذا السبب، فإن السؤال بصيغة «لماذا» غير مسموح به في عملية الخداع. لأن السؤال بصيغة «لماذا» يتضمن الغرض والمستقبل، بينما يتضمن السؤال بصيغة «ما هو السبب» كل ما يسبق الحدث. لذلك، فإن الاختلافات التي قد تنشأ بين السبب والغرض تسهل عمل خبراء توجيه العقول، لأن مجرد التركيز على الأسباب يمكن أن يتحول إلى عائق يمنع الأشخاص من معرفة الأهداف المخفية. حيث يجب استخدام سبب من الأسباب التي تبدو وكأنها واقعية بنظر الأشخاص، كستار لمنعهم من معرفة أهدافهم المخفية[٢٦].

كما تعمل الدعاية من خلال تسويق الفوبيا أي الرعب للحفاظ على علاقة مباشرة بين الخادع والمخدوع. وقد لا يتم تسويق «الخوف» من خلال الدعاية باستمرار، إلاّ أن ظاهرتي «الخوف» و«الكراهية» هما من الظواهر النفسية التي يتم تسويقها على وجه الخصوص في تكريس فكرة الإسلاموفوبيا كما هو معروف[٢٧].

واستخدمت كلمة الدعاية في اللغة اللاتينية بمعنى «توسيع» و«انتشار» لأول مرة في عام ١٦٢٢م من خلال إعلان صدر عن السلطة البابوية من أجل نشر المسيحية. كم تم استخدام كلمة الدعاية وكلمة التبشيرية بنفس المعنى. فبعد الثورة الفرنسية، بدأت تستخدم بمعنى انتشار الأفكار السياسية كما هو الحال في يومنا هذا[٢٨].

فالغرب لديه الخبرة الكافية في عملية الترويج، ومشكلة الإسلاموفوبيا التي ظهرت مع سيطرة الحضارة العالمية، ما هي إلا صورة عن تجاربهم التاريخية وما هو موجود في اللاشعور لديهم. حيث كشف التاريخ الأوروبي الاستعماري والمراحل التاريخية للاستشراق، «صناعة الإسلاموفوبيا» و«سياسة الإسلاموفوبيا لدى الامبريالية العالمية»[٢٩]. حيث توجد تصريحات مهمة في هذا الصدد للرئيس السابق للشؤون الدينية التركية الأستاذ الدكتور محمد گورماز، حيث يقول: إن الإسلاموفوبيا هو في الحقيقة يمثل الجزء المكشوف فقط من مشروع كبير، فالإسلاموفوبيا ليس مستقلا أبداً عن السياسة والاقتصاد والمصالح الدولية وادعاءات التفوق والهيمنة العالمية. ففي حقيقة الأمر إن أولئك الذين يقومون بصناعة الإسلاموفوبيا والترويج له، يخافون على أنفسهم. حيث يخشون على انهيار النظام الذي قاموا بإنشائه على أساس الحرب والاحتلال والاستعمار والاضطهاد والظلم والجور، مثل مشركي مكة تماماً. فهؤلاء الذين يتغذون على الإسلاموفوبيا يعرفون حق

(٢٦) A.g.e.: s.21-2.

(٢٧) Bkz: NathanLean, *İslâmofobi Endüstrisi*, s. 41-79.

(٢٨) Mehmet Sabri Genç, "PropagandayaKarşıEdebiyat", İstanbul, *KarabatakDergisi*, Mart Nisan 2016, Sayı 25, s. 62.

(٢٩) Bkz:Deepa Kumar: *İslâmofobi, İmparatorluğun Siyaseti*, İstanbul, Pınar Yay.,2016, s. 19-65.

المعرفة أن الإسلام هو دين الحقوق والقانون والعدالة والأخلاق والفضيلة، وأنه جاء لإحلال الأمن والسلام والطمأنينة في الأرض، ومن أجل الحفاظ على النفس والمال والنسل والعقل والدين. وأنه منهج حياة يهدف إلى خلاص البشرية جمعاء. ويدركون أن كل هذا يكمن في رسالة خاتم الأديان الحقة، وهو الإسلام وخاتم الكتب السماوية الحقة وهو القرآن الكريم، وخاتم الأنبياء وهو النبي محمد المصطفى ﷺ. لهذا السبب، فإنهم يسعون دائماً إلى إدخال الرعب في نفوس الناس من الإسلام(٣٠).

إن التضاد في المعنى بين كلمتي الفوبيا والإسلام مهم أيضًا. لقد حاولوا تطبيق طريقة الغزو العكسي كما يطبق دائماً في أساليب الغزو الفكري. حيث يعد عكس الكلمات والمعاني والمصطلحات والظواهر أحد أهم وظائف موجهي العقول. كما يحمل مصطلح الإسلاموفوبيا معنىً سياسياً وليس دينياً. لذا يجب معرفة أنه يتم تطبيق الحرب النفسية بكافة أشكالها. ولذلك لا بد من مكافحة هذه الظاهرة من خلال العلم.

إن الاختلافات بين الثقافات هي من طبيعة المجتمعات. حيث إنه لا يوجد أي مجتمع متجانس تماماً. فالمجتمعات التي لم ترضخ أمام محاولات هيمنة النظام العالمي عليها من خلال فرض المجانسة عليها ووضعها في قالب واحد قوبلت بعداء شديد تجاهها من قبل القوى العالمية تلك. فهذه الحرب النفسية هي نتيجة غريزة العداء الطبيعي لديهم. كما أن الحرب ضد المجتمعات الخارجة عن منظومتهم هي حرب نفسية أكثر من كونها حربًا كلاسيكية. فوسائل الإعلام، والإنترنت، والتعليم، والعلاقات العامة، وألعاب الكمبيوتر(٣١)، والأفلام الكرتونية، والبنوك، والجماعات التي تستغل الدين، وبعض التكتلات والطرق الدينية ما هي إلا بيادق الحرب النفسية، وأدوات الغزو. كما يعتبر عدم معرفة أساليب هذه الحرب أو تجاهلها بمثابة تدمير للعناصر الأساسية التي تتكون منها هذهِ الشعوب المعرضة لعملية الخداع. فالنظام العالمي اليوم لم يعد يشن حربا كلاسيكية للتغلب على خصومه، بل يعتمد على الحرب النفسية. كما تقوم هذه القوى العالمية بالاعتماد على الحروب الكلاسيكية التي تبنى على أساس الدوافع الدينية بحجة الإرهاب(٣٢).

جوزيف ناي، هو أحد الاستراتيجيين في النظام العالمي الذي يقترح الحرب النفسية من توجيه العقول بدلاً من الحرب الكلاسيكية، حيث يصف هذه القوة بأنها القوة الناعمة ويقول إن استخدام أمريكا لهذه القوة سيحقق لها نتائج هامة وبأقل تكلفة، بالإضافة إلى كونها مضمونة ودائمة(٣٣). وحتى إن مصطلح «القوة الناعمة» مناسبة جداً من أجل خطة التأثير في العقول. فكلمة «الناعمة» هنا بمعنى «الصلبة» في حقيقة الأمر. والغرض الرئيسي من هذه القوة ليس تغيير السلوكيات، بل تغيير المبادئ الثابتة والراسخة. لأن تغيير السلوكيات لا

(٣٠) MehmetGörmez,"Korku Endüstrisi İslâmofobia", Ankara, *Diyanet Dergisi*, Mayıs 2017, Sayı: 317, s. 4-5.

(٣١) إن قول هنري كسنجر في تصريح سابق له: «ننتظر بفارغ الصبر تنفيذ الألعاب الحربية التي أنتجناها» وإدمان معظم الشباب الأوربيين الذين التحقوا، التي يخصص لها ميزانية كبيرة بالإضافة إلى مثل هذه الألعاب التي تضخ أرباحاً ضخمة تحقق أمنيات كسنجر. بالمنظمات الإرهابية call dutyخلال الحرب في سوريا مثيرٌ للاهتمام. كما أن لعبة.

(٣٢) Bkz: Osman Şen, "Küreselleşen Terörizm Stratejisi", Ankara, 2017, *Diyanet Dergisi*, Sayı 317, s. 22-24.

(٣٣) Bkz: Gültekin, *Algı Yönetimi ve Manipülasyon*, s. 16-17.

يؤدي بالضرورة إلى تغيير المواقف والمبادئ. لكن تغيير المواقف والمبادئ سيؤدي بطريقه إلى تغيير المشاعر والأفكار والسلوكيات بالتأكيد[٣٤]. وبالإضافة إلى عدم سهولة تغيير هذه المواقف، فهي أيضاً تقوم بدور مهم في توجيه القرارات والسلوكيات. وفي حال تم تغيير المواقف والمبادئ فإن هذا سينعكس سلباً على جميع مناحي الحياة[٣٥]. وفي نهاية المطاف، فإن الحرب النفسية مستمرة ليس فقط من خلال مصطلح الإسلاموفوبيا فحسب، بل من خلال استخدام مصطلحات عديدة. حيث يعتبر دس الأفكار في الأذهان وتكرارها مراراً هي واحدة من أهم أدوات الحرب النفسية، وذلك من خلال كلمات غامضة وغير مفهومة لدى الناس. إن جميع المنظمات التي ابتليت بها تركيا قامت بتطبيق وبتنفيذ هذه الخطة في مختلف المجالات ولا زالت تطبقها حتى يومنا هذا. فالشخص الذي يحاول استيعاب الكلمات الغامضة التي لا يمكنه فهمها، يعتاد عليها بعد فترة، ثم يصبح أحد أدوات هذهِ القوى العالمية المهيمنة من تلقاء نفسه. فكل شيء يظهر من خلال المصطلحات التي ترسخت في العقول والوقائع التي تتجه نحوها الظواهر النفسية والذهنية لدينا. وتتمثل إحدى طرق مواجهة هذه الظاهرة في تزويد البرمجة الذهنية لدينا بمصطلحات قوية والحفاظ على لغتنا حية. فمثلا إذا كان هناك أي خلل في برمجة الكمبيوتر، سيؤدي إلى ظهور مشاكل في الكمبيوتر؛ وهكذا أيضاً بالنسبة للبرمجة الذهنية لدى البشر، فعندما يكون هناك خلل في برمجيات العقل لدى الإنسان من خلال حشو الذهن بكلمات لا معنى لها، فإن هذا الشخص سيفقد هويته الشخصية فيما بعد ويصبح عبداً لغيره. فالإنسان ولد حراً، ولديه إرادة حرة خاصة به، وهو كائن ذو عقل. وتقوم الجهة المتحكمة في عملية توجيه العقول من خلال الكلمات التي اخترعتها، بالإضافة إلى أنماط الحياة، وشكل الأزياء والتعليم والإعلام، وغيره بتحجيم حرية الناس وإرادتهم، وحشو أذهانهم بأحكام مسبقة ومعان معتلة. وكما قال رئيس الشؤون الدينية التركي السابق الأستاذ الدكتور محمد گورماز بأن هؤلاء يعرفون حق المعرفة أن الإسلام هو دين السلام وأن المسلمين هم أصحاب بصيرة مؤمنون بالأمور الغيبية التي جاء بها دينهم. فهذه هي المشكلة بحد ذاتها بالنسبة للقوى العالمية، لأن المشكلة من وجهة نظرهم تكمن في عدم الرضوخ لهيمنتهم التي تسحق الإنسان في كل المجالات. فهم يرون ضرورة القضاء على كل من يقف أمامهم ويعيق تحقيق أهدافهم. ولهذا السبب هم يخافون من الإسلام، وهذا ما يجعلهم يقومون بالعبث في الأسس الفكرية والأخلاقية الخاصة بالعالم الإسلامي. فيجب على المسلمين ألا يتحججوا بأي عذر من شأنه تعزيز هذا الخوف المصطنع في النفوس. كما يجب أن يكونوا مثالاً يحتذى للناس وللإنسانية مهما كانت الحالة التي يعيشونها. وحاصل الكلام، فإن خلاصنا من مشاكلنا الفكرية والأخلاقية الموجودة بعيداً عن العاطفة في أقرب وقت والعمل من أجل نهضتنا ستساهم في تحديد مستقبل العالم بأسره. وإلا، فإن مستقبل العالم سيتم تحديده من دوننا وستزداد أزماتنا تفاقمًا. ولا يمكننا التغلب على فكرة الإسلاموفوبيا والخوف اللامنطقي من

(٣٤) Gültekin, *Algı Yönetimi ve Manipülasyon*, s. 17.

(٣٥) وفي السياق ذاته، يمكن اعتبار منظمة «فيتو» بمثابة تنظيم يحاول السيطرة على العقول منذ ستينات القرن الماضي من خلال التلاعب بها، فالغزو الفكري دائماً ما يتحول إلى غزو فعلي على أرض الواقع. ويمكن الإشارة إلى المحاولة الانقلابية في ١٥ تموز كمثال على ذلك.

الإسلام إلا من خلال ثورة فكرية ناتجة عن المبادئ الأخلاقية المبنية على العقل. فنحن لدينا القدرة الكافية للقيام بهذه الثورة. ولذلك يجب علينا أولاً كشف طبيعة هذا الغزو الفكري الذي يستهدف كياننا، ثم بعد ذلك التخلص منه لاحقاً.

المراجع:

- Brentano Franz, Psychologievomempirischen Standpunkt Band I, Hamburg, Felix Meiner Verlag, 1973.
- Canatan Kadir, Hıdır Özcan, Batı Dünyasında İslâmofobi ve Anti-İslâmizm, Ankara, Eskiyeni Yay., 2007.
- Duralı Ş. Teoman, Sorun Nedir?, İstanbul, Dergâh Yay., 2006.
- Genç Mehmet Sabri, "Franz Brentano'da İç Algı ve İç Gözlem Arasındaki Fark", İstanbul: Kutadgubilig Felsefe-Bilim Araştırmaları Dergisi, Sayı 11, Dergâh Yay., Mart 2007, s. 109-119.
- Genç Mehmet Sabri,"Franz Brentano'nun Çağdaş Batı Felsefesine Etkileri",Kutadgubilig Felsefe Bilim Araştırmaları Dergisi, Sayı 12, Dergâh Yay., Ekim 2007, s. 109-119.
- Genç Mehmet Sabri, "Modern Batı Edebiyatı'nın Felsefi ve Psikolojik Arka Planı", İstanbul, Karabatak Dergisi, Mayıs-Haziran 2016, Sayı 26.
- Genç Mehmet Sabri, "Propagandaya Karşı Edebiyat", İstanbul, Karabatak Dergisi, Mart-Nisan 2016, Sayı 25.
- Görmez Mehmet,"Korku Endüstrisi İslâmofobia", Ankara,Diyanet Dergisi, Mayıs 2017, Sayı: 317.
- Gültekin Mücahit, Algı Yönetimi ve Manipülasyon, İstanbul,Pınar Yay., 2016.
- Kumar Deepa, İslâmofobi, İmparatorluğun Siyaseti, İstanbul, Pınar Yay., 2016.
- Lean Nathan, İslâmofobi Endüstrisi, Diyanet Yay., Ankara, 2013.
- Özemre Ahmet Yüksel, Türkçe Kur'ân Çevirilerinde "Nefs – Rûh", "Resûl – Nebî", "Yakıyn – Mevt" Kelime Çiftlerindeki Kavram Kargaşası, ozemre.com, 31.12.2006.
- Sinclair John McHardy, Collins English Dictionary - Complete & Unabridged 3rd Edition, 1994.
- Şen Osman, "Küreselleşen Terörizm Stratejisi", Ankara, 2017, Diyanet Dergisi, Sayı 317, s. 22-24.
- William Collins Sons&Co. Ltd., The New Dictionary of CulturalLiteracy, Boston, 2005.

مسؤولية المسلمين تجاه ظاهرة «الإسلاموفوبيا»؛ مراجعة الهوية والشخصية مراجعة نقدية ذاتية*

د. صالح آي دمير

جامعة حران – كلية الإلهيات؛ قسم علم الاجتماع الديني: saydemirs@gmail.com

الخلاصة:

إننا في نظر الأوروبيين عثمانيون حتى ولو أحرقنا القرآن، وهدمنا المساجد كلها؛ والعثماني يعني الإسلام. يعني الأجمة المظلمة والخطرة والعدو اللدود! وإن أوروبا مسيحية رغم حضارتها ومدنيتها؛ إنها مسيحية بيمينيها، ويساريها. والعدو الوحيد بالنسبة للمسيحي هو نحن: القوة الغامضة والمرعبة التي أذاقت الجيوش الصليبية الويلات، وألحقت بها مرارة الهزائم (جميل مَريج، من العمران إلى الحضارة، ١).

الكلمات المفتاحية: الإسلاموفوبيا، الأمن، الشدة، الكره

İslamofobi Karşısında Müslümanların Sorumluluğu (Öz Eleştirel Bir Kimlik ve Kişilik Sorgulaması)

Özet

İslâm âlemi ile Hristiyan dünyası arasında İslâm'ın doğuşundan beri farklı zamanlarda farklı boyutlarda ortaya çıkan çatışma ve çekişmeler olmuştur. Bu anlaşmazlıkların en son şekli Batı'nın İslâm dünyasına karşı tutumunu belirleyen "İslamofobi"dir. Günümüzde Batılılar, islamofobinin Müslümanların terörist ve zorba eylemlerinden, şiddet yanlısı oluşlarından, fikir ve basın özgürlüğüne tahammülsüzlüklerinden kaynaklandığını düşünmektedirler. Buna karşın Müslümanlar ise islamofobiyi, Batı'nın İslâm'a ve Müslümanlara karşı nefretlerinin, önyargılarının, düşmanlıklarının ve ötekileştirmek için zoraki ürettiği korkularının bir sonucu olarak değerlendirmektedir. Karşılıklı muhatabını suçlama üzerine kurgulanan bu tutum, taraflarca öz eleştiriye tabi tutulup 'Bizim kabahatimiz veya eksiğimiz nedir?' biçiminde yeterince sorgulanmamaktadır. Bu çalışmada Müslümanlar açısından bu özeleştirel yaklaşımın denemesi yapılmıştır.

Anahtar Kelimeler: İslamofobi, güven, şiddet, nefret

Responsibility of Muslims Againts Islamophobia (Self-critical an Identity and Personality Inquiry)

Abstract

Between the Islamic world and the Christian world have been conflicts and controversies that have arisen in different dimensions at different times since the birth of Islam. The last of these conflicts is "Islamophobia" which ultimately determines the way the Western world behaves against the Islamic world. Nowadays, teh Westerners portrays Islamophobia as the origin of Muslims' tendency to terrorism, tyranny, pro-violence, and intolerance to freedom of opinion, freedom of the press. Muslims, on the other hand, treat Islamophobia as fears forcefully produced by the West to reflect its prejudices against Islam and Muslims as discrimination, racism, alienation, hostility and hatred. This attitude, which is based on accusation of mutual accusations, is not adequately questioned in the form of our culpability or lack of reason by subjecting it to self-criticism. In this study, a trial of this selfcritical approach was made for Muslims.

Keywords: Islamophobia, confidence, violence, hatred

* هذا البحث مقتبس من محاضرة بعنوان «مسؤولية المسلمين المعاصرين أمام ظاهرة الإسلاموفوبيا من ناحية الأمان: مراجعة الهوية والشخصية مراجعة نقدية ذاتية» والتي ألقيت ضمن فعالية «االنبي ﷺ ومجتمع الأمان»: وذلك خلال المؤتمر الدولي الحادي عشر المنعقد في مدينة أورفا بمناسبة المولد النبوي، بتاريخ ٢٠ نيسان من عام ٢٠١٧.

وهذه هي الترجمة العربية للدراسة بعنوان "İslamofobi Karşısında Müslümanların Sorumluluğu (Öz Eleştirel Bir Kimlik ve Kişilik Sorgulaması)" التي نشرت في العدد السّادس من مجلة الإلهيات الأكاديمية. (صالح آي دمير، مسؤولية المسلمين تجاه ظاهرة «الإسلاموفوبيا»؛ مراجعة الهوية والشخصية مراجعة نقدية ذاتية، الإلهيات الأكاديمية، ٢٠١٧، العدد: ٦، ص ١٧١-١٨٢). من الواجب أن يستند في الإقتباس إلى المقالة التركية.

نبذة:

منذ بزوغ فجر الإسلام وقعت صراعات وصدامات وخلافات بين العالم الإسلامي والعالم المسيحي في مختلف المراحل الزمنية، وعلى مختلف الأصعدة. وإن آخر شكل من هذه الصدامات والخلافات هو «الإسلاموفوبيا» والذي يحدد موقف وطريقة تعامل الغرب مع العالم الإسلامي. ويعتقد الغربيون في وقتنا الحالي أن ظاهرة الإسلاموفوبيا ناتجة عن أعمال المسلمين الإرهابية والاستبدادية، والكيانات والمنظمات الإسلامية التي تمارس العنف وتؤيده، ومن غياب حرية الفكر والرأي والصحافة أو التضييق عليها. وفي المقابل يرى المسلمون أن ظاهرة الإسلاموفوبيا هي نتيجة لمخاوف وهواجس مفتعلة من الغرب بسبب ما لديهم من كراهية وعداوة ومواقف وأحكام مسبقة تجاه الإسلام والمسلمين، وذلك بهدف إقصائهم ونبذهم من المجتمع. ولم يتم إخضاع هذا الموقف القائم على الاتهامات المتبادلة لنقد ذاتي ومراجعة كافية من قبل الأطراف بطرح التساؤل الآتي: «ما هو خطؤنا، أو ما هي جوانب النقص والعيب لدينا؟». فحاولنا في هذا البحث تجربة مقاربة نقدية ذاتية من ناحيتنا نحن كمسلمين.

الكلمات المفتاحية: الإسلاموفوبيا، الأمان، والعنف، الكراهية.

إن «الإسلاموفوبيا» مصطلح أو لفظ مغلوط فيه مؤلف من اجتماع كلمتين أو شقين؛ كلمة «الإسلام» التي تعني السلم، والتسامح، والسلام، والكلمة اليونانية «فوبوس phobos» أو «فوبيا phobia» التي تعني الخوف، والهلع، والرعب، والهلع. ورغم أن هناك من يذهب إلى تعريف هذا المصطلح الذي تكون بإضافة ملحق «فوبيا phobia» المستخدمة في الطب النفسي لتفسير الاضطرابات الذهنية/ العقلية المتضمنة الخوف اللامنطقي – على أنه الخوف اللامنطقي تجاه الإسلام أو المسلمين أو كليهما معاً، إلا أن هذا التعريف أصبح بعيداً جداً عن احتواء المعنى الكامل الذي يتم تحميله للمصطلح اليوم. حيث إن الذي يجب فهمه عند إطلاق أو سماع مصطلح إسلاموفوبيا: هو أن الإسلاموفوبيا مفهوم يعبر عن حالة من العداء والكراهية والتحامل والخوف اللامبرر، وما ينتج ذلك من خطابات وأفعال تحتوي على الإساءة والتمييز العنصري والشيطنة تجاه الإسلام أو المسلمين أو كليهما معاً. (كيرمان، ٢٠١٧).

يعود الظهور الأول لمصطلح الإسلاموفوبيا من الناحية التاريخية إلى عام ١٩٩٧ في إنكلترا، وذلك عندما استخدم في التقرير الذي أعدته مؤسسة فكرية بريطانية تُدعى «رنيميد تراست» حول التأثير السلبي الذي خلقه تصور الإسلام وربطه بالتيار الإسلامي الصاعد في العالم، وخاصة على الرأي العام الغربي(١). إلا أنه لم يجد هذا الانتشار الواسع، والتداول الكثيف في مختلف الوسائل الإعلامية إلا بعد الهجمات الانتحارية الشهيرة على برجي مركز التجارة العالمي في نيويورك بتاريخ ١١ أيلول ٢٠٠١، والتي تم تنفيذها بطائرة مدنية لنقل الركاب، وتبناها تنظيم القاعدة حيث بلغ تداول هذا المصطلح ذروته. وفيما بعد صار كلما حدثت أعمال عنف أو هجمات

(١) http://www.yenisafak.com/yenisafakpazar/dun-barbar-turkler-bugun-islamofobi-2065935 23.03.2017.

انتحارية في الدول الأوربية يتم تقييمها في سياق أحداث ١١ أيلول، واعتبار الدولة المعنية قد تعرضت لذات النمط من الهجمات، ومن جهة أخرى بدأت عملية ربط الإسلام بالعنف وإثارة العداوة والكراهية تجاه المسلمين. وتسببت جملة من الأحداث الدامية التي وقعت في الدول الغربية، مثل: مقتل المخرج السينمائي الهولندي «ثيو فان غوخ Theo Van Gogh» على يد مواطن مغربي وسط الشارع في هولندا إثر إخراجه الفيلم القصير «الطاعة Submission» المسيء للإسلام؛ وحادثة تشارلي إيبدو التي وقعت بتاريخ ٧ كانون الثاني في باريس؛ والتفجير الذي حدث في مانشستر أرينا بتاريخ ٢٣ أيار ٢٠١٧ بتحول الخوف الموجود في الغرب تجاه المسلمين منذ زمن بعيد إلى حالة من العداء والكراهية. وفي الواقع إذا ما تم إخضاع الأعمال التي أُظهرت كسبب لتلك الأحداث، والذين قاموا بتنفيذها للتحليل والتمحيص الدقيق والمنفرد يتبين لنا أن هناك تعمداً في إقحام الهوية الإسلامية والمسلمين بتلك الأحداث، وإظهارها معها بمظهر واحد.

حتى وإن كانت ظاهرة الإسلاموفوبيا قد ظهرت كمصطلح في نهايات القرن الحادي والعشرين، فإن مضمونها وجذورها المتمثلة بالميول العدائية تجاه الإسلام ومحاربته ومحاولة الحد من انتشاره وإقصائه -تعود إلى عهد الحروب الصليبية، والتنافس الإسلامي المسيحي. حيث إن الحروب الصليبية التي تُعد أجلى صورة لهذه الميول التي ظهرت عبر التاريخ بأشكال مختلفة قد تجسدت وتمثلت تماماً في مفاهيم/ مصطلحات الاستشراق، والإسلاموفوبيا. (لين، ٢٠١٥).

إن الإنسانية منذ نشأتها حافظت على استمرار وجودها من خلال الآخر والأضداد في سياق المبدأ الشهير «الأشياء قائمة بأضدادها أو تُعرف الأشياء بأضدادها». وكما أن هذه الثنائية موجودة في المصطلحات والمفاهيم المتعلقة بالعالم المعنوي، مثل: الدنيا- الآخرة، الشيطان- الملائكة، الخير- الشر، الثواب- العقاب؛ فإنها كذلك قائمة في الكينونة الإنسانية والمجتمعية؛ وفي سائر الثنائيات الأخرى، مثل: هابيل- قابيل، إبراهيم- نمرود، موسى- فرعون. وإن الغرب لا يزال يطور ويحافظ على مفهوم التنوير الذي بدأ مع عصر النهضة ومفهوم تقييم العالم على أساس منطق المركزية الأوروبية الذي ظهر جلياً بعده، وذلك منذ القرن السادس عشر للميلاد وإلى الآن. (أمين، ١٩٩٣: ٤٥٧؛ فالرشتاين، ٢٠٠٣: ٥٢٧).

ومع ظهور الاتحاد السوفيتي، والولايات المتحدة الأمريكية كقوتين عظميين في بدايات القرن العشرين تابع العالم وجوده مع أضداد مثل: الاشتراكية- الرأسمالية، حلف وارسو- حلف الناتو، الستار الحديدي- العالم الحر. وعندما هيمنت فكرة البقاء دون ضد؛ والتي برزت مع انهيار الاتحاد السوفيتي عام ١٩٨٩ شعر الغرب القائم على المركزية الأمريكية بالحاجة إلى إيجاد جهة مواجهة له، ووقع الاختيار على الإسلام.

إن حصر الغرب لعقلية أو ذهنية الإسلاموفوبيا بجملة من أعمال العنف فقط، ومن ثم تصويرها وتقييمها وكأنها ضيق ذرع لدى المسلمين وتذمر وعدم تحمل لمختلف أشكال النقد وعلى رأسها النقد على الصعيد الفكري والفني يُعد تقييماً أو نظرة خاطئة ومشوبة بالعيب والنقص. إذ إن الغرب رغم حساسيته واهتمامه البالغ بمسألة حقوق الإنسان الأساسية بما في ذلك حرية المعتقد، فإنه مستعد دائماً إذا ما تعلق الأمر بالإسلام

والمسلمين للتخلي عن كل قيمه ووضعها جانياً، أو لخلق وسط وبيئة مناسبة من شأنها إضفاء المشروعية على أعماله ومواقفه المعادية تجاه الإسلام والمسلمين. ويلخص قدير جاناتان Kadir Canatan سلوك الغرب وموقفه بشأن مثل هذه المسائل تلخيصاً رائعاً، حيث يقول:

إن لمثل هذه الأحداث والأعمال تخطيط بسيط: حيث يتم اللجوء أولاً إلى نشر أمر مسيء بشأن مسألة هامة وذات حساسية خاصة في الإسلام ولدى المسلمين، ثم يتخذ المعتدون المظاهرات وردات الفعل التي تصدر عن المسلمين حجة لتبرير أعمالهم العدوانية (أتامان وأر نقلاً عن جاناتان، ٢٠٠٨: ٧٦٠).

فيكفي الإنسان لأن يعرف أن هذا التخطيط هو المتبع إلقاء نظرة خاطفة على الأحداث التي جرت في بعض الدول الأوروبية خلال الربع الأخير من القرن الماضي وقُدمت في مختلف وسائل الإعلام على أنها هجمات معادية من قبل المسلمين. فأزمة الرسوم الكاريكاتورية المشينة والمسيئة التي وقعت في الدانمارك، وإعادة نشر هذه الرسوم في فرنسا، وحادثة شارلي إيبدو التي نتجت عن ذلك، وكذلك عرض الفيلم القصير المسيء للمخرج الهولندي ثيو فان غوخ وما تبعه من أحداث في هولندا ما هي إلا تطبيق لهذا المخطط البسيط. والأمر ذاته ينطبق على حادثة سلمان رشدي التي وقعت قبل هذه الأحداث بفترة طويلة، حيث لم يتردد الغرب في اعتبار ما فعله سلمان من إهانة حرية فكرية رغم احتوائه على استهزاء واحتقار وإساءة لقيم المسلمين ومقدساتهم. ولم يُكتف بذلك فحسب، وإنما بلغ الأمر بالغرب إلى حد تقليد سلمان رشدي ميدالية الفروسية من قبل الحكومة البريطانية (حزيران ٢٠٠٧) في الفترة التي بلغت ظاهرة الإسلاموفوبيا في الغرب أقصى درجاتها، وبهذا العمل يكون قد كوفئت إهانة الإسلام وتوجت بالجائزة على مستوى الدولة من جهة، ومن جهة أخرى تم تحريض المسلمين على اللجوء إلى العنف مرة أخرى[٢]. وإن كافة الملصقات والكتابات والمواد الدعائية التي استخدمت في الاستفتاء بشأن المنارات في سويسرا تحمل إساءة وإهانة وأذى للإسلام والمسلمين. فمثلاً فقد تم تصميم المنارة في إحدى اللافتات على شكل صاروخ، وفي ملصق آخر صممت المنارة على شكل حربة تمزق العلم السويسري (تشبي، ٢٠١٥). فالدفاع عن هذه الممارسات المسيئة والتحريضية والاستفزازية تحت مسميات حرية الفكر، وحرية الصحافة ليس إلا نفاقاً، ودجلاً وكيلاً بمكيالين.

إن كان دين ما وأتباعه يشكلون مصدر قلق وخوف، وعنصر تهديد في تصور شريحة اجتماعية واسعة، فلا شك أن الحل يتطلب البحث عن أسباب هذا الخوف والوقوف عليها، ومن ثم الانطلاق منها للتغلب على هذا الخوف وتبديده. فيجب أن يتكاتف المجتمع الأوروبي بكل مؤسساته ووسائل إعلامه المرئية والمسموعة والمكتوبة لدراسة حقيقة هذا الخوف والقلق والكشف عنها، والعمل على تبديده وإزالته؛ لأن نظرة خوف كهذه إلى المسلمين الذين يتواجدون بكثرة في البلدان الأوروبية، ويشكلون جزءاً من النسيج الاجتماعي لتلك البلدان، واعتبارهم مصدر تهديد، وسيطرة حالة من القلق والارتياب على حياة الأطراف نتيجة لتلك النظرة والتصور –من شأنها الإضرار بصورة الدول الأوروبية التي ترفع شعار الحداثة، والعصرنة والديموقراطية وسيادة القانون وحقوق الإنسان.

(٢) http://www.bbc.co.uk/turkish/news/story/2007/06/070619_rushdi_update.shtml (20.03.2017).

إذن، فما الذي حدث اليوم حتى بدأت أوروبا تنظر إلى المسلمين أصحاب الحضارة والتراث الثقافي الغني والضارب جذوره في القدم على أنهم عامل خطر وتهديد (دغيرمنجي Değirmenci، ٢٠١٠)؟

إن اعتبار هذا الوضع ناتج عن طرف واحد، وتحميله للغرب وحدهم يُعد تهرباً من المسؤولية، وتغافلاً عن جدية الوضع وخطورته. حيث إن العالم الإسلامي/ المسلمين كانوا بحالة الوهن والعجز الناتجة عن تقصيرهم من نواح عدة سمحت بظهور مثل هذا الوضع في هذا العصر الذي نتحدث عنه. وهذه الظروف أتاحت المجال للغرب بتوظيفها لإثارة الأحداث، وتبني المسلمين لها بسهولة. وفي النتيجة فإن المسلمين أيضاً عندما شكل لهم دور «مجتمعي مهزوز وغير واثق من ذاته»، فإنهم نهضوا بهذه الوظيفة التي كلفوا بها من قبل الآخر متناسين دورهم في تأسيس «المجتمع الذي يوفر الأمان» والذي تتيحه لهم عقيدتهم.

هذا في حين أن كل ذرة من ذرات الدين الذي أنزله الله تعالى، وبلغه رسوله ﷺ إنما مبنية على الأمان/ الأمانة. حيث إن:

✔ **المؤمن**: اسم من أسماء الله الحسنى. أي يمنح الأمان، ويضمن الحماية، ويجعل الإنسان أميناً.

✔ **الأمين**: من أهم وأبرز صفات رسول الله (أتاي، ٢٠٠٧)؛ فالنبي ﷺ كان يوصف وينادى بـ«الصادق الأمين» حتى قبل النبوة، وتكليفه بالمهمة المقدسة. وأما بعد البعثة والنبوة فإن أعداءه من المشركين رغم محاربتهم له، وإقدامهم على فعل مختلف صنوف الأذى بحقه، لم يستطيعوا أن يطعنوا بصفة «الأمانة» لديه. وإنهم فوق ذلك لم يترددوا لحظة واحدة في ائتمانه على ودائعهم وأماناتهم، وفي تحكيمه بشأن الخلافات التي تحدث فيما بينهم.

✔ **المؤمن**: أبرز صفة من صفات الشخص الذي يقر بالإسلام، ويلتقي في المصدر مع معنى الأمانة. أي أنه آمَن بـ«المؤمن» و«الأمين» واستسلم لهما، وأنه صار مصدراً للأمان مثلما أمن ووثق بهما. يقول النبي ﷺ في معرض بناء مجتمع الأمانة والسلم: «الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ»(٣).

إن مفهوم مجتمع النبي يتكون من هذه النقاط الثلاث: الله – ومن أسمائه المؤمن، النبي – صفته الأمانة، المؤمن– الأمين (المؤتمن)، الموثوق به، والمصدق، والذي يؤتمن به، ويُعتمد عليه... إلخ. وعند التأمل في هذا الثلاثي يتبين لنا أن مفهوم «الأمان أوالأمانة» قد امتزج بالإسلام، وتوحد معه وصار جزءاً لا يتجزأ منه، بحيث لا إسلام حيث لا أمان/ أمانة، ولا أمان حيث لا إسلام. والخلاصة؛ إن هذا المفهوم هو مفهوم الله، مفهوم رسول الله، مفهوم الإسلام، مفهوم المسلم. وإذا ما تتبعنا حياة النبي ﷺ نجد أنها كانت قبل نزول الوحي وأثناء نزوله مرجعاً للأمانة/ الأمان، ومبنية على محور الأمانة. فالمجتمع العربي الذي كان يخاطبه وينادي بلقب «الأمين» قبل البعثة، وحتى إنهم لم يتوقفوا عن مناداته بـ«الأمين» بعد النبوة أيضاً وهم أعداؤه؛ ورغم عدائهم الشديد له ومحاربته ليل نهار فإنهم أثبتوا له هذه الصفة وقد عُزِّزَت ثقتهم به وشعورهم بالأمان تجاهه بشكل عملي من خلال وضع أموالهم أمانة عنده. ونجد أبرز هذه الأمثلة وأكثرها غرابة ولفتاً للأنظار ما كان أثناء

(٣) البخاري، الصحيح، الإيمان، ٤، ٥ (١٠، ١١)؛ الترمذي، السنن، الإيمان، ١٢، (٢٦٢٩).

هجرة النبي ﷺ. فمن المعروف أن النبي ﷺ ليلة هجرته لم يطلب من علي رضي الله عنه النوم في فراشه فحسب، وإنما بين له في الوقت عينه قائمة بأمانات مشركي مكة المودعة لديه، وأعطاه أسماء أصحابها، وطلب منه تسليمها لهم أيضاً(٤). فهذا التصرف النبيل والأصيل يظهر لنا صفة الأمانة لدى رسول الله «الأمين» التي لا مثيل لها بأبهى وأسمى صورها وتطبيقاتها؛ لأنه كان من جهة يحاول التخلص من خطر محدق به على يد الذين جاؤوا لقتله والفتك به، ومن جهة أخرى يحاول إيجاد سبيل لتسليمهم أموالهم التي وضعت أمانة لديه. فهذا التصرف لا يشهد له التاريخ مثيلاً أبداً.

لقد عاش النبي ﷺ ثلاثة وستين عاماً، ولم يحدث طيلة هذه المدة أن فقد ولو قدر ذرة من صفته التي تشعر كل من حوله ومن يتعامل معه بالثقة والأمان، لا على مستوى أقواله، ولا آرائه، ولا أفعاله وسلوكه. إن هذه المرحلة تدفعنا إلى مقارنة وإن كانت مع فارق؛ وهي مقارنة سلوك المشركين تجاه النبي ﷺ والمسلمين، وموقف النبي ﷺ منهم والذي لم يتردد للحظة في معاملتهم بالطريقة التي ذكرناها وفق ما تمليه عليه شخصيته، وطبيعته، وعقيدته دونما اعتبار لسلوكهم وتصرفاتهم، وأفعالهم من جهة، مع سلوك العالم الغربي اليوم تجاه الإسلام أو المسلمين، وموقف المسلمين من ذلك من جهة أخرى. وإذا ما تأملنا في هذه اللوحة، وفي حال المسلمين ومدى اتباعهم لنبيهم وسيرهم على خطاه من ناحية الأمانة/ الثقة فسوف نجد أن مسؤولية المسلمين بمواجهة الإسلاموفوبيا تبدو أمامنا كمشكلة كبيرة تستوجب الحل. ويمكن القول أيضاً: لا يمكننا أن نعتبر أن مناوأة ومعارضة المشركين للإسلام في شبه الجزيرة العربية خلال القرن السابع كانت أقل وأخف من مناوأة العالم الغربي للإسلام في القرن العشرين والواحد والعشرين. وبناء على ذلك فإننا لا نستطيع التخلص من حالة الإسلاموفوبيا التي نعيشها اليوم من خلال توجيه الاتهامات للغرب والغربيين فقط. وإنما يتوجب علينا التساؤل والتفتيش عن الإسهامات التي قدمها المسلمون في هذه العملية أيضاً.

فالمنهج السلوكي وأسلوب التعامل في العلاقات الاجتماعية/ المجتمعية المبين والمقدم للمسلمين في المصدرين الرئيسين لدينهم (القرآن والسنة) من شأنه سد الباب أمام مثيري ومحدثي ظاهرة الإسلاموفوبيا، وتضييع الفرصة عليهم، ومن أمثلة ذلك:

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (آل عمران: ١٠٤، ١١٠، ١١٤؛ التوبة: ٧١، ١١٢؛ الحج: ٤١؛ لقمان: ١٧)؛ التعاون على البر (المائدة: ٢)، النهي عن المن في الصدقة وعمل الخير (البقرة: ٢٦٤؛ المدثر: ٦)؛ كظم الغيظ والعفو عن الأخطاء (آل عمران: ١٣٤، ١٥٩؛ المائدة: ١٣)؛ دفع السيئة بالحسنة (الرعد: ٢٢؛ المؤمنون: ٩٦؛ القصص: ٥٤؛ عدم الاستهزاء بالناس والسخرية منهم (الحجرات: ١١؛ الهمزة: ١)؛ تجنب إحداث الفتن والفساد (البقرة: ١١، ٢٧؛ الرعد: ٢٥)؛ «إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ، وَصِيَامٍ، وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي

(٤) قَالَ: أَخْبَرَنَا ابْنُ عُمَرَ. حَدَّثَنِي عَبْدُ اللهَّ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عُبَيْدِ اللهَّ بْنِ أَبِي رَافِعٍ عَنْ عَلِيٍّ قَالَ: لَمَّا خَرَجَ رَسُولُ اللهَّ ﷺ إِلَى الْمَدِينَةِ فِي الْهِجْرَةِ أَمَرَنِي أَنْ أُقِيمَ بَعْدَهُ حَتَّى أُؤَدِّيَ وَدَائِعَ كَانَتْ عنده للناس. لَذا كَانَ يُسَمَّى الأَمِينَ. فَأَقَمْتُ ثَلاثًا... (ابن سَعد، الطبقات الكبرى، ج ٣، ص، ٢٢).

قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ (من حقوق) أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ (من اعتُدي على حقوقهم) فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ»[٥]؛ مَنْ ضَارَّ (مسلماً في نفسه، أو ماله، أو عرضه) أَضَرَّ اللهُ بِهِ، وَمَنْ شَاقَّ (عادى المسلمين وضيق عليهم بغير حق) شَاقَّ اللهُ عَلَيْهِ[٦].

فهل يتحمل المسلمون المسؤولية في تصور العالم الغربي ومجتمعاته للإسلام اليوم على أنه شيء مرعب ومخيف ومثير للكراهية؟ رغم هذا الوضوح في تعريف المسلم وبيان أخلاقه وعلاقاته الاجتماعية في المصادر الإسلامية الرئيسية، وإن كانت هناك مسؤولية عليهم ففي أي جانب؟

أود أن أجري تقييماً لمدى توافق الواقع الفعلي للمسلمين اليوم مع أوامر الإسلام ونواهيه من خلال جملة من الأمثلة التي رأيتها، وسمعتها ممن شاهدها وعايشها بذاته:

قبل عدة سنوات جاء إلى تركيا أحد أصحابنا من أمريكا، وكان قد عاش فيها مدة طويلة. ولدى حديثه عن أحوال المسلمين وواقعهم هناك روى لنا طرفة غريبة، حيث أخبرنا أنه بعد ذهابه إلى أمريكا بسنتين أراد أن يشتري سيارة مستعملة، وعندما أخبر من حوله بالأمر نصحوه أن يبتعد عن المسلمين، ويشتري سيارته من غير المسلمين؛ لأن البائع الأمريكي الذي سيشتري منه السيارة سوف يخبره بكل عيوبها. وقال في المقابل: إن صديقاً له قد اشترى سيارة من رجل مسلم باكستاني، وتبين له فيما بعد أنها تعاني من عيوب وأعطال كثيرة، رغم أن البائع المسلم كان قد أقسم له بكل معتقداته أن السيارة سليمة.

مثال آخر: عندما ذهبنا إلى الدانمارك لإجراء دراسة حول نساء المهاجرين المسلمين أجرينا مقابلة مع مجموعة من النساء، وكان من بين تلك المجموعة امرأة من «أوشاك Uşak»[٧] تبلغ من العمر اثنين وثمانين ٨٢ عاماً، وتقيم في الدانمارك منذ خمس وأربعين سنة تقريباً، فقالت في المقابلة: «إذا كان في المكان الذي نعمل فيه أربعون عاملاً، تسعة وثلاثون منهم دانماركيون، وواحد مسلم، فلا يجتنب أحدنا أن يبقى وحيداً بينهم؛ ولكننا نخشى من أن نبقى في مكان واحد مع المسلمين».

لقد تم التطرق إلى هذا الموضوع في المقابلات مع مجموعات مختلفة من اللواتي تقمن في الدانمارك من الجيل الأول والثاني والثالث، وكل مجموعة تتكون على الأقل من خمس نساء، وتتراوح أعمارهن من ٢٠ إلى ٨٠ سنة، ولم يتضمن أي من الردود المقدمة كلاماً مخالفاً لما قالته هذه المرأة. وكذلك أجري تحقيق بشأن الحياة الدينية اليومية للرجل؛ وتمت محاولة ولو على مستوى بسيط قياس العلاقة بين انعدام الثقة/ الأمانة والتدين بالاعتماد على دالات عديدة مثل: أداء الصلاة، والصيام، واجتناب المحرمات. وذلك بهدف التعمق في التحليل حول نمطية الرجل المسلم الذي يُتهم ضمنياً بأنه مثير للشبهة والقلق، ولا يبعث على الثقة والأمان. إلا أن النتيجة لم تتغير بحال من

(٥) مسلم، الإمارة، ١١٨.
(٦) أبو داود، الأقضية، ٣١.
(٧) مدينة تركية.

الأحوال حيث كانت الإجابات تقول: «نجتنب أو نخشى من أن نبقى وحدنا مع الرجل المسلم في مكان واحد».

لي زميل أقام مدة طويلة في إنكلترا لإكمال الدراسات العليا، وذات مرة تحدث عن مسألة تتعلق بوعي وقيمة الوقت لدى المسلمين. حيث قال: إن الطلاب المسلمين إذا ما أرادوا تنظيم نشاط أو فعالية هناك يصرون على كتابة ملاحظة بشأن التوقيت في المنشور الإعلاني، وهذه الملاحظة هي عبارة: «من فضلكم: إن الموعد حسب الموعد الغربي، وليس حسب موعد المسلمين!»، وعندما سألت زميلي عن المقصود بهذه العبارة، قال: إنها تعني: «إن الفعالية سوف تبدأ في الموعد المعلن تماماً، فإن تأخرت عن الموعد فاتتك المشاركة!».

وهنا أود أن أترك لكم تقدير مدى إسهام الغرب ودوره في بقائنا كأتباع دين يحاول أن يوفر لنا مفهوماً أو علماً للزمن من خلال مواقيت الصلوات الخمس، وأن نتخذ الغربيين الذين نظنهم أعداء قدوة لنا في مسألة الالتزام بالوقت.

هذا جزء يسير من الطرائف والمشاهدات التي تجري في علاقات المسلمين مع بعضهم فضلاً مع الغربين في البلدان الأوروبية التي يقيمون فيها؛ والتي لا تليق ولا تتوافق أبداً مع صفة الأمانة والإشعار بالثقة التي يستوجبها الدين الذي نؤمن به. وأود بالإضافة إلى ذلك أن أقدم مثالاً من تجاربي الشخصية التي حدثت معي في بلادنا.

جاء أحد مشايخنا وهو بروفيسور متقاعد في كلية الإلهيات إلى مدينة أورفة للاشتراك في مؤتمر جرى تنظيمه في المدينة أواخر شهر نيسان من عام ٢٠٠٦، وأخذ يتحدث أنه أثناء ذهابه إلى «جامع دركاه» لأداء صلاة الفجر صادف في طريقه مجموعة من النسوة متوسطات الأعمار يذهبن إلى الجامع تحت جنح الظلام بمفردهن، معتبراً أن ذهاب تلك النسوة إلى الجامع في تلك الساعة من الليل بمفردهن ودون أدنى شعور بالقلق والخوف ظاهرة حسنة، ودليلٌ على توفر الأمان في المدينة. فلما رأيت تقدير أستاذنا لهذه الظاهرة، وإعجابه الشديد بها، سألته: «ألا يجب أن تكون مثل هذه المظاهر أمراً طبيعياً وعادياً في مجتمع مسلم؟»، ثم تشعب حوارنا، وأخذ مجرى آخر.

ويمكننا إيراد أمثلة كثيرة من هذا القبيل. وفي المقابل يمكننا أيضاً تقديم أمثلة بقدر ما تريدون حول ظاهرة «الإسلاموفوبيا»، أي السلوك والموقف السلبي تجاه الإسلام والمسلمين لدى الغربيين، والأحكام المسبقة التي يحملونها بحقهم. إلا أن أيّاً من هذه الأمثلة وغيرها المذكورة بشأن الإسلام والأمانة- انعدام الأمانة سواء تلك التي لصالح المسلمين أو ضدهم لا تبرر حال الإسلام/ العالم الإسلامي اليوم ولا تجعله محقاً، وتشير هذه الأمثلة إلى أن المسلمين قد أصبحوا بعيدين للغاية عن تمثيل الإسلام. وفي الواقع فإننا نجد خير تلخيص لحال المسلمين المزري اليوم ودورهم في خلق التصورات والمفاهيم السلبية ضد الإسلام مثل مقارنة ذكره بمصطلحات الاستشراق، والإرهاب، والرهبة، والخوف؛ وأفعالهم وتصرفاتهم وسلوكهم المتناقض مع الإسلام، نجده لدى المفكر الماركسي المحايد الذي ينتمي إلى ذلك الغرب الذي نوجه إليه أشد الانتقادات. وهو تيري إيغلتون Terry Eagleton، حيث يقول بشأن الإسلام:

«إن الإسلام – بمعنى الاستسلام أوالتسليم- يستوجب تكريس الإنسان نفسه وجعلها فداء لله الذي من مبادئه الأساسية الرحمة والشفقة وحماية الفقراء والمحتاجين... وإن معارضة العنف، والعدالة الاجتماعية من صميم

نظام العقيدة الإسلامية المحكم والمغلق أمام الجدليات اللاهوتية بشكل خاص... ففي الأساس هذا هو النظام العقدي الذي يثير الإعجاب، إلا أنه تحول في عصرنا هذا إلى مذهب أو عقيدة لراجمي المرأة بتعاون أغنياء النفط مع الحكام المستبدين الطغاة، وعقيدة للرجعيين القتلة على يد الملالي الفاشيين». (إيغلتون Eagleton، ٢٠٠٤، ١٨١).

وفي المحصلة أرى أنه ليس من الصواب كثرة لجوء المسلمين كردات فعل شخصية وجماعية نمطية إلى الإسلاموفوبيا والدفاع والتعريف بأنفسهم عن طريق مبدأ التضاد التي يلجؤون إليه كثيراً في تفسير أوضاعهم وأحوالهم. وبعبارة أخرى حسب مصطلح مفكري عصر ما بعد الحداثة إن تفسير مشكلاتنا وقضايانا الإشكالية وتطوير آلية دفاعية عن طريق مبدأ التضاد المزدوج مع الأسف غير ممكن، كما وأنه غير مقنع أيضاً. لذا فإن الرد على سؤال: «لم نحن بهذه الحال بدون أمان؟» ليس بشعارات من قبيل: «الموت للغرب، الموت لأمريكا؛ وحالتنا هي بسبب المكائد والمؤامرات الصهيونية وعملائهم في الداخل» والتي صارت عادة متبعة، وحالة نمطية لدى المسلمين. (أتاي، ٢٠١٢، ١٦- ١٨).

لا شك أن الغرب يسعى إلى إنشاء صورة نمطية، ويعمل على تنفيذ ما يتطلبه ذلك من أمور. ويُعد إيجاد ظاهرة أو مفهوم الإسلاموفوبيا إحدى هذه الأمور. إلا أن لنا كمسلمين معاصرين دوراً لا يمكن إنكاره في إنشاء هذه الصورة. وفي هذا السياق أود أن ألفت النظر إلى أنه من الواجب علينا طرح تساؤلات على أنفسنا، من قبيل: أي إله نؤمن به؟ وأي نبي نتبع؟ وأي نوع من المؤمنين نحن؟ لنعرف طبيعة الإله الذي نعتقد به، وهوية النبي الذي نسير على نهجه، وطبيعة هويتنا الإيمانية وتصنيفنا، ومن ثم القيام بكل ما يلزم في سبيل إنشاء وسط آمن تسوده الأمانة والثقة. وكما قال عصمت أوزَال: إذا كنا نعيش في بلد لا يلفت نظره «أكل الحقوق» بقدر ما يلفت أنظاره «الأكل باليد اليسرى» فإن المذنب الأساس هو نحن لا الغرب والغربيون؛ فينبغي أن ننظر إلى أنفسنا بدل اتهامهم. ويقول أيضاً: علينا تفقد الأجساد التي بين أسناننا (أوزل، ٢٠١٦، ٢٢٧- ٢٢٨). فيجب أن تثيرنا هذه الأجساد وتوقظنا من غفلتنا. (أوزل، ٢٠١٦، ١٦٧- ١٦٨).

النتيجة:

إن مقولة توماس هوبز: «الإنسان ذئب للإنسان» عبارة تلخص جيداً علاقات الإنسان بقدر تلخيصها العلاقات التي تقوم بين المجتمعات أيضاً. فالخلافات القائمة بين العالم المسيحي وبين العالم الإسلامي لا تزال مستمر منذ قرون طويلة. وقد عبر صموئيل هنتنغتون عن هذه الخلافات بعبارة مختصرة تمثلت في مصطلح «صراع أو صدام الحضارات». ومهما جرت محاولة إيجاد وتطوير مقولات أخرى في مواجهة هذه المقولة مثل: «تحالف الحضارات» و«التقارب بين الأديان» فإن المنافسة والصدام بين الحضارات أو بين الأديان يظل في الواقع مستمراً سواء بشكل خفي أو علني.

لقد ظهر الاختلاف بين هذين المجتمعين (المسيحي والإسلامي) اللذين يشكلان أكبر تكتل ديني في العالم بأشكال وأنماط مختلفة عبر التاريخ. إلا أن أكثر أشكال هذا الاختلاف خبثاً ومكراً وقسوة هي ظاهرة

«الإسلاموفوبيا» التي طغت على الساحة العالمية خلال ربع قرن مضى. وإن كانت الإسلاموفوبيا تعود إلى حالة الخوف النفسي التي يشكلها مجتمع همجي تجاه مجتمع آخر، إلا أنها في النهاية خلقت مشكلة معقدة بين المجتمعات. وإذا أردنا الدخول في مسألة تحديد المسؤول عن هذه الحالة نجد أن الأمان أو الثقة مفهوم قائم على أساس تبادلي، فهو يتطلب المسؤولية والتضحية ممن يشعر بالأمان وممن يمنح الأمان للطرف الآخر معاً.

إننا نتابع بحزن وقلق بالغين هيمنة حالة واسعة من انعدام الأمان والثقة على العالم الغربي تجاه الإسلام أو المسلمين خلال السنوات الأخيرة، وتجاوز هذه الحالة ظاهرة الخوف من المسلم المسماة «الإسلاموفوبيا» لتتجه نحو كراهية الإسلام والمسلمين.

نحن نعلم أن هذه الحالة تعود في الأساس إلى المنافسة والصراعات والصدامات والأحكام المسبقة والنوايا الخبيثة. وباختصار إلى الحسابات العلنية أو الخفية المستمرة منذ قرون طويلة. إلا أنه في قضية الثقة التي هي نتيجة لعلاقة متبادلة لا يمكن تجاهل واجبات مهمة تقع على عاتق المسلمين المكلفين أصلاً بإشعار مخاطبيهم بالثقة والأمان، وأن هناك ضرورة للتحقيق في مدى مسؤولية المسلمين عن هذه الحالة من انعدام الأمان والثقة وإجراء نقد ذاتي حقيقي.

إن تجاوز هذه الحالة يحتاج أمرين أساسين يتعلقان بالطرفين:

أ) يحتاج إلى تحقيق ومراجعة من شأنها تخليص أصحاب القرار في المجتمعات الغربية ووسائل الإعلام ومؤسسات المجتمع المدني بكل أطيافها وطبقاتها من الأحكام المسبقة.

ب) تحتاج المجتمعات الإسلامية إلى إجراء تحقيق ومراجعة جدية للتوقف على مدى ارتباطها بمعتقداتها ومدى تنفيذها للواجبات الوظائف التي تفرضها عليهم هذه المعتقدات، ثم تطوير وعي من شأنه المساهمة في حل مشكلاتهم وقضاياهم العالقة ضمن الحدود القانونية، ودون الابتعاد عن القيم الإنسانية العالمية.

المراجع العربية:

- أمين، سمير (١٩٩٣)، المركزية الأوروبية، ترجمه للتركية: محمد سَرت، إسطنبول، منشورات آيرنتي.
- أتاي، رفعت (٢٠١٢)، الفلسفة الدينية لدى أرنست ترلتش Ernst Troeltsch، منشورات ياين أفي، أنقرة.
- البخاري، الإيمان، ٤، ٥ (١٠، ١١)؛ الترمذي، الإيمان، ١٢ (٢٦٢٩).
- تشبي، مراد سعد الله (٢٠١٥)، تأسيس خطاب الإسلاموفوبيا في منشورات الاستفتاء على رفض المنارات في سويسرا، بيليغ، العدد: ٧٣، ص، ٩٩- ١٤٠.
- دَيرمنجي، غمزة، (٢٠١٠)، حول ظاهرة الإسلاموفوبيا في أوروبا، تقرير Bilgesam.
- إيغلتون، تيري (٢٠٠٤)، ما بعد النظرية، ترجمه للتركية: أويغور أباجي، منشورات ليتراتور، إسطنبول.
- ابن سعد، الطبقات الكبرى.
- كرمان محمد علي (٢٠١٦)، معجم علم الاجتماع الديني، مكتبة كاراهان، أضنة.
- لين، ناثان (٢٠١٥)، صناعة الإسلاموفوبيا، ترجمه للتركية: إبراهيم يلماز، منشورات DİB، أنقرة.
- أوزل، عصمت (٢٠١٦)، الأربعين، منشورات شوله، إسطنبول.
- سعيد، إدوارد (٢٠٠١)، الاستشراق، مفاهيم الشرق لدى الغرب، ترجمه للتركية: بَرنا أونلر، منشورات ماتيس، إسطنبول.
- والرشتاين Wallerstein، إيمانويل، ١ (٢٠٠٣)، "مفهوم/ نظرية النظام العالمي في مواجهة مفهوم الأنظمة العالمية: نقد"، النظام العالمي، دير، فرانك؛ ج جيلز، ب Der. Frank, G. Gills, B. منشورات إيمغه، أنقرة.

الحوار عن الإسلاموفوبيا*

أ.د. محمد علي كرمان **أجرى الحوار:** د. أرول أركان

جامعة هيتيت – كلية جكور اووا جامعة غازي عنتاب – كلية الإلهيات

د. أرول أركان: مصطلح الإسلاموفوبيا قد ظهر حديثاً في الثمانينات، فلذلك يُعرفُ بتعريفاتٍ مختلفةٍ؛ فكيف تعرِّفُهُ أنتَ؟ وكيف تقيّمه من ناحية علم الاجتماع؟

أ.د. محمد علي كرمان: مصطلح إسلاموفوبيا يتكون من كلمتين، هما: الإسلام والفوبيا. أما الإسلام: ففي اللغة مشتق من السِلْم، ويعني السلام. وفي الاصطلاح اسم دينٍ أُرسل إلى سيدنا محمد في عام ٦١٠ من الميلاد. وقد يعبّر عن ذلك بأنه اسم مشترك لجميع الأديان السماوية من زمن سيدنا آدم إلى سيدنا محمد. وأما كلمة فوبيا فأصلها يوناني، وهي اسم لإله الرعب في أسطورة يونانية. إذاً كلمة إسلاموفوبيا تعني رعب الإسلام. وفي الاصطلاح قد يُعرف بـ: الخوف أو الرعب من دون مبرر من الإسلام والمسلمين في عالم الغرب. ويجب أن نضع خطاً تحت كلمة (من دون مبرر) في التعريف. لأن هذا الخوف ذاتي وغير مفهوم بالعقل والمنطق في العادة. وهذا الخوف كان خوفاً ورهاباً وتباعداً عن الإسلام والمسلمين، ثم دخل إلى عملية التجسد، فتحول إلى مفهوم يتكون من الكلام والتعامل وأخذ الموقف بسبب الخوف. الإسلاموفوبيا كما بينته في مقالة أخرى لي صار مصطلحاً يفيد التمييز والعدوان ومعارضة المسلمين مستنداً إلى الخوف من الإسلام. إذاً يجب أن يصحح اسم إسلاموفوبيا. كي نعرف مفهوم الإسلاموفوبيا بشكل أفضل يجب أن نستخدم بدل الخوف من الإسلام: مكافحة الإسلام؛ أي معارضة الإسلام، أو بشكل أوضح معاداة الإسلام. لأنه وإن شكلت الأصولية الإسلامية أو الحركات الإسلامية المتطرفة سبباً ظاهراً للإسلاموفوبيا إلا أن من الواضح أن الهدف منه الإسلام نفسه(١). وكي لا يفهم ما قلنا خطأ، لابد من التنبيه بأننا لا نبرر الأصولية الإسلامية ولا الحركات الإسلامية المتطرفة ولا يجب أن يفسَّر هذا من كلامنا.

ويمكننا القول إذا نظرنا إلى هذا الموضوع من منظور علم الاجتماع: إن وراء الخوف من الإسلام والمسلمين –وهو خوف نفسي على الأرجح– أصل اجتماعي عميق، وهناك بحوث عدة في هذا الموضوع من جانبي علم النفس وعلم الاجتماع، وما زالت تجرى بحوث عديدة. ويعترض على مقولة «إن الإسلاموفوبيا

* وهذه هي الترجمة العربية للدراسة بعنوان "İslamofobi Üzerine Söyleşi" التي نشرت في العدد السّادس من مجلة الإلهيات الأكاديمية. (محمد علي كرمان، الحوار عن الإسلاموفوبيا، الإلهيات الأكاديمية، ٢٠١٧، العدد: ٦، ص ١٩٧-٢٠٢). من الواجب أن يستند في الإقتباس إلى المقالة التركية.

(١) İslamofobinin Korkudan Düşmanlığa", içinde: Günümüz İslam Toplumları ve Problemleri, Akademi Titiz Yayınları, İstanbul 2015, s. 91-112.

مصطلح جديد بدأ يستخدم منذ ثلاثين سنة تقريباً» من وجهين؛ أولهما يتركز على تساؤلات: هل ظهرت هذه المشكلة وحدها أم هي مشكلة مصنوعة، وثانيهما: يمكن إرجاع هذا المفهوم أو المشكلة إلى جذور قديمة وهي ليست مسألة جديدة. ولا بد من استعراض هذا القسم خاصة، وهو غالباً يهمل ويغيب عن الأذهان.

د. أرول: ماذا تقول في تأثير المسلمين والعالم الغربي في إنتاج مصطلح الإسلاموفوبيا؟

أ.د. كرمان: كما أكدنا قبل قليل أن مصطلح الإسلاموفوبيا مختلق مصنوع. ولكل صناعة أسبابها، كما لا تظهر الظنون على الآخرين والأفكار المسبقة والمخاوف والقلق والهواجس دون سبب. إذاً الإسلاموفوبيا الذي نلاحظه في العالم الغربي ليس ذاتياً فقط، بل يتغذى من جذور مختلفة؛ منها أسباب اجتماعية وسياسية وثقافية وتاريخية ودينية.

وكما أكدت في مقالة لي[٢]،كتبتها بأسلوب علمي وكنت محايداً فيها، ولأجل ذلك كانت المقالة مصدراً في كثير من البحوث العلمية، أكدت أن العناصر التي تؤدي إلى مفهوم الإسلاموفوبيا يمكننا أن نجمعها في خطين أساسيين. أولهما منشؤه الغرب؛ وهو بسبب فهمهم للإسلام. وهو يتطور مستقلاً عن المسلمين، وهو ما نسميه بالسبب الخارجي الغربي. وثانيهما سبب داخلي شرقي، ومنشؤه المسلمون أنفسهم. وتعد المقارنة بين الإسلام والمسيحية والذاكرة الجماعية أو الأخيلة الغربية وصورة الإسلام في الغرب والعنصرية وكراهية الأجانب والتمييز والاستشراق والإعلام والسياسة ومظهر الإسلام في الغرب إلخ... من الأسباب التي منشؤها الغرب. ومن بين الأسباب التي تعود للمسلمين مشكلة اللامبالاة وعدم تواصل المسلمين مع المسلمين مقابل اهتمام الغربيين بلغاتهم وثقافاتهم ومجتمعاتهم. ورغم أن المسلمين يعيشون في المجتمعات الغربية يلاحظ أن المسلمين ليسوا معصومين في موضوع الإسلاموفوبيا.

د. أرول: ما الخصائص الإيجابية والسلبية لمصطلح إسلاموفوبيا في تقييم العلوم الاجتماعية، هل تؤيد استخدام هذا المصطلح أم تنصح باستخدام مصطلح آخر؟

أ.د. كرمان: كما أكدنا سابقاً، فقدَ هذا المفهوم الآن براءته، ولم يعد خوفاً من الإسلام، بل تحول الآن إلى معاداة الإسلام. وتجدر الإشارة إلى أن إسلاموفوبيا هو مشروع أنتج بطريقة مدروسة. وليس من الضروري أن نعتبره مفهوماً علمياً أو واقعياً. كما هو معروف، جون إسبوزيتو ألف كتاباً عن الإسلاموفوبيا سمّاه «التهديد

(٢) M. Ali Kirman, "İslamofobinin Kökenleri: Batılı mı Doğulu mu?", İslami Araştırmalar Dergisi, 2010, c. 21, s. 1.

الإسلامي: أسطورة أم واقع» وتساءل فيه: هل التهديد الإسلامي أسطورة أو حقيقة؟ وبنفس المنطق يمكن القول إن قضية الإسلاموفوبيا ليست حقيقية، إنما هي خرافة أو أسطورة أو أجندة مصطنعة. النقطة التي يجب التأكيد عليها هنا هي ضرورة الانتباه في مناقشة هذه القضية، ويجب استخدام المفاهيم بشكل صحيح. فمثلاً لو قلنا «الإسلاموفوبيا هو حقيقة افتراضية» لاحتمل قولنا أنّ هناك بعداً حقيقياً في الإسلاموفوبيا، وهذا غير صحيح. ولهذا السبب يكون استخدام المسلمين لهذا المصطلح يجسّد التصور الإسلامي السلبي الذي له جذور تاريخية في الغرب. من المفيد، إجابة عن سؤال «ما الذي يمكن عمله في هذا الصدد؟» أن نقول: يجب على المسلمين أن ينتجوا ويكتبوا وينشروا أكثر من الأعمال الموجودة فيما يتعلق بالعنف والإرهاب والخوف والكراهية والأمور الأخرى، فمثلاً يمكن أن يُدرسَ حب الإسلام أو الإسلام وحب المخلوقات وغيره.

د. أرول: ما نراه من اقتران كلمة الإسلام بالخوف جنباً إلى جنب هو مناقض لكون الإسلام دين سلام، ومن ناحية أخرى حصر تعريف الإسلام بمنهج مذهب واحد، وكأنه هو حقيقة الإسلام بغض النظر عن حقيقة وجود فروق كثيرة بين المذاهب الإسلامية، وكون عدد المسلمين يزيد عن مليار ونصف، ما تقييم حضرتك لهذه الظاهرة كأستاذ علم الاجتماع؟

أ.د. كرمان: هكذا يقولون، نعم، نعترض على إظهار المسلمين كفئة واحدة، قد يكون بين المسلمين أناس ينشرون الخوف والكراهية، ولكن هؤلاء لا يمثلون الأكثرية، وفي الوقت نفسه علينا أيضاً ألا نقع في المشكلة نفسها؛ فلا يسعنا أن نقيم الغرب وكأن سكانه كلهم أصحاب فكرة واحدة. وما المقصود من الغرب اليوم، أهو قارة أوربا أم أمريكا الشمالية؟ نتساءل من هم؟

قد أشرنا سابقاً إلى أن هناك أدبيات واسعة حول الإسلاموفوبيا، فأكثر هذه الأدبيات من صنيع الغرب والأخرى من صنيع المسلمين. ونعلم أن ما وراء فكرة الغرب في أدبياتهم حول الأسلاموفوبيا يرجع إلى مشكلاتهم مع الإسلام في وعيهم الباطني. نلاحظ ذلك في إشاراتهم وعباراتهم. في مقابل هذه الظاهرة نجد أن المسلمين قد كتبوا في هذه القضية للدفاع عن دينهم مرتكزين على نقاط منها: إن الغرب ليس لديه تعدد ثقافي، ولديه فكرة مسبقة على الإسلام، ويرجع خوفه من الإسلام إلى الماضي للغاية بينما يتم تصويره للعالم بأسره كأجندة مصطنعة بعد أحداث ١١ سبتمبر، وذلك أدى إلى عدم بحث المسلمين عن مسؤولياتهم في ترويج الإسلاموفوبيا. وفي الحقيقة إن تبيين مصطلح معقد له أصول تاريخية مثل الإسلاموفوبيا صعب للغاية.

ولابد من القول: إن أي بحث حصر أسباب الإسلاموفوبيا في سبب واحد هو بحث اختزالي، ولهذا فإن فهم هذه الظاهرة لا بد فيه من تقييم مواقف الغرب والمسلمين في آن واحد.

د. أرول: ما تقييمكم لمصطلح إسلاموفوبيا في إطار تجديد أدوات الإعلام للثقافة الشعبية، وفي إطار مصطلح صناعة الثقافة؟ وما رأيكم في دور أدوات الإعلام في تشكيل القيم الثقافية لدى الأفراد؟

أ.د. كرمان: إن مصطلح الإسلاموفوبيا وجد له شعبية واسعة في العالم الغربي المسيحي بما أنه مصطلح جديد. ولا فرق في ذلك بين أوربا وأمريكا غيرَ الفرق الجغرافي. وبعبارة أخرى إن التطرف والإرهاب وما شابه ذلك من المصطلحات أصبحت تلفظ مقترنة بالإسلام والمسلمين، وذلك بدأ ينتشر في العالم في الأيام الأخيرة وهذه الظاهرة كونت موجة أزمة. والإعلام والصحافة يقومان بدور مهم في ذلك، فإن للصحافة والإذاعة والسينما والمسرح وما شابه ذلك من وسائل التواصل الاجتماعي مثل الإنترنت أدوات مهمة في صناعة الثقافة.

لابد من أن هناك خللاً في هوية العالم الغربي. في هذا الخلل تجد الإسلاموفوبيا ووراءه دوافع سياسية من أصحاب القرار بأهداف معينة. بدأت المسيحية بفقدان هيبتها، وبدأ طور اختفائها بشكل جدّي. الفكر الملحد وأتباعه تعلو أصواتهم أكثر ضمن مشروع الإسلاموفوبيا. مشروع ماذا؟ إبعاد المجتمع الغربي عن المسيحية، واستخدام الإسلاموفوبيا كطريقة لجر المجتمع الغربي الى الفكر الإلحادي. وكذلك الإنسان الغربي بواسطة هذا المشروع يتم توجيه رسالة إليه مضمونها «أنتم تعيشون في رفاهية وراحة تامة ولكنكم تبتعدون عن دينكم وثقافتكم وهويتكم. إنّ أعدادكم تتناقص وإذا بقيتم على هذه الحال فمصيركم محتوم لا مهرب منه. انظروا إلى المسلمين. إنهم ليسوا كذلك. وقريباً سيحكمون، وسوف يسيطرون على الأمور، ولا مفر من ذلك، افهموا هذا الأمر وارجعوا إلى عقولكم». إذاً فهذا مشروع فكري له أهدافه. وأجدادنا يقولون: «إذا قلت لشخص أنت مجنون لأربعين يوماً فسيصبح مجنوناً حتماً».

إنهم يستخدمون طرقاً مختلفة ليصلوا إلى الجموع ويظهروا أن الإسلام حيث التخويف والتدمير. ليس فقط أربعين مرة بل يظهرونهم مراراً وتكراراً إذ يتم الأمر جهراً. بعد هذا سيكون المجتمع وعاداته وتقاليده والبعد الاقتصادي والسياسة الداخلية والعلاقات الخارجية تحت حكم هذا الفكر الذي سيصمم ويقوم من بعدها بتحقيق أهداف ومتطلبات معينة.

د. أرول: ماذا عن إقامة علاقات سلمية وإن كان على المستوى الفردي أو المجتمعي أو حتى على المستوى المؤسسي، هذه العلاقات ماذا ينتج عنها من مترتبات ومسؤليات على الطرفين، ما آراؤكم؟

أ.د. كرمان: عليهم أن يفهموا أولاً، وعلى رأسهم أوروبا، أن الإسلام والمسلمين لهم مكانة ووجود

في هذه الدنيا وحقيقة لا يمكن تجاهلها. ففي أوروبا يوجد مسلمون يعيشون في دول الاتحاد الأوروبي حاصلون على جنسيتها بأصول مسلمة، وعددهم يزداد في كثير من الدول الأوروبية حالياً. الإسلام موجود في أوروبا وأصبح أوروبياً. الدول الغنية وذات الحضارة وليس لها تجربة مع هذه الواقعة عليها أن تتعلم التعايش والتأقلم مع هذا الأمر. ولنفهم من هذا أن الثقافة والدين والهوية والمواطنة أمور تقع مسؤولياتها وواجباتها على الغربيين تحت سقف ومنطلق عاطفي ووجداني أكثر. ولكن انقطاع هذا المجتمع عن سبل التواصل، حيث الصمت واستخدام الحقوق السياسية والديمقراطية والسلطة المشروعة بشكل سلبي، وكون المجتمع بعيداً عن هذه الأمور، كل هذا يجعلهم يستخدمون الهوية العرقية والدينية بلغة عنيفة بشكل واضح وصريح. اليوم على المسلمين الذين يعانون من الإسلاموفوبيا في أوروبا أن يعلموا هذه الأمور، وأن يقوموا بما يجب عليهم فعله. وعكس ذلك إن لم يفعلوا شيئاً فسوف يحدث التطرف حتى لو من دون قصد. وفي المحافل الأوروبية ستعلو مواقفهم وحججهم لتقوية الإسلاموفوبيا. ويمكننا أن نقول إنه سيزيد ذلك من تهجمهم أيضاً. وفي هذا الموضوع على المسلمين ان يقوموا بـ «إعادة إعمار الصورة الصحيحة» والمضي على هذا النحو.

لقد قلنا فيما سبق إنَّ الإسلاموفوبيا مصطلح مصطنع، خاصة بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر. فقد صوّر الاسلام على أنه دين عنف وارهاب، وصور كل مسلم على أنه إرهابي بيده السلاح. وبذلك يتم تشويه صورة المسلمين. في الحقيقة لم تصل وجهة النظر والصورة الصحيحة للمسلمين في العالم الغربي مطلقاً. ولكن هناك رؤية عليَّ أن أبيِّنها. وهي كالتالي: بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر تم تشويه صورة الإسلام والمسلمين كلياً وبلا حدود بعد فترة قصيرة فقط. علينا أن نلاحظ هذا وأن نضع خطاً تحته لكي نرى الأمور بشكل أوضح وأكثر فعالية. إن أهم خطوة لهذه العملية هي: أن الاسلام ليس مذهباً واحداً، وأن المسلمين ليسوا كما يظنوا بهم وكما يظهرونهم. وفي إطار هذا الموضوع يمكن أن نقول: إن المجتمع المسلم التركي هو مستثنى من كل هذا بشكل حقيقي. يوجد لدي مقال في هذا الموضوع، فقد كتبت في «الإسلام التركي» حيث تكلمت عنه أكثر[٣]. ما هذا الإسلام؟ وما هذا المفهوم الديني؟

إن «الإسلام التركي» يرى الإسلام يحتوي على الشفافية والبساطة والثبات والصلابة والعيش مع هذه المبادئ من دون التظاهر بها. وهذا يمتد جذوره منذ القدم في الأناضول. فكرٌ إسلامي مبني على العولمة والعالمية والترحيب بالإنسانية. الفكر الذي لا ينزعج من رؤية المسجد والكنيسة والمعبد جنباً الى جنب، ولا يحرج بل

(٣) M. Ali Kirman, "Küresel Bir Model Olarak Türkiye ve Türk Müslümanlığının İmkânı", KSÜ İlahiyat Fakültesi Dergisi, 1 (2), 2003, s. 53-68.

يرحب بذلك، فهو مؤمن بنفسه. هذا الأمر يجعل الإسلام بعيداً عن الحقد والعدوانية لغيره «أقل نزاعاً، أكثر سلميةً» هذا فكرٌ إسلامي سيجعل الأمة الإسلامية تنهض من جديد، وسيكسبها حركة مرنة ضد هذه الشبهات. وإذا أردنا أن نتحدث بالمصطلح الإسلامي (الماتوريدي والحنفي) فهي ثقافة. في هذه الثقافة يوجد شكل المسلم ودينه الإسلامي وثقافته وتقاليده، حيث تجتمع في كتلة واحدة العبادة والشعائر والمراسم والأيام المقدسة وأهمية المستقبل واحترام معتقدات الآخرين والتعايش معهم وبناء شكل حياتنا على ذلك. إضافة إلى الاهتمام بالعلم والقدرات العقلية. فالإسلام ليس دين حرب وجهاد بل وضع اتفاقيات سلمية وعمل على نشر السلام والمثابرة مهما كان الثمن. والابتعاد عن العنف والحرب نراه جهاداً أيضاً. لهذا السبب لسنا مع من يقوم باستخدام القرآن والسنة النبوية الشريفة من الراديكاليين والمتطرفين لإقامة دولة مبنية على أسس إسلامية كما يزعمون. وهناك احتمال أن يقوموا بمشروع ضد مفهوم «الإسلام التركي» في هذه الأيام بدافع الخوف والكراهية. والشيء العجيب أنهم يستخدمون بعض الطرق والتهديدات لهدم جذور هذا الدين وهذا المفهوم، حيث بدأ مسار هذه التهديدات بالظهور، وشهدنا بعض الأمور التي تدل على أنها موجودة بالفعل.

د. أرول: نشكرك على هذه المقابلة وعلى إتاحة الفرصة لنا ومشاركتنا وجهات نظرك.

ضوابط النشر في المجلة

مجلة «الإلهيات الأكاديمية» هي مجلة بحوث إسلامية دولية محكمة نصف سنوية، تصدر عن عمادة كلية الإلهيات بجامعة غازي عنتاب، وتهتم بالبحوث في مختلف العلوم الإسلامية والإنسانية والعربية والاجتماعية، وتصدر باللغتين: العربية، والتركية.

أهداف المجلة:

١- نشر الدراسات العلمية والتربوية في مجال العلوم الإنسانية والإسلامية والعربية.
٢- تلبية نهم الباحثين وطلاب العلم عربياً وعالمياً في المجال الإسلامي والإنساني.
٣- إغناء المكتبات العربية في العلوم الإسلامية والإنسانية.

شروط البحوث المنشورة:

١- أن تكون متوافقة مع أهداف المجلة.
٢- أن تكون لغة البحث عربية فصيحة وواضحة، وأن تكون مترجمة باللغة التركية حتى يتسنى نشرها باللغتين.
٣- أن لا يكون البحث منشوراً قد سبق نشره في مجلّةٍ أو كتابٍ محرّر.
٤- أن تكون مشكلة البحث غير معالجة من قبل، ويمثل إضافة جديدة إلى المعرفة في ميدانه.
٥- أن توافق عليه هيئة التحكيم.
٦- ألا يزيد البحث عن ٣٠ صفحة (٨ آلاف كلمة)، بما في ذلك الملخصات والجداول وقائمة المراجع، وذلك ضمن قواعد الكتابة التالية.
٧- يسلم البحث منضداً على برنامج «Ms Word»، ضمن القواعد التالية.
٨- يرسل الباحث مع بحثه صورته الشخصية، وسيرته الذاتية في حدود (٥٠) خمسين كلمة تقريباً، تتضمن أعلى مؤهل علمي، والجامعة التي تخرج فيها، ومكان عمله، ومركزه الوظيفي واهتماماته العلمية، وأهم مؤلفاته وعنوان بريده الإلكتروني.
٩- يجب أن يتضمن البحث: خلاصة للبحث تشتمل على الأفكار الأساسية والنتائج، بحدود (١٥٠- ٢٠٠) كلمة على الأكثر؛ باللغة: العربية، والتركية، والإنكليزية. ومقدمة تتضمن أهمية البحث وأهدافه ونهج البحث، والنتائج والتوصيات، والمراجع أو المصادر.

قواعد كتابة المتن والحواشي والمراجع:

١- تنسيق الصفحة: مقاس «A4» بالهوامش التالية: (٤) سم من الأعلى، و(٣) سم من اليمين واليسار والأسفل.

٢- تنسيق الخط: للعربية «Sakkal Majalla» بمقاس (١٤) للمتن، و(١٢) للهوامش. وللاتيني «Palatino Linotype» بمقاس (١٠) للمتن، و(٨) للهوامش.

٣- تنسيق الفقرة: مسافة التباعد بين الأسطر: مفرد، ويتأخر السطر الأول (٠,٧) سم في العربي، و(٠,٥) للاتيني. وقبل الفقرة (٠) نقطة، وبعد الفقرة (٦) نقاط.

٤- لا يضاف للبحث أي لون غير الأسود وتدرج الرمادي في أي موقع من البحث.

٥- يجب ترقيم جميع الصفحات تسلسلياً بما في ذلك ملحقات البحث.

٦-التوثيق:

- توضع أرقام التوثيق بين قوسين [٣٧]، وتكون متسلسلة من أول البحث إلى آخره.
- يذكر اسم السورة ورقم الآية أو الآيات في متن البحث. مثال: [الأعراف: ٢].
- يوثق الحديث النبوي الشريف في الهامش بذكر من أخرجه والكتاب والباب ورقم الحديث.
- تكتب أسماء الأعلام في المتن مع ذكر تاريخ الوفاة بالهجري والميلادي بين قوسين (ت: -).
- تكتب أسماء الأعلام الأجنبية في متن البحث بحروف عربية، ولاتينية بين قوسين ( ).
- ترتب قائمة المراجع ترتيباً ألفبائياً بحسب اسم الكتاب في نهاية البحث، وتفصل قائمة المراجع الأجنبية عن العربية.
- تُكتب بيانات المرجع كاملة عند ورودها للمرة الأولى في البحث.
- تُكتب بيانات المرجع العربي على الترتيب التالي: اسم الكتاب بالخط العريض، اسم المؤلف أو المؤلفين: اسم المحقق (إن وجد) أو المحققون، دار النشر، مكان النشر، رقم الطبعة كاملة أو مختزلة بين قوسين، تاريخ الطبع. مثال: **الأفعال**، أبو عثمان سعيد بن محمد السرقسطي: تحقيق د. حسن محمد محمد شرف، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، الطبعة الرابعة، ١٩٧٥م.
- في المرة التالية يوضع المرجع على النحو التالي: اسم الكتاب، الجزء، الصفحة. مثال: الأفعال صـ ١١٦، أو (٣/ ٣٤٧).
- تُكتب بيانات المرجع الأجنبي على الترتيب التالي: عنوان الكتاب أو البحث بالحرف المائل. النسبة بالأحرف الكبيرة، الحرف الأول من الاسم. الحرف الأول من الاسم المتوسط. وإذا تعدّد المؤلفون يُفصل بين أسمائهم بفاصلة منقوطة (؛)، الطبعة (ثانية، ثالثة...)، دار النشر، بلد النشر، سنة النشر.
- الاستشهاد بمخطوط: عنوان المخطوط كاملاً، اسم المؤلف كاملاً، مكان وجوده، تاريخ النسخة، عدد أوراقها، رقم الورقة.
- الدّوريّات (المجلات): «اسم المقالة»، اسم الكاتب، اسم المجلّة، المجلّد و/ أو رقم العدد (سنة النّشر)، رقم الصّفحة. مثال: «الأمن القوميّ العربيّ»، محمد حسن، استراتيجيّات، المجلد الخامس عشر، العدد الأول (٢٠٠٩)، صـ ١٢٩. وفي قائمة المراجع يكتب هكذا: «الأمن القوميّ العربي»، محمد حسن، استراتيجيات، المجلد الخامس عشر، العدد الأول، ٢٠٠٩م.

إذا كان المرجع بحثاً منشوراً في مجلة باللغة الأجنبية: يضاف بعد عنوان البحث بالحرف المائل الكنية والاسم، وتتبعه نقطة. اسم المجلة وبلد النشر ويتبعه فاصلة، المجلد والعدد (كتابة مختزلة) وبعدها فاصلة، وسنة النشر، أرقام الصفحات الخاصة بالبحث ضمن المجلة.

- مقالات الجرائد: يشار إليها فقط في الهوامش دون قائمة المراجع هكذا: «عنوان المقالة»، اسم المؤلف، اسم الجريدة، تاريخ النشر باليوم والشهر والسنة. مثال: «الهجرة السورية أسباب وأبعاد»، فتح الله حسب الله، شفق التركية، ١٢/ ١٠/ ٢٠١٣م.
- المنشورات الإلكترونيّة: يُشار إليها فقط في الهوامش، وليس في قائمة المراجع. وينبغي أن تتضمن الإحالة تاريخ الزيارة. مثال: «الدولة المصرية» محمد علي النجار، ٩/ ٣/ ٢٠١٣م، على الرابط: http://ydut ronicintifada.net/v2/article3399.shtml

٨- الاختصارات: تاريخ الوفاة (ت:)، تحقيق (تح:)، صفحة (صـ:)، الجزء والصفحة (٢/ ٣١٥)، الطبعة (ط)، بدون تاريخ (د.ت.)، بدون ناشر (د.ن.)، الهجري (هـ)، الميلادي (م)، قبل الميلاد (ق.م.)، إلى آخره (إلخ)، انتهى (ا.هـ).

ملاحظات:

١- للمجلة الحق في ترجمة بعض المواد التي يتم قبولها للنشر إلى لغات أخرى، وفقًا لما تقرره إدارة المجلة.

٢- البحوث المنشورة في المجلة تعبر عن آراء أصحابها، ولا تعبر عن رأي الجامعة أو الكلية أو هيئة التحرير.

٣- يخضع ترتيب البحوث عند النشر في المجلة لمعايير فنية تراها هيئة التحرير.

٤- يكون قرار إجازة نشر البحث أو الاعتذار عن عدم نشره نهائياً بيد هيئة التحرير، وتحتفظ هيئة التحرير بحق عدم إبداء الأسباب، ويجوز في حال الاعتذار أن يزود الباحث بالملاحظات والمقترحات التي يمكن أن يفيد منها في إعادة النظر ببحثه.

٥- لا يجوز لصاحب البحث أو لأي جهة أخرى إعادة نشر البحث المنشور في المجلة أو ملخص عنه في أي كتاب أو صحيفة أو دورية إلا بعد أن يحصل على موافقة خطية من هيئة التحرير.

٦- لا تدفع المجلة أية مكافآتٍ ماليّةً عن الموادّ - من البحوث والدراسات والمقالات - التي تنشرها؛ مثلما هو متَّبَعٌ في الدّوريات العلميّة في العالم.

٧- ترسل البحوث والمراسلات إلى المجلة على العنوان التالي:

رئيس تحرير مجلة «الإلهيات الأكاديمية» - جامعة غازي عينتاب - الجمهورية التركية

ت: ٠٠٩٠٣٤٢٣٦٠٦٩٦٥ ف: ٠٠٩٠٣٤٢٣٦٠٢١٣٦ @: ilahiyatakademi@gantep.edu.tr